الآداب

مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر

تصدر عن دار العلم للملايين - بيروت

اصحاب الامتياز

منير البعلبكي ، سهيل ادريس ، بهيج عثمان

AL-ĀDĀB : Revue mensuelle culturelle
Beyrouth - Liban. B.P. 1085

المدير المسؤول : بهيج عثمان

رئيس التحرير : الدكتور سهيل ادريس

الأدب الذي نريد

بقلم منير البعلبكي

لقد غدا من فضول الكلام القول بأن واقع العرب ، في يوم الناس هذا ، واقعٌ بشعٌ قاتمٌ يكاد لا يطالعك بغير الكلوح والشؤم كيفما واجهته ، ومن أيما زاوية نظرت إليه .

فهو في حياتهم الأخلاقية والمسلكية واقع الأثرة والأنانية ، والتحاسد والتباغض ، والمكيدة والزلفى ، والنفعية والوصولية ، والتحلل والاستهتار .

وهو في حياتهم الاجتماعية والعقلية واقع البؤس والمرض ، والخرافة والتقليد ، والطبَقية والببّغائية ، والوثنية والتعصّب ، والأمية المتعالمة ، والعلم الذي هو أقرب شيء الى الجهل .

وهو في حياتهم الاقتصادية والسياسية واقع الاقطاعية والرجعية ، والفساد والفوضى ، والارتجال والتخبّط ، والفاقة تغرق في ديجورها الكثرة الكثيرة من أبناء الأمة ، والنّعمة تنغمس في مترافها القلةُ القليلة ممن يدعونهم أهل الامتياز .

إنه واقع القبليّة والعائلية ، والانقياد والأمَّعِيّة .

واقع الاستعمار السافر حيناً ، المقنّع حيناً آخر .

واقع « اسرائيل » التي أناخت بكلكلها على قلب العالم العربي فشطرته شطرين ، وأزعجت مليوناً من عرب فلسطين عن ديار الآباء والأجداد ، ومدارج الصبا وملاعب الشباب ، والتي تتهدّد العربَ كلما ارتفع ضحىً أو هبط ليلٌ بخزيٍ جديد يمدّ في رقعتها ويبسط من سلطانها ، وقد يجعل في يدها الغادرة مفاتيح هذا الجزء من العالم في وقت قريب أو بعيد .

•

وقد يتبادر الى الذهن ، أولَ ما يتبادر ، أن هذا الوضع المكفهرّ المظلم خليقٌ به أن يوقع اليأس في قلب الأمة ، فتضغط على جراحاتها ، وتحيا حياة هامشية منكمشة في انتظار ما سيفجأها به المجهول من أرزاء وكوارث .

ولكن الحقّ غير ذلك . فكم من أمة امتُحنَتْ بمثل ما امتُحِنَ به العرب في هذا الجيل ، أو بأدهى مما امتُحِنَ به العرب في هذا الجيل ، من فُرْقةٍ وجهالة ، ومن انحلال واحتلال ، فصبرت نفسَها على

البلاء، وجاهدت ورابطت، معتصمةً بحبل الوطن الواحد، والمصلحة الجامعة، فانتهت بها ارادة الحياة الى محلّ المنعة والعزّ.

بل كم من مرّةٍ امتُحِنت الامة العربية في تاريخها الطويل بمثل ما تُمتحن به اليوم، أو بأدهى مما تُمتحن به اليوم، فصمدت للأحداث، وتحدّت الأقدار، ثم نهضت من كبوتها، وهي أنضر ما تكون عوداً، وأشدّ ما تكون مراساً. ذلك بأن الامة العربية، في ما نعتقد، من الامم ذوات الرسالات. والاممُ ذوات الرسالات قد تضعف وقد تتعثّر، ولكنها لا تموت..

•

وإذن فليس بعد هذا الاعتلال الذي يُرْمض جسم الأمة العربية اليوم غير السلامة والعافية، والاستواء والرفعة.

إلاّ أنه من خَطَل الرأي ان يتوهم متوهمٌ أن الاشراف على هذه الغاية هيّن ميسور. فالواقع أنها غاية بعيدة تتقطّع دونها الأعناق، وأن بلوغها يفترض ضروباً من العمل البطوليّ في مختلف ميادين الحياة.

ومن هنا كان حتماً على قادة الأمة الواعين أن يجنّدوا طاقاتها كلها، ومؤسساتها كلها، في سبيل تحقيق هذه النهضة الجديدة التي نرجو أن تعيد إلى العرب اعتبارهم، وتمكّنهم من أداء رسالتهم كاملةً غير منقوصة الى العالم الحديث، كما أدّوْها كاملةً غير منقوصة الى العالم القديم أولاً، ثم الى العالم الوسيط بعد ذلك.

•

والادب في رأس القوى التي ينبغي أن تُجنّد في سبيل دفع دولاب النهضة، واستعجال البعث.

فليس كالأدب، حين يستقيم على الطريقة، حافزاً الى اليقظة والنهوض. وليس كالأدب، حين يتردّى في مهاوي التبذّل، داعيةً الى التبلّد والخمول فهو كالأفيون أو اشدّ منه فتكاً.

من اجل ذلك قلنا في هذه المجلة بمبدأ الأدب الملتزم.

ومن اجل ذلك دَعَوْنا ادباءنا الى النزول من أبراجهم العاجية إلى أرض الناس والخوض في دنياهم الضاجّة بالمشكلات، ليبدعوا لنا أدباً مسؤولاً «ينبع من المجتمع العربي ويصبّ فيه» كما عبّر الدكتور سهيل ادريس في «رسالة الآداب» وهو يقدّم المجلة الى القراء.

فنحن لا نريد بعد اليوم أدباً صوفياً يحلّق في سماوات التجريد، ويرى في «النيرفانا» خيره المطلق والأخير.

ونحن لا نريد بعد اليوم أدباً رِخواً يتغنى «بالليالى الخرّد الغيد»، أو يدغدغ غرائزنا الدنيا فيمسخ الحياة في أعيننا الى غلالةٍ وساقٍ، ويحيلها الى صراعٍ من أجل امرأة...

إنما نريد أدباً يعالج مشكلاتنا الاساسية الملحّة، ويصوِّر واقعنا المعتم تصويراً يكشف لنا عن مواطن الخلل فيه، ويهيب بنا الى اصلاحه وتحسينه.

نريد أدباً يحررنا من شتى عبودياتنا النفسية والعقلية والمجتمعية.

نريد أدباً يخلق من أبنائنا مواطنين يؤمنون بأن الأمة فوق الطائفة، والوطن قبل الأسرة، وينفخ فيهم روح القوة والفتوّة والثأر.

وعندئذ يكون من حقنا أن نطمئن الى أن العرب قد اجتازوا «امتحان الحياة أو الموت» الذي فرضته عليهم أحداث السنوات الأخيرة من العقد الخامس من القرن العشرين.

وعندئذ أيضاً يعود العرب سيرتهم الاولى، فينشئون الحياة، ويَرِثون الحضارات، ويصنعون التاريخ!

منير البعلبكي

تجارب الديمقراطية العربية

بقلم محمد النقاش

ماذا فعل الغربيون طوال المدة التي تسلموا فيها مقدراتنا لنشر الديموقراطية الصحيحة ، ديموقراطيتهم هم التي يمارسونها في بلادهم ؟

عندما يقول بعض ساسة الغرب او بعض صحفييهم « ان إسرائيل هي الدولة الوحيدة التي تتمتع في الشرق الأوسط بحكم ديموقراطي قويم » فهم يحسبون انهم اكتشفوا حقيقة وقرروا واقعاً ، وغسلوا أيديهم من كل تبعة في الموضوع . ولو فكروا قليلاً لعرفوا ان هذه المفخرة الاسرائيلية التي تقابلها مأساة عربية من حيث أساليب الحكم ، وبصرف النظر عن اغتصاب ارض وتشريد بشر ، هي حكم على الغربيين انفسهم بانفسهم ، وشهادة للتاريخ بتقصيرهم وجرائرهم .

ليس يكفي ان حكام اسرائيل – بل اكثرية شعبها – اتوا من بلدان ارقى من بلدان الشرق الأوسط ، وتمرس الكثيرون منهم بالديموقراطية البرلمانية فادركوا مقتضياتها وحذقوا اساليبها ، فجاء الغربيون وهم يغرسون هذه الدولة ، يتعهدونها بكل اسباب العناية والمداراة ويضربون حولها سياجاً يحميها من كل الاشواك : آزروها في منظمة الامم المتحدة ، وفرضوا من اجلها الهدنة الاولى ، وامدوها بالسلاح بين الهدنتين ، واغدقوا عليها ملايين الدولارات لتنتصر على مصاعبها الاقتصادية ، واتحفوها بالبيان الثلاثي يضمن سلامة حدودها ، واعفوها من مقررات الامم المتحدة التي اتخذت عام ١٩٤٨ فاراحوها من عبء اللاجئين – من حقوقهم في دورهم وممتلكاتهم وتعويضاتهم – ومن تعديل الحدود ... ولم يربطوها بمعاهدات تحد من استقلالها وتقتطع من سيادتها وتخلق في نفوس ابنائها شعوراً بمركب النقص ، يسبب لهم القلق الدائم .

واحتل الغربيون بعض الاقطار العربية منذ عشرات السنين ، وورثوا بعضها عن السلطنة العثمانية ، مغلوبتهم في الحرب العالمية الاولى . دخلوا هذه الاقطار ذات الحضارة العريقة ، والسواد الاعظم من سكانها يخبط في دياجير الجهل ، ويخضع الجميع لحكم استبدادي متسلسل ، يبدأ بالسلطان ويمتد عبر الباشوات والمشايخ والاقطاعيين . ولسنا ننكر جانباً من الخير حمله الغربيون الى هذه البلدان المحتلة ، جانباً جعل للاستعمار نصيباً من اسمه الصحيح المشتق من العمران ... كان عليهم ان يحسنوا احوال البيئة التي يحيا فيها حكامهم وجنودهم وان ينموا موارد تلك البلدان ليزداد كسبهم منها ، فكان لا بد من نشر خيرات حضارتهم المادية في التعمير والترميم ، وكان لابد من فتح مدارس لاولادهم واولاد اصدقائهم والمتعاونين معهم من اهل البلاد . وكل هذا وما شاكله أفاد البلاد بطريقة ربما كانت غير مقصودة .

ولنحصر الكلام في تبعات الغربيين تجاه اساليب الحكم التي سادت الدول العربية في الشرق الادنى بعد ان ناضل ابناء تلك الدول نضالاً طويلاً وحصلوا على انواع مختلفة من الاستقلال . ماذا فعل الغربيون طوال المدة التي تسلموا فيها مقدراتنا لنشر الديموقراطية الصحيحة ، ديموقراطيتهم هم التي يمارسونها في بلادهم؟ لقد تعاونوا دائما مع الباشوات ، ومن في حكم الباشاوات وخلقوا احيانا طبقة جديدة من الباشوات ، واقاموا او شجعوا على قيام مظاهر وواجهات للديموقراطية البرلمانية فجاءت الدساتير ملغومة دائما بسلطة ديكتاتورية لرئيس الدولة الذي كان يفرض فيه الولاء لهم والتعاون مع مندوبيهم السامين . وهكذا نشأت عندنا تقاليد ديموقراطية عجيبة : رئيس الدولة يعيّن الحكومة التي يريد ، والحكومة بدورها تجري الانتخابات العامة وتأتي بالنواب المرضي عنهم والمرغوب فيهم ، ولها ان تصرفهم بموافقة رئيس الدولة متى شاءت ، ولرئيس الدولة ان يصرفها ويصرفهم متى شاء ... فاذا البرلمان المفروض انه يمثل الشعب ومصدر السلطات والرقيب على الحكومات ، يمسي اداة في ايدي الحكومات بل العوبة تشد خيوطها من وراء الستار لتمثل الرواية على الجمهور ... وفطن الجمهور الى اللعبة ، واستخف بهذا النظام البرلماني الذي يجعل من نوابه حكاماً من الدرجة الثانية او الثالثة يقتسمون المغانم مع حكام الدرجة الاولى . استخف وضحك بادىء الامر ثم قرف وقنط ...

ولعل هذه البرلمانية المسيخة ، كان من المحتمل ان تستشفي وتنقه وتستقيم ، لو اتيحت لها بيئة صالحة ، لو ان العرب شعروا في اقطارهم ببعض الطمأنينة ولم يظلوا وجهاً لوجه مع مشكلات قومية واقتصادية وسياسية . فبسبب الغربيين دائماً ، رأى العرب انفسهم دويلات شتى ، تنتصب ما بينها الحدود والحواجز ، فتوجد عند ابنائها روحاً من السخط والغيظ والقهر من الناحية

القومية ، وتبتليهم بالضعف والهزال في الناحية الاقتصادية والسياسية. ثم ان الغربيين – وقد اعترفوا باستقلال بعض هذه البلدان وسيادتها – تركوا فيها عن طريق معاهدات مفروضة اوتاداً اشد وطأة وخطراً من اوتاد جحا. وهذه الاوتاد التي من السخف والبطل تشبيهها بالمطارات الاميركية مثلاً على الارض البريطانية ، ليس من اقل آثارها انها تحفر في قلوب المواطنين اخاديد ملأى بذكريات الماضي ، ماضي الاستعمار البغيض. وهذه الاوتاد بالذات ، هي التي كانت بمثابة حجر يلقى دائماً في مياه الحياة الداخلية العربية ليعكر صفوها، ويجعل رواسبها تطفو على السطح ، فيختصم السياسيون ويقتتلون ويصرفون صرفاً عن ترتيب البيت وتجميله.

وكانت الضربة الاخيرة ، الضربة الساحقة التي سددها الينا اصدقاؤنا الغربيون ، الضربة التي زعزعت الكيان العربي ، وهدمت ركناً من اركانه ، ركناً كان يقوم وسط الهيكل ، هي إسرائيل. ويظهر انها كانت بمثابة لكمة الاجهاز تنهال على وجه النظام البرلماني المسخ في بعض البلدان العربية. فقد أحس العرب هنا وهناك وهنالك – بعد فترة من الانشداه والغيبوبة اختلفت طولاً وقصراً – ان المهزلة لم تعد مضحكة ولا مثيرة للاشمئزاز فحسب ، بل بدأت تتخذ شكل خطر ماحق لا يبقي ولا يذر.

وكان بديهياً ان يكون رد الفعل اشد ما يكون قوة في البلدين اللذين اصابهما اكبر نصيب من البلاء ، عنيت مصر وسوريا، حيث هب الجيش فقلب النظام الفاسد ليحل محله نظاماً تطهيرياً يكون جسراً بين الديموقراطية الشوهاء والديموقراطية السليمة. فقادة الجيش في البلدين يؤمنون بالدستور والحياة الدستورية والنظام البرلماني ، ويدركون ان هذا النظام هو النظام الوحيد الذي يكفل الاستقرار والاستمرار لشعب حر دون هزات ومفاجآت لا يستطيع احد ان يتكهن بنتائجها او يأمن السيطرة عليها. لكنهم يريدون ان يقوم هذا النظام على اسس متينة ، ولن يتسنى ذلك قبل فترة انتقال – في مصر حددت بثلاث سنوات – وفي سوريا لم تحدد – ترمم ما تهدم من اخلاق الامة وما تقوض من مؤسساتها ، وتغرس في الارض العربية نبتة الديموقراطية الصحيحة التي تعني سيادة الشعب حقاً ، اي سيادة الكفاءة والنزاهة بصرف النظر عن اصل صاحبها ونسبه وماله وطبقته ، الديموقراطية الصحيحة التي ترمي الى خير الشعب ورفاهيته ، اي الى خير اكبر قسم ممكن من المواطنين ، لا الى فئة محظوظة تحتكر المغانم بالحلال والحرام ، الديموقراطية الصحيحة التي لا تكتفي بمظاهر المناقشة الحرة التي كانت تتحول في البرلمان الى مباريات خطابية ومهاترات حزبية ، وانما تسعى الى ان تجعل من البلد كلاً متماسكا يعمل وينشط ، يتطور وينمو ، في ظل الفضيلة والحرية والقانون.

اما في لبنان والعراق ، فكان رد الفعل اضعف ، لكنه بادرة تحرك على اي حال. فقد ادخلت على قانون الانتخاب في البلدين تعديلات من شأنها ان تخفف وطأة الطبقات العتيقة التي تعودت الاستئثار بالحكم ، وجعلت من السياسة مطية جاه ومورد ارتزاق. واستعان العراق بالحكم العسكري فترة قصيرة ، كما استعان لبنان بالمراسيم الاشتراعية لمدة ستة اشهر. وما زالت التجربة البرلمانية قائمة في البلدين تحاول اجتياز امتحانها الاخير.

* * *

لقد عملنا شيئاً في البلدان الاربعة التي تؤلف طليعة البلدان العربية ، ولم تمر محنة فلسطين ككل شر دون ان تجر بعض الخير. لكننا ما زلنا في اول الطريق ، الطريق الشائك الذي يطل على آفاق جميلة. وعلى مبلغ ما نتحلى به من تضحية وصبر وذكاء ، يتوقف اجتثاث الشوك المتكاثف ، فبلوغ المحجة.

اننا لا نذهب مع الخيال ولا نسترسل في الغرور ، فنزعم ان النظم التي انهارت والرجال الذين ذهبوا كانوا كل شيء في اسباب ضعفنا ، واننا بمجرد انهيار تلك النظم وذهاب اولئك الرجال ، قد انتصرنا على كل مصاعبنا. فالواقع ان علل ضعفنا كثيرة ، فيها الروحي وفيها المادي. لكن ما اقدمنا عليه هو الانتفاضة الاولى نحو التقدم. انه دليل ارادتنا في البقاء ، وطموحنا الى حياة افضل. ولسنا ننسى ان فينا نخبة هي اهل لأن تجر العجلة ، شريطة ان تتكاتف وتتساند وتشد في اتجاه واحد ، ولا يقوم من بينها من يتلفت الى خلف ليدس العصي في الدواليب.

لقد مشى العسكريون في سوريا ومصر فيجب ان يمشي معهم السياسيون ، او على الأقل ان يتركوهم يمشون ماداموا يمشون في الطريق المستقيم. ويجب ان يتغاضوا عن بعض هناتهم لانهم ليسوا معصومين ، وما دامت هذه الهنات – اذا حدثت – لا تؤلف خطراً على الجوهر. يجب ان تزول هذه العقلية التي هيمنت على اكثر سياسيينا ، وهي ان الخير لا يكون خيراً إلا

الأدب : ناقد الدّولة !

بقلم رئيف خوري

ويسألونك عن علاقة الادب بالدولة ، كيف يصح ، ان تكون ؟ ويشدّدون في السؤال حتى لقد التمست لهم مثلاً في الحافهم فما وجدت اقرب من ديوجين الاغريقي ، يوم حمل قنديلاً مضاءً في رابعة النهار ، ومضى ضاحكاً متفجعاً يفتش عن انسان في السابلة .

ولست إخالك الا سمعت بديوجين هذا ، وعلمت من امره انه كان ، الى حمله القنديل المضاء ، يتخذ له بيتاً في برميل !

أجل،ولا احسبك الا ذاكراًيوم اتاه الاسكندر المقدوني، مشرّفاً له بالزيارة ، ناثراً له آيات الاعجاب ، وديوجين عند برميله منغمس تحت قرص الشمس في فيض من الدفء والضوء .

قال له الاسكندر : الا تعرض علي حاجتك ياديوجين فاقضيها لك ؟

فنظر ديوجين الى الفاتح المنتصب امامه بقامة فارعة ، وخوذة لامعة ، واجابه :

— خلّ بيني وبين الشمس ، تلك حاجتي اليك . لقد قبض عني ظلك النور !

اني ، يا صاحبي ، مع حفظ الفرق بين ديوجين الاغريقي وبيني ، ثم بين الاسكندر المقدوني ، وأولياء الأمر — ، كافأهم الله او فليفعل بهم ما وسع عدله.! — اقول للدولة ، بلسان الادب :

— خلي بيني وبين الشمس ، تلك حاجتي اليك !

ليس ينتظر الادب في كنف الدولة الا ما ينتظر الزهر اذا قطف من الحقل ليوضع في آنية بين اربعة جدران . فقل لي : كم يعيش الزهر ،اذاً ،قبل ان يذوي ورقه ويغيض رونقه ويذهب عطره وسحره ؟ بل ما لي أنسيت ان من الزهر ما « يعيش » طويلاً في الآنية ؟ على انه — وأسفاه ! — لا يكون زهراً وانما هو بعض كرتون وقراطيس « وتنك » زوّر بالشكل واللون على الزهر تزويراً .

يصح ، في المصادفات السعيدة ان يتفق للدولة ان تحترم بعض غايات صالحة من الغايات التي يخدمها الادب . وهنا يسوغ ان تقع مهادنة ، لا مسالمة ! ، بين شطر من الادب وجانب من الدولة. ومع ذلك لا يجوز الا ان يبقى الادب قائماً تحت رايته الخاصة ! لا يصح للادب ان ينكس رايته ليسعى تحت راية الدولة ولو نقشت على الرايتين ، في وقت من الاوقات ،

اذا تحقق على أيديهم هم ، وان من واجبهم « القومي » ان يعرقلوا كل مسعى يتحقق على أيدي سواهم ...

ولسنا ننسى اننا في حاجة الى كفاءات فنية والى رؤوس اموال من الخارج ، واننا لا نعيش في هذا العالم على حدة . فيجب ان نمد ايدينا الى كل هذا ، وان نفتح له صدورنا ، وان نكبت في هذه الصدور كل ما أكنته من حقد وضغينة على الاقوياء الاجانب الذين استثمرونا وعبثوا بنا في الماضي. فليس من سياسة سليمة تبنى على الاحقاد، وقد ولى زمن العزلة والانطواء .

وتاريخ الامم كتاريخ الافراد ، قد يكون لك خير الاصدقاء في من كان ألد الاعداء . زد على ذلك ان صداقتنا لن تكون من طرف واحد ، فهناك أيد تمتد الينا بالصداقة ، وهي ترى في صداقتنا من الخير مثلما نجد في صداقتها . وليس علينا إلا ان نحسن الاختيار وان نضبط الحسابات ، لان الحسابات المضبوطة كفيلة بديمومة الصداقة .

وقبل الصداقات ، تأتي الاخوة ، هذه الاخوة العربية التي هي حقيقة لا مراء فيها ، لا ننفك نناديي بها في كل ظرف وكل مكان ، لكننا مع الاسف لا ندفع بها في ميدان الانتاج ، ولا نصبُّها في القوالب الكفيلة وحدها بجعلها تؤتي ثمارها . ولعل القضاء على بعض الطبقات العتيقة الحاكمة والاتجاه صوب الديمقراطية الصحيحة خليق بها ان يشقّا الطريق نحو بلورة هذه الاخوة في اتحاد فعلي وثيق .

تبقى مشكلة حرية الفكر باوسع معانيها.. وهذه لا بد ان تتأثر في ظل نظام آمر Autoritaire مضطر الى حث الخطى . وفي اعتقادنا — مع اعترافنا بان الحياة لا تستحق ان تعاش دون حرية الفكر — انه اذا كان لا بد من بعض القيود في فترة انتقالية هي فترة إنقاذ ، فيجب ان نتقبل ذلك برحابة صدر ، ونذكر انه عندما تكون الحرية ، حرية الوطن كله في خطر ، تصبح حرية الفكر وكل الحريات العامة في كفة ، وحرية الوطن التي هي الاساس في كفة .

محمد النقاش

شعارات واحدة . ولا يسوغ ان يستحيل الادب بخوراً ثم يحرق لحكام الدولة ، بل لا يجوز ان يسكت الادب كله عن الدولة كلها. ينبغي للادب ، اياً كانت الحال، ان لا يتعطل من منبر نقد صارم للدولة تُسلط منه اضواء كشافة، بل فضاحة ، على الدولة وعملها!

فعلام ؟ علام هذا التعارض الصميمي بين الادب والدولة ؟ ذلك مرده الى طبيعة الأدب ، وطبيعة الدولة (كدت اقول غريزتها !)

الدولة مهما بدا لنا من مظاهر أمرها ، ومهما نسب اليها من الغايات المثالية ، انما هي في الواقع اداة ضغط وتقييد واكراه وهي أداة ضغط وتقييد واكراه لمصلحة قسم من المجتمع يقل، أو يكثر . ولكنها ليست اداة ضغط وتقييد واكراه لمصلحة المجتمع كله بالنسبة ذاتها لانها حين تتصف حقاً بهذه الصفة يكون المجتمع قد خلص من تناقضاته ، وبريء من التفاوت ، وانسجم انسجاماً كلياً ، وبالتالي تكون الحاجة قد بطلت الى الدولة التي تحفظ بالقوة بناء الهرم الاجتماعي الراهن من ان يضطرب مع العواصف او تطيح به الزلازل بفعل تناقضاته .

والدولة ايضاً اداة تقنين. ولست اعني مجرد التقنين في الاغذية والاكسية وانما اقصد الى دلالة اوسع وأبعد. اقصد الى ان الدولة تأخذ ضرورة بما يسمونه « التفكير العملي » ، التفكير المقيد بقاعدة يسمونها «تقديم الاهم على المهم واهمال غير المهم» ، بحيث نجد مثلاً ان انتاج البطاطا في ظرف من الظروف ، يعد أهم واجب تواجهه البلاد ، فلا تباح اثارة موضوع لا يمس البطاطا ، من قرب او بعد ، وبحيث نجد في ظرف آخر ان تمجيد زعماء الدولة يُعتبر اهم واجب ، فلا يباح الكلام في موضوع الا اذا كانت الفاتحة والخاتمة تحدثاً بنعمة الزعماء وتبخيراً لهم ، ثم بحيث نجد ان بعض الموضوعات قد اصبح محرماً إما لان اوانه قد فات او لان زمانه لم يأت بعد ، او لذريعة اخرى من الذرائع .

فكيف مع هذا نريد ان لا يكون تعارض صميمي ، بين الادب والدولة؟ والأدب، في مقابل الضغط والتقييد والاكراه الذي هو سر الدولة ، لا تراه يطلب حاجة كما يطلب الحرية ، ولا تراه ينشد بغية كما ينشد الانطلاق. ذلك ان الادب مردّه الى عاطفة ، وفكر يعبران عن ذاتها . والتعبير الجهري ، شرطه الاول الحرية، والقدرة على الانطلاق ، والا اختنق بعضه اختناقاً وبعضه الآخر جاء ممسوخاً بما التمس من سبلٍ ملتوية يتخذها متنفساً يدرأ به عنه الاختناق .

كيف نريد ان لا يكون تعارض صميمي ، بين الادب والدولة ؟ والادب ، في مقابل الضغط والتقييد والاكراه الذي تتحمله الدولة من الحكام لاستبقاء الحكم لاشخاصهم والاستئثار بالسلطة ، لا تراه يطيق احتكاراً ، فهو بطبيعته باب مفتوح لمن شاء ان يعانيه ، وفائدته ومتعته مباحٌ تناولهما لمن يتناول، ثم ليس للأدب حكم يمكن البقاء فيه للحكام بالطرق التي يستطيع بها حكام دولة ان يتشبثوا بمقاعدهم . ان الادب لجمهورية مطلقة ، لا تقرر فيها القضايا لا بالاصوات الانتخابية ، ولا بالخناجر الهاتفة ، ولا بالاكف المصفقة ، ولا بنبابيت الشرطة ، ولا بالاموال المبذولة في افساد الضمائر. ذلك ان هذه جميعاً غايةُ قدرتها (حين تقدر) ان تقرر اموراً الى أجل محدود وموعد مضروب ، بينما قضايا الادب قد لا تقررها اجيال بل قد يقررها جيل على وجه ثم يقررها جيل آخر على وجه آخر .

وبعد ، فكيف لا يكون تعارض صميمي ، بين الأدب والدولة ، والادب، في مقابل التقنين الذي هو لازمة الدولة فتُقدم بحسبه ما تسميه الأهم على المهم ، وتهمل ما تعتبره غير مهم ، الأدب في مقابل هذا تتسع آفاقه في وقت واحد لكل ما يعني الشعور البشري ، والعقل البشري ، بل لكل ، ما عنى هذا الشعور وهذا العقل في الماضي ، وكل ما يعنيهما في الحاضر وكل ما يمكن ان يعنيهما في المستقبل . ومن هنا كنا نرى الادب لا يفتأ ، الى اهتمامه بالحاضر ، يرد بصره الى الماضي ويرحل رحلات اكتشاف الى مطويات التاريخ ، كما يمدّ بصراً الى المستقبل ويرود مكنوناته . وكلٌ ضروري ، لأن من لا يبصر جيداً اذ ينظر الى وراء ، لا يبصر جيداً اذ ينظر الى مكانه او الى امام . وفي احيان يثير الادب في امتداده الى امام ، مسائل مستقبلة لو منع منها بحجة ان وقتها لم يأت بعد ، او انها كناية عن تمنيات عقيمة او احلام بليدة ، لترك ذلك نقصاً لا تسد ثغرته في الضمير البشري، ولا في التطور البشري. لنتصور ان الدول التي قامت قديماً قد تسنى لها ان تقنن الادب ، فماذا كان يحدث ؟ أفكان يعقل ان تبيح الدولة ، عن رضى ، للادب ان يرسم حالةً افضل من تلك التي تمثلها الدولة الراهنة ؟ افكان يعقل ان تجيز الدولة عن رضى، للادب ان يبحث فيها على اعتبارها شيئاً يخضع للتبدل والزوال؟ افكان يعقل ان تأذن الدولة للأدب ان يتناول حكامها بوصفهم اشخاصاً يحق للمحكومين ان ينبذوهم ساعة يشاؤون ؟ لا ، ليس في طبيعة الدولة (بل غريزتها !) اذا

تسنى لها ادخال التقنين على الادب ان تبيح له برضاها واختيارها ان يعالج حالة تزول فيها الدولة واشخاصها في سبيل الافضل والاعدل ، والاجمل والاعلى . وهكذا تغلق فوراً على الادب الذي تقننه الدولة ، كل الموضوعات التي تتصل ، من قرب او بعد ، بحالة تزول فيها الدولة وأشخاصها : ومن استطاع ان يدلني حتى في عصرنا الحاضر على دولة لا تصدق عليها هذه القاعدة، كنت له من الشاكرين .

لقد سخر آناطول فرانس من بلينوس الأصغر الذي كان يدرس أحد خطباء الاغارقة بينما كان بركان فيزوف يدفن على مرأى منه خمس مدن في الرماد المحموم. ولكني أجد سانشوبانزا في رواية دون كيخوتي ادعى للسخرية والشفقة حين نصّب ملكاً على احدى الجزر ووكل به نفر من الاطباء يقننون له الطعام حرصاً على صحة جلالته . فلا يكن الادب هو بلينوس الأصغر ، ولا سانشوبانزا ! وان طبيعة الادب التي تقضي عليه بأن لا يكون شيء انساني غريباً عنه ، لتكفل ان لا يطيق الأدب سلوك بلينوس الأصغر، ولكن لا شيء في غريزة الدولة، يضمن انها لا تفعل بالادب ، اذا هو استسلم لها ، او سالمها ، كفعل الاطباء المقننين بسانشوبانزا المسكين الذي زعموه ملكاً، ثم احتجوا بصحة جلالته ليلغوا سلطته حتى على لقمته حين ينبغي له في نظرهم نصف لقمة .

واخيراً ، لامناص من معترض يقول : واذاً ، فانت تريد الدولة كل دولة ، أن لاتعنى البتة بشؤون الأدب ، وتريد الأدب أن لا ينتظر البتة من الدولة واجباً نحوه ... انك تريد الطلاق ثلاثاً بين الأدب والدولة !

كلا ! ليس ذلك ما أرمي اليه ، لانه مستحيل . وانما أرمي الى ان الأدب لاينبغي له ان ينسى ان بينه وبين الدولة تعارضاً صميميا ، وان طبيعته تقضي عليه ان لا يتعطل من منبر نقد صارم للدولة ، وان رايته الخاصة هي التي يجب عليه أن يسير تحتها دائما حتى حين يصادف في وقت من الاوقات السعيدة ، ان تتفق شعاراته وشعارات الدولة .

أما ان يكون للدولة واجب نحو الأدب ، فذلك ما لا جدال فيه . الا ان اتمامها واجبها نحو الأدب لايعني ان تتحكم فيه ، او أن يتنازل قيد انملة عن وظيفته في نقدها ، فان قيل : علام اذاً ، تقوم الدولة بواجبها نحو الأدب ؟ قلنا : يجب ان لاتقوم الدولة بهذا الواجب على اعتباره انعاما منها بل على اعتباره عملاً ان لم تقم به تعرضت لمزيد سخط من الشعب .

وواجب الدولة نحو الأدب لا يكون بما تضمن للادباء من « مواعين » وورق الطباعة ، او بما تختصهم به من مشاهرات وهم لايفعلون الا « النوم » على « مخدات » من قصائد ومقالات انشأوها « قبل الطوفان » . كلا ، ولا يكون واجب الدولة نحو الأدب بمنح تبذلها للادباء لمجرد اسم جمعية ادبية يحملونه ، او لمحاضرات يكلفون ارسالها من محطة الاذاعة ولا شافع لها الا تنفيع الأديب كما يقال .

تستطيع الدولة وينبغي لها ، في كل عام ، أن تذيع طائفة من الابواب والموضوعات تلتمس من الادباء ان يؤلفوا فيها ، في مقابل جوائز تبذل للفائزين منهم ، مع طبع الكتب الفائزة وترتيب طرق لطبع الكتب غير الفائزة ايضاً اذا كانت مستحقة.

بل تستطيع الدولة ان تتمم واجبها نحو الأدب بما يكون ابعد اثراً واعظم ثمراً . تستطيع ، مثلاً ، ان تبني داراً للتمثيل فتبعث الى الوجود فناً من الأدب اشرف عندنا على الاضمحلال.

ولكن ، مع هذا ، يبقى أهم واجب على الدولة نحو الأدب وثيق اللحمة بواجب الدولة نحو البلاد من نشر المدارس وبث التعليم وقمع الامية واعلاء مستوى الثقافة واشاعة البحبوحة . فقضية الأدب ترتبط ، قبل كل شيء ، بقضية شعب يقرأ . على أن هذا يعود بنا الى حيث بدأنا . فدولة تحترم الأدب ، على هذا النحو ، بانشاء أمة قارئة ، لا تهبط بقفة من السماء ، تلك دولة تنبثق من مسعى الأمة ومن تتميم الأدب لرسالته ان يكون منبر نقد صارم للدولة .

فأنت ، ايها الأديب ، منذ اخترت لنفسك ان تكون اديباً ، قد حرمت على ذاتك ان تصبح علاقتك بالدولة افضل من علاقة مهادنة جزئية في خير الحالات . انت محتوم عليك بطبيعة الأدب ، ان تقيم منبر نقد للدولة ، وتقوم عليه ناقداً تحت راية العقل والعاطفة وحق التعبير . ولقد تجد نفسك وحدك ، فان كنت لا تطيق هذه الوحشة ، وان كان يعجبك مال كثير او تفتنك المناصب ، فلم كنت اديباً اذاً ؟ لقد ملأ اسلافك الدنيا صياحاً ونواحاً ، وتضجراً وتذمراً ، منذ قالوا : لحقت به حرفة الأدب ، ففهموا الأدب على انه حرفة ومهنة ومرتزق ، ولم يفهموه على أنه دعوة ، وغير مأجورة !

ان مصير الأدب بيد الأدباء لا بيد الدولة !

رئيف خوري

مع المستشرق الروسي كراتشكوفسكي

بقلم : خليل تقي الدين

لينينغراد ... نوار ١٩٤٧

بطرسبرج ! عاصمة القياصرة ، ولينينغراد الثورة الحمراء ، جئتها امس من موسكو بالقطار — وبينهما ليلة — وندمت !

لشد ما يحز في نفسي ان ارى « عزيز قوم ذل » ! » او غنياً دار به دولاب الدهر فافتقر ! او امرأة عرفتها في ثورة الانوثة الصارخة ، والجمال الجارف فعصفت بها السنون فتراخت، وترهلت، وانطفأت الشعلة ، وامحى الجمال ! او مدينة ذات قباب، وقصور، وتماثيل ، ومفاتن عدت عليها عوادي الزمن فاحالت عاليها سافلا ، وجثم البوم ينعق على اطلالها ..

بطرسبرج . لا بل لينينغراد . شادها بطرس الاكبر في مطلع القرن الثامن عشر على ضفاف الـ « نيفا » ليطل منها بالروسيا على مدنية اوروبا الغربية ويجعلها درة في تاجه، وجوهرة فريدة في تيجان القياصرة من بعده . عاصمة ملك ضخم وامبراطورية مترامية الاطراف نزلتها وبي شوق اليها فصدمتني الكآبة المخيمة عليها ، وراعني الفقر البادي على سكانها ، وهذا الاستسلام اليائس الذي رأيته في وجوه ابنائها ، وتلك الخرائب السوداء التي طالعتني طوال الطريق من المحطة الى الفندق .

عندما اراد بطرس الاكبر ان يبنيها حشد لها اكبر عدد عرفه البشر من عباقرة المصورين ، والنحاتين ، والنقاشين ، والبنائين ، والصناع . جاء بهم من روما وباريس وبرلين ومن كل بلد وصقع عرف ان فيه صاحب موهبة ، او ذا ذوق سليم ويدين حاذقتين . ثم اغرقهم بالمال فبنوا القصور وشادوا التماثيل، وتركوا للاجيال المتعاقبة صوراً ارادها خالقوها على ان لا تبلى فكان « قصر الشتاء » ، وكان « الارميتاج » وكانت « كنيسة اسحق » آيات من الفن خالدات . هذه المدينة التي عجزت اقلام تولستوي ، ودوستويفسكي ، وتشخوف عن ان تفي بوصفها ، وقصّر الشاعر بوشكين عن ان يوفيها حقها من الغناء ، وقفت على اطلالها امس واليوم فاذا كل ما فيها يحدث عن مأساتها ، واذا جدران منازلها القائمة من غير نوافذ وابواب اشبه ما تكون بجماجم يبدو منها مكان العينين ، والانف ، والفم ، فتحات سوداء مخيفة تبعث القشعريرة في النفوس .

ماذا دهاها ؟

دهتها الثورة التي اندلعت منها في العام ١٩١٧ . وها هي امام عيني الساحات التي تكدست فيها الجثث في تلك الايام الحمراء : فلما تدحرج آخر رأس من رؤوس القياصرة التي جعلوها عاصمة بذخهم وترفهم، غادرها لينين وخليفته ستالين الى موسكو وخلفوها تبكي عزها الغابر . ثم التف بها الالمان في الحرب العالمية الثانية وضربوا عليها حصاراً دام عامين كاملين ، فلما جلوا عنها كانت لينينغراد قد فقدت مليوناً من ابنائها ، وخسرت اكثر ما كان فيها من تهاويل جمال شادتها يد الانسان .

* * *

... وكنت على موعد مع المستشرق الروسي الكبير كراتشكوفسكي مدير « المعهد الشرقي » في لينينغراد . ولم اكن قد لقيته في حياتي قط . لكنني كنت اعرف انه زار لبنان ومصر عامي ١٩١١ و ١٩١٢ وانه يتقن اللغة العربية اتقاناً لا يدانيه فيه اي مستشرق آخر ، وقد توفر على دراستها طوال خمسين عاماً والف فيها بالروسية اكثر من عشرة كتب .

وكنت ضيق الصدر ، منقبض النفس بعد تطوافي في شوارع لينينغراد . فقلت : لعل حديث الادب ، واللغة ، والاستشراق يسرّي عني ، ويشبع نهمي الى المعرفة ، ويفتح امام عيني آفاقاً جديدة . ولم يخيّب كراتشكوفسكي ظني ، فكانت زيارتي له ، وحديثي معه خير ما حملته من رحلتي الى لينينغراد من ذكريات .

طرقت باب المعهد الشرقي فاستقبلني كهل عريض الوجه ناتيء الوجنتين ادركت للوهلة الاولى انه من اواسط آسيا ، وقبل ان اكلمه سار امامي ودلني على الطريق . ثم فتح امامي باب مصعد ارتفع بنا الى الدور الرابع . وما كدت اخرج من المصعد حتى تلقاني شيخ مهيب الطلعة طويل الشعر ابيضه بقوله ،

العربية فصحى لا تشوبها اي لكنة : اهلا وسهلا بحضرة الوزير قلت : بالمتأهل ، لا شك انني في حضرة استاذنا الكبير كراتشكوفسكي . قال ، وهذا هو كلامه بالحرف : « اخشى ان يصح في قول المثل . « تسمع بالمعيدي خير من ان تراه . » قلت : استغفر الله ياسيدي الاستاذ . اني سعيد بزيارتكم . قال وهو يبتسم ، بل يضحك : « انا صرت مثل الفيل في حديقة الحيوانات ، يزوره الناس « للفرجة . »

وكان قد دعاني للجلوس امام مكتبه ، داخل مكتبة كل جدرانها خزائن مليئة بالكتب العربية . ثم قدم لي سيكارة واستأنف الحديث فقال : — كيف فؤاد افرام البستاني ؟ هل هو يعلم دائماً في اليسوعية ؟ قلت : — اجل . قال : هل تعرفه شخصياً ؟ قلت . اعرفه جيداً ، وهو صديقي . قال : انا لا اعرفه شخصياً ولكنني اعرف عنه كثيراً . « الروائع » جميلة جداً . تعجبني اساليبه وانتقاداته . هذا كتاب يبدو صغيراً ، لكنه جميل ومبوب تبويباً حسنا . نحن ندرس بعض اجزاء من الروائع . مثلاً « الجاحظ » وابن بطوطة . فؤاد البستاني من عائلة البستاني المشهورة . اليس كذلك ؟ قلت : أجل وهو واحد من هؤلاء الاعلام الذين يزفهم لبنان من حين الى حين الى الاداب العربية . »

واضفت : ومن تعرفون من ادباء العربية ياسيدي الاستاذ ؟

قال : — عندما زرت لبنان ومصر قبل الحرب الكونية الاولى تعرفت بعدد كبير من المشتغلين باللغة والاداب . لكنهم كلهم ذهبوا الى الاخرة . وانا اليوم تشرفت بمعرفتكم ... واعرف بالمكاتبة ميخائيل نعيمة ، وطه حسين ، ومحمود تيمور .

— وهل يصلكم شيء من المؤلفات العربية الحديثة ؟

— يصلنا من مصر اكثر مما يصلنا من سوريا ولبنان وغيرهما من البلاد العربية . وقد قرأت اخيراً « وحي الصحراء » لمحمد حسين هيكل . وهو كتاب يلفت النظر . وقرأت لطه حسين ، وهو متطرف قليلا اعتبر ان جميع الشعراء كوضاح اليمن منحولون ، واظنه متطرفاً في هذا ، لكن انتقاداته مليحة ونظراته طيبة .

قلت . يا سيدي الاستاذ . يزعجني امر احب ان استشيركم فيه . كلما ركبت سيارة او طائرة او قطاراً وحاولت ان اسمي الاشياء التي تقع عليها عيناي باسماء عربية شعرت بعجزي او بعجز لغتي . واخاف ان تتخلف اللغة العربية عن ركب الحضارة . فكيف السبيل الى تدارك ذلك ؟ كيف السبيل الى لحاق اللغة العربية بالمخترعات الحديثة ، والتعبير عنها ؟ قال كراتشكوفسكي : — اظن انه يوجد طرق متنوعة . ويمكنكم ان تفعلوا مثلما فعلنا نحن بالروسية . نحن اذا لم نستطع ان نترجم كلمة اجنبية الى الروسية اخذناها كما هي وتركنا للاستعمال ان يصقلها ويهذبها . اللغة العربية قوية جداً وهذه سعادتها لانها تهضم جيداً كل الكلمات التي تأخذها من اللغات المتنوعة .

قلت : — كنت منذ ايام اتمشى في احد شوارع موسكو فقرأت في واجهة مخزن كلمة « اودوكولونيا » بالروسية مع انها كلمة فرنسية بل ثلاث كلمات Eau De Cologne . ولما سألت في ذلك سكرتيرتي الروسية ناقشتني وادعت ان الكلمة روسية خالصة ولا علاقة لها البتة باللغة الفرنسية . فضحك الاستاذ كراتشكوفسكي وقال : ولم لا ؟ لماذا لا تصبح هذه الكلمة روسية ؟

قلت : ان سيدي الاستاذ اذن مؤمن بمستقبل اللغة العربية اذا أخذنا الكلمات الاجنبية كما هي كلما تعذرت علينا الترجمة والاشتقاق .

قال : اجل . اجل . لقد اخذتم « تلفون » و « تلغراف » وهذا حسن جداً . ثم انفرجت اساريره عن ضحكة بريئة كضحكة الطفل وقال : ان لغة صنعت من كلمة « فوهرر » فهارر وفهاررة ، ومن كلمة « بنك » بنوك وبنوكة لا يخشى عليها ، ولو لم اكن مؤمناً بمستقبل اللغة العربية لما كنت اشتغلت بها خمسين عاماً . اني لست مؤمناً فقط بل اني موقن ، هذا هو اليقين . اني من الموقنين باللغة العربية . كل الدلائل تدل على ذلك . وختم عبارته بقوله : « لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .

كان كراتشكوفسكي يتحدث الي وهو بادي الحيوية والنشاط . لكنني قلت له ، ولا ادري لماذا : — اخاف ان اتعبك ياسيدي الاستاذ .

فما كان منه الا ان اجابني : « تعبكم راحة ، تعبكم راحة » ثم نهض من مكانه ودعاني الى زيارة المكتبة وبدأ يتكلم العامية بعد ان كان يتكلم الفصحى . قال لي : تفضل تنشوف المكتبة بدي فرجيك قسم المخطوطات . . »

وآخر كتاب اصدره كراتشكوفسكي كتاب باللغة الروسية « بينما انا منكب على المخطوطات العربية . »

واستغرق تطوافي بالمكتبة اكثر من ساعتين علمت في خلالها ان فيها عشرين الف مخطوطة عربية ونحواً من عشرة آلاف

غزل ...

الحبيب الأسمر

قرّةُ عيني منعّمٌ أسمرْ
أميرُ حسنٍ ، سبحان من أمّرْ
النهرُ والجسرُ ثمّ موعدنا
خلف البساتين ، والهوى أخضرْ
يحبُّني الف مـرّةٍ ، وأنا
أحبّهُ الـف مرّةٍ أكثرْ
مصوغةٌ منه مهجتي قِطعاً
محبوكةٌ بالقوام والمئزرْ
كأنّ في دلِه ومشيتـه
غصنين جاآ وثالثاً قصّرْ ...
في شفتيـه ، من وهم عضّها
وردٌ يُعرّى وفستقٌ يُقشّرْ
وعلى العنـق ، حول مشقتـه
عيد الغوالي ، وموسم العنبرْ

اغنية الوصل

نحن في الحبّ تلاقينـا
وعقـدنا بين قلبينـا
نحن في عيدٍ ، وفي فرحٍ ،
بارك الحـبُّ حوالينـا
قد لبسنا زينةً عجبـاً
وعلى الوصل تحلّينـا
نحتسي ، والكأسُ واحدةٌ
هكذا نحـن تعاطينـا
شفتي في الكأس تتبعـه
دون أن يذكر لي أينا ...
لو يبيت العمرُ نهر طـلا
وعببنـا ، ما ترويّنـا !

امين نخله

مخطوطة فارسية وتركية . واراني المستشرق مخطوطات وصفها بانها « فريدة في نوعها » منها :

— مقامات الحريري مصورة — من القرن الثالث عشر وهي مخطوطة لا مثيل لها في العالم. وهناك مخطوطة في باريس واخرى في فينا ، لكن مخطوطة لينينغراد تمتاز عنهما بعدد من الصور يبلغ المائة . وعلق المستشرق ، وهو يريني المخطوطة بقوله : ربما كانت هذه المقامات اقدم المخطوطات ، وهي تمثـل المدرسة « السورية » (؟) اي مدرسة ما بين النهرين .

— ديوان جرير وهو من اقدم النسخ اذ تعود هذه النسخة الى القرن الرابع الهجري ، وديوان جرير المطبوع لم يؤخذ عن هذه المخطوطة اذ هي لم تنشر بعد ، ويوجد في العـالم مخطوطة ثانية فقط مثل هذه في مكتبة ليدن في هولنده .

— ديوان ابن قزمان وهو شاعر اندلسي عاش في القرن الثاني عشر المسيحي ، وهي نسخة وحيدة في العـالم ، واشعاره كلها باللغة العامية لا الفصحى . ولا شك انها اصل الازجال ، قال كراتشكوفسكي ان استاذاً فرنسياً اسمه كولان اشتغل فيها قبل الحرب لكنه لم يعد يسمع عنه شيئاً .

— ديوان ذي الرّمة : نسخة نادرة ، يوجد مثلهـا نسخة واحدة في العالم في اوكسفورد .

واخيراً اراني مضيفي مخطوطة عجيبة هي مجلد واحد لا اول له ولا آخر وهو تاريخ بني امية وقيام الخلافة العباسية . قال عنه كراتشوفسكي: وجدنا هذا المجلد في آسيا الوسطى عام ١٩١١ ولا يوجد منه نسخة اخرى في اي بلد آخر .

* * *

كنت قد قضيت في صحبة كراتشكوفسكي اكثر من ثلاث ساعات عندما ودعته وكانت آخر عبارة عربية رنت في اذني قوله لي ، وانا اركب السيارة: على الطائر الميمون يا حضرة الوزير . نراك بخير ...

وانتم بألف خير !

خليل تقي الدين

وهم الخلود

بقلم : توفيق يوسف عوّاد

أخي الكريم

وددت لو كانت رسالتك الثانية امامي لاجيبك عن بعض ما فيها . ولكني مزقتها أو طرحتها — لا أذكر . هوّن عليك ، لقد قرأتها قبل ذلك غير مرة وذقت غير مرة حلاوة ما قدّمت فيها من ثناء. فأنا مازلت بالرغم من كل شيء، انسانا. ولا تعتب على التمزيق أو الطرح خارجاً ، فتلك عادة لزمتني منذ دهر ، اي منذ زهدت بقيم الحبر والورق ، وعزاؤك انني لا احتفظ في بيتي بنسخة من كتاب لي ، ولا من جريدة كتبت فيها أو كتبت فيّ — والله يعلم المقادير — وأن مكتبتي ، وكانت تعد المئات من المجلدات ، قد أكلها الفار والغبار ، وكلما درج طفل من اطفالي تركته يجهز على نصيبه منها وعيناي تنظران .

لذة «سادية» أعرفها في نفسي منذ الصغر ، ولكني ماحسبت يوما انها ستمتد الى هذه الاشياء ... وربما وقفت على المزق والبقايا فيأخذني ما خذ امرأ القيس حينما وقف على الأطلال ، أتناولها بيديّ الاثنتين وألمس باصابعي الحيوات الموزعة فيها ، فاذا هي تستعيد ، في طرفة عين ، حجمها وشكلها السابقين ، لحمها ودمها وانفاسها ، واذا هي اشخاص قريبة حبيبة تناجيني بذوات صدورها ، فأنحني عليها أمسح جراحاتها وأسألها عن أوجاعها ، واكاد ابكي .

تقول لي في رسالتك — اذكر ذلك جيداً — « وددت لو أمزّق باسناني من صرفك عن دنياك ودنيانا ودنيا الخلود . » لكأنك خبطتني على رأسي بهذه الكلمات ، فصحوت كما يصحو السكران ، وانتقلت الى دنيا أخرى لست ادري هل هي دنيا الخلود التي تشير اليها ، ولكنها في كل حال وطني الذي هجرته والدنيا التي سلخت فيها انضر ايامي وعمرتها بأمانيّ واحلامي ، وكانت لحظة غمرتني فيها فرحة العائد . لحظة من لحظات العمر لك فيها عليّ اليد . ثم لم ألبث أن سمعت ضحكتي ، فتحسست نفسي فأذا أنا حيث كنتُ وتعهد . فما كان اغناك واغناني .

الخلود ! ما أهون ما تجري هذه الكلمة الضخمة ضخامة الارض والسماء في شق القصبة ! ويقيناً ، لو وعت الاقلام ما تنطق بـه من كبائر لانشقت وذهبت شعاعاً . ولكن ، تلك هي معجزتها التي لا تدانيها معجزة : انها قد تفجّر ، بمجرد انها انغمست في الحبر ومسّت الورق ، قنبلةً ذرية قد تغير وجه العالم ، وهي اضعف ما تكون القصبات . وكل الظن ان هذا هو الخلود الذي تذكر ، والذي وصفه ابو الطيب المتنبي ، إذ وصف المجد ، وكأنه يصف تلك القنبلة :

تداول سمع المرء أنمله العشر   وتركك في الدنيا دوياً كأنما

سئل الكاتب الفرنسي الشيخ « بول ليوتو » : « ما تعتقد الاجيال المقبلة قائلة فيك ؟ » قال : « وما تهمني الاجيال المقبلة وما تقول » ؟ فقيل له : « ألا تكتب للخلود ؟ » فضحك ضحكته الدرداء وقال : « الخلود ! الخلود ؟ ما شأني به بعد ان اصير تراباً في التراب ؟ انا أومن بالسرور ، باللذة . وانما اكتب لأنني اجد في الكتابة سروراً ولذة ، لأني احيا في الكتابة بكل جوارحي . » شيء يقرب الادب من السباحة ، او المصارعة ، او تسلق الجبال . والفرق ان هذه رياضة جسدية ، وتلك روحية . مع العلم ان الجسد ليس غريبا عنها . وكثيراً ما اتفق لي ان اذوق — وانا اكتب او اقرأ — ارتعاشات اشبه ما تكون بارتعاشات الوصال . ورب كلمات اطيب في الفم من القبلات .

بيد ان ذلك ، على جلالة قدره ، دون الغاية . فالايمان بالخلود نار تأججت في نفوس الملهمين اطلاقا . فاذا خبت تلك النار المقدسة خبا الالهام . والكافر بالخلود عاجز ، في الغالب ، عن الابداع .

ولقد كان زمان كنت أومن فيه بالخلود واعيش في دنياه . غرفة عارية وكسرة خبز ، واحتقر اصحاب المدائن العامرة وارباب القصور . هيكل رفعت عمده على ذراعي وطليت سقفه بدم القلب ونور العينين ، واقمت فيه صنمي رباً اعبده واحرق له البخور . اما اليوم فقد انهار الهيكل وتحطم الصنم . اي ريح طاحت به ؟ في اي ارض استقر حطامه ؟ لست ادري . كل ما ادريه — وهذه هي مأساتي — انني انتقلت بعد ذلك الى غير واحد من هيا كل الناس لأعبد ما يعبدون من اصنام ، فلم يمسّ الايمان بواحد منها وتراً في نفسي ، وحطمتها بيديّ على رأسي . ترى ، يا أخي ، انني اعاني شقاء الملحدين . وإنه لاعظم الشقاء.

وبعد ، هنيئاً لك نارك وربك ، وهيكلك ودنياك ، دنيا الخلود كانت ام دنيا الوهم . وما همك الخلود بعد أن تصير تراباً في التراب ؟ لقد عشت الخلود كله في الايمان به والعمل له .

طهران

توفيق عواد

الى عينين شماليتين...

استـــوقفتني ، والطريـــقُ لنا ذاتُ العيون الخضر .. تشكرني !.
كرّمتني – قـــالتْ – بأغنيةٍ والشعر يكرم .. اذْ يكرّمني
.. لا تشكريني ، واشكري أفقاً نجماتـــهُ نزلتْ تطوّقـــني ..
وجنينةً خضراءَ .. ان ضحكتْ فعلى حـــدود النجم تزرعني ..
شاء الصنوبر ان اصـــوّره .. أأردّ طلبتـــه .. أيمكنني ؟ .

***

ونظرتُ في عيـــنيْ محـــدثتي والمـــدُّ ، يطويـــني وينشرني
فاذا الكرومُ هنـــاك عارشةٌ واذا القلوعُ الخضر .. تحملـني ..
هذي بحـارٌ .. كنتُ اجهلهـا لا بدَّ – بعد اليوم – ياسُفُني ! ..
معنا الرياح .. فقـــل لأشرعتي عبّي المـــدى الزيتي .. واحتضني
خَجَلٌ .. اذا لم ترسُ صاريتي في مرفأين .. بآخِرِ الزمنِ ..

***

ماذا ؟. ايتعبُكَ المدى .. أبداً لاشيءَ في عينيـــكِ .. يتعبني ..
أرجـو الضياعَ .. واستريـحُ له يا ويـلَ درب .. لا تضيعني !.
لا تقنعيـــني .. كلُّ ازمنـــةٍ ما عاصرتْ عينيكِ .. لم تكنِ ..

***

وتطلّعتْ فطريـــقُ ضيعتنـــا ما زلتُ أعرفُهـا .. وتعرفني ..
بيتي .. وبيتُ ابي .. وبيـــدرنا وشجيرةُ النارنـج .. تحضنـني ..

***

تاهتْ بعينيها .. ومـــا علمتْ اني عبدتُ بعينها .. وطـني ..

لندن **نزار قباني**

اللهجة العامية اللبنانية

بقلم مارون عبود

كنت ، وما زلت ، وسأظل ، عدواً لاثنين : الداعي إلى إحلال اللهجة العامية محل اللغة الفصحى ، والقائل بكتابة اللغة العربية بحروف لاتينية . كلا الأخوين أضرّ من أخيه ... أيجهل هؤلاء الدعاة ان لكل جيل من الناس لغتين ، لغة يجري بها القلم وهي مادة الكتاب ، والكتاب سجلّ المدنية الخالد ، ولغة تدور على الألسنة وبها تتفاهم الأمة المختلفة الأقاليم . أذكر ولا أنسى ابداً ان واحداً من بني عمي تزوج امريكية وجاء بها الينا ، فحاول احد طلاب المدارس ان يحدثها باللسان الانكليزي فلم يفهم عنها ولا فهمت عنه ، إلا يس ، وأورّيت ، وغود مورننغ ...

وزارني ، منذ اعوام ، مراكشيان فما تفاهمنا إلا بالفصحى. واذكر مرة اخرى ان احد المهوّسين باللهجة العاميّة قرأ لي محاضرة كتبها بلهجتنا العامية ، متوقعاً مني ثناء طويلا عريضاً ، فقلت له هذه الكلمة : خطابك جميل ، إلا أنه يحتاج الى ترجمة . فاحمارّ وجهه ...

وبعد ، فقد تكون لهجة لبنان العامية أنقى اللهجات ، وأقربها إلى الفصحى لانكماش اللبنانيين وتقلصهم في جبالهم الوعرة ، غير المرغوب باستيطانها . هذا ما كان ، أما ما سيكون فمن يعلم ؟ ان سهولة المواصلات، ومطامع الشركات، والمهاجرة من وإلى ، قد تؤدي إلى إفساد لهجتنا ، والله أعلم ..

إذا سمعت لبنانياً يسمي الخادم خذمتشي ، فاحكم حالاً أنه غير جبلي . فعلى ألسنة اللبنانيين تدور تعابير قرشية النسب لا تحصى ، واليك بعض ما يحضرني منها : قطعنا له ثياباً . من كل فج عميق . أساور من ذهب . لولا كلمة سبقت . اسم الله عليه. لا تقع السماء على الأرض . ما هذا إلا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم . سبق عليه القول ، الى آخر ما في كتابي « صقر لبنان » .

ان هذه التعابير من كلامه تعالى ، ولساننا يجري بها حتى الساعة ، فاللبناني لا يعرف مضغ الكلام وقلما رأى في ضيعته الأعجام ، وان مرّ بها واحد فكمرّ السحاب . . . اجتمعت بحمد الأمير ، أمير بني ربيعة فقال لي : ان لهجة لبنانكم أقرب اللهجات الى لهجتنا ، واننا نفهم عنكم اكثر مما نفهم عن سواكم.

نعم ، ان ابتعاد اللبناني وانفراده حملاه على أخذ مسمياته من أفعالها ، فقال : فلاح ، وفاعل ، وأطلق على القيد الذي تشدّ به الحلقة الى النير اسم « الشرع » . تأمل ما أجمل وأدلّ هذا الاسم على ما يعدل به الفلاح بين ثوريه فلا يحمّل واحداً منهما فوق طاقته. وهو يسمي الأداة التي ينكز بها الفدّان «مسّاس» لأنه يمسّ بها مساً . ففي رأس المساس نصل كنصل الرمح ، والمسّاس رمح الفلاح ، وساحة طعانه عقاره. لم يدع قدماؤنا ، حتى المتأخرون منهم ، هذا النهج في مسمياتهم ، فقالوا : « ابو الركب » في حمّى الضنك ، اما اليوم فأخذ بعضنا يقول : جَورَبَ ، ومجورب ، من كلمة جريب ، أي مصاب بالرشح . كان القدماء اذا تعذرت عليهم التسمية لجأوا الى المجاز طابعين على غرار جدودهم فيسمون الشيء باسم جزء منه ، فقالوا : « لستيك » لنوع من الأحذية .

ومن هذا الطراز قولهم لمن رأوه في بحران وسهو : مسطول ، وقاعد مثل السطل لا يهشّ ولا ينش ، ويقولون للخفيف الرأس : مشتول . وعلى هذا الغرار قالوا للقصبتين المضمومتين « عُنيّق » لأن عنقهم ينتفخ عند الغناء بهما . او يسمونهما « قصب » باسم جنسهما ، كما يقولون للمريض « ساخن » من السخونة . ومن تسميتهم الحسنة قولهم : كفّ ورق ، للخمس طلاحي ويلفظونها طراحي . ويقولون « حصّ توم » وفي الحصّ ، لغوياً ، معنى الكثرة ، ويسمون احد اجزائه سن توم لما بينه وبين السن من تشابه .

ويعجبني منهم نهجهم في الاسماء والالقاب والكنى نهج العرب فلقبوا واحداً (الصبح) وهو اكمه ، وسموا آخر (العيوق) وهو يكاد يكون مسخاً . وكنوا رجلا اعشى (ابو ضو) كما قال العرب ابو بصير . وارى ايضا في تسمياتهم ذوقا مرهفا حين يسمون النونة والفحصة (غمّازة) ، وهي نقرة تبدو في الخدين عند الابتسام ، وكانها تغمز . ويعجبني اكثر من ذلك هربهم من الحروف الثقيلة كالذال مثلا ، فاما ان يلفظوها دالا ، او يحذفوها بالكلية ، فيقولون للماهر في مهنته (اصطا) بدلا من استاذ ،

والساذج (سَادا) رادين هذين الحرفين الى اصلهما الفارسي .قال احد المتشرقين : ان اهل لبنان يلفظون الذال دالا فصدق ، ولكنه مثّل على ذلك باذا، فضلّ كعادة زملائه ، فليس هناك لبناني يقول ادا .

ان العوامّ وخصوصاً اللبنانيين ، أعداء كل حرف ثقيل ، فأكثرهم يلفظ القاف همزة ، كقولهم : اسكت بأى ، وهم يحذفون الهمزة حذفاً كاد ان يكون إجمالياً فيقولون : جا ، وجابي ، وجبنا. وإذا سمعت لبنانياً يعكس همزة جاء ويقول: إجا ، فاعلم انه ابن مدينة غير جبلي .

ومن خصائص اللهجة اللبنانية النحت والقلب والابدال ، ولنقل الاختزال واللزّ ان صح التعبير . فيقولون : أيوه ، في أي والله ، وإسّا ولسّا ، في الساعة وللساعة . وهلّق في هذا الوقت ، وبدّي ، بدلاً من بودّي . وأيشو ، ني أي شيء هو. وفي الشوف يقولون : شو بدلا من أيش . أما من يقول شونو فمتحذلق. ان اللهجات في لبنان تختلف باختلاف المناطق اختلافاً جزئياً ، ومن اختلاف اللهجات نعرف السكان .

ومن اختزالهم قولهم : تعا تا ناكول، أي تعال حتى نأكل. و « هَوْ » بدلا من هؤلاء ، كقول الخادمة: بدي كنّس هَوْ . اي بودي أكنس هؤلاء . وكقولهم : أينو ؟ في اين هو. وهيك في هكذا ، وليك في اليك . ويلحقون بها الهاء فيقولون: ليكو اي اليكه ، وليكا اي اليكها ، والبَيكُن اي اليكهم واليكهن . وعلى نسقها تجري « معليك » اي لا عليك .

اما الضم المشبع في عين المضارع وغيرها فمرده الى اللغة السريانية التي طلقوها الثلاث منذ قرنين او اقل ، وهذا الضم أشيع ما يكون في شمالي لبنان . وها نحن نصفي حساب السريانية دفعة واحدة . يقول لك اللبناني الشمالي ، وسيّان في ذلك المسلم الطرابلسي ، والمسيحي الأهدني : طُرابلس ، صابُون ، ويقول : نحنُا ، اي نحن . فكأنهم يردونها الى اصلها السرياني إحْنُا ، مستبدلين النون بالهمزة عدوتهم . وبعضهم يلفظها على حقها السرياني احنو . ويقولون : هيْدي ، اي هَذي هِيَ ، فكأنها من هُودِي السريانية. وعندما يقولون هَيْدْ فهي ترخيم هُودِي السريانية . ويقولون : هَاي اي تلك، فكأنها هُي السريانية . ويناديك احدهم : هُو بدلا من هَا العربية فكأنه يردها الى هُو السريانية . وتحويل الدال ذالاً هو من نوع رد الألفاظ الى سريانيتها، فيقولون : حِدَا في حذاء، وحَدوة في حذوة . ويحولون ايضاً الضاد دالا فيقولون: ركد في ركض . واحياناً يلطّفون فيلفظون الصنّارة سنّارة ، وبعكس ذلك يقولون قصمة في قسمة. اما الابتداء بالسكون، في كسروان والشمال ، فأثر سرياني ، يقولون : حْديد ، حْليب ، سْليم . وقولهم إيدَين في يَدَين ، وإيد في يَد ، سرياني ايضاً . وكذلك قالوا أبّهاتنا في آبائنا ، وبسببها تندروا على الكهنة فسموهم ابْ هات ... وكذلك يلفظون الكرسي كورسي بالضم العنيف لأن سريانيتها كورسيو . وكثرة النون في اللهجة اللبنانية مصدرها سرياني فقالوا : هنّي بدلاً من هم ، ويقولون ضَربتُنْ قتلتُنْ ، وكيفُنْ اهل البيت بدلاً من كيف هم ، فميم الجمع العربي نون في السريانية .

اما وقد شبعنا من هؤلاء فلنعد الى الهمزة . ان عداوتها حملت اللبناني على استعمال الصيغة السريانية فقال: بلاع،وزراع، في إبلع وإزرع وهما سريانيتان . وقاسوا عليهما الافعال العربية فقالوا : دفاع وقطاع، في إدفع وإقطع . ويقولون «منعطوف عليه »وهو مضارع سرياني بلفظه ومعناه . ومن نوع هذا الضم المشبع قولهم ضروب ، في إضرب ، وكذلك يلفظون ناطور بضم النون لان اصلها السرياني ناطور . وتقابل عداوتهم للهمزة صداقتهم للنون فيقولون مرين في مريم، وانتلا بدلا من امتلا . وعلى قاعدة العرب يلفظون النون ميماً اذا تقدمت الباء الساكنة فيقولون شو هو ذمبي ، اي ذنبي . واذا تحركت هذه النون لا تلفظ ميماً .

ان هدف العامة هو الخفة ، فألين الحروف احبها اليهم . وقد ادرك العرب ذلك فجعلوا النون الناعمة لجمع الجنس اللطيف، واما احتجاج سيداتنا وطلبهن عام اول ، ان يخاطبن بالميم ، ففي غير محله، فليدعن الميم لاصحابها وحسبهن النون. والهاء عدوة العوام الثانية فيقولون عطيتو بدلا من اعطيتهُ ، وكذلك الميم في مواضع فيقولون انتو بدلا من انتم . وقد يقلبون الهمزة ياء ليخزوا عجرفتها وتصدرها الابجدية فيقولون نكاية بها : خد هادا يمّا هادا . ويقولون لمّن بتجي ، حبّاً بنونهم الموروثة . وحباً بالضم الموروث ايضاً يقولون هَون وهُونيك في هُنا وهناك . ويقولون : لهو فلان اي لهجة فلان . واظنهم اشتقوها من اللهاة هرباً من ضخامة الجيم . ولفظ الثاء تاء كثير عند عامتنا . يقول لك المعّاز: عندي تنّيه ، وتِنْيان ، ويوم التنين، في ثنية وثنيان والاثنين . ويلفظون الظاء ضاد فيقولون ضلّ

عا رأيك، اي ظلّ على رأيك . ولكن هذا لا يطرد كما يطرد في الذال والثاء . ويفضلون مرق عـلى مرّ فيقولون مرق . والبعض يقولون : مهنتس بدلاً من مهندس . وهم يحذفون ما يستقلون فيقـولون زيرة بدلاً من جزيرة . وللخفة يلفظون التاء المربوطة الفاً فيقولون صورا ، وغندورا . واحياناً يثقلون فيقولون ماضام ومضاليه في مادام ومداليه . ويقلبون هذه التاء ياء فيقولون شوكي اي شوكة .

وهناك قلب آخر في مثل قولهم: جوز، ريلا، اجر، في زوج وليره ورجل . وقد يزيدون حرفاً للتكبير يقولون رجّال ، ويصغرون فيقولون : يا خيّي وياخيتي ، في يا أخيّ ويا أخيتي ، ومن تحريفهم قولهم : ضمّ او تم او ضل عندنا ، اي ابق . ومن اختزالهم للاستفهـام عن الثمن قولهم : بقديش ؟ اي بقد ، او بقدر أي شيء . ومثلها لا شْ وماش وبلاش ، اي ما شيء ولا شيء ، وبلا شيء . وقد جاءت في مقامات البديع ، كما رويت أيش عن ابن الخطاب .

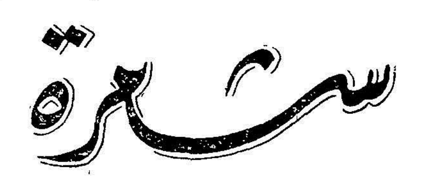
واغرب ما سمعت هذا التحريف : سمس ، ظرص ، زوز ، اي شمس وجرس وزوج . كما يقولون يا ريتو غنى بدلاً من ياليته غنى . ويحرفون كلمة فم فتصير تم ويقولون : سد تمك او بوزك ، وبوز سريانية مستعربة . و كذلك يقولون : مهبول ومبهول وبهله . ومن تليينهم قولهم : بدّي يحكي اي بدأ يحكي . ومن ادغامهم ولزهم وصرهم ما يفعلونه بالاسم الموصول فيقولون : اللي ضرب ضرب ، ثم تصير أل فيقولون مين الضرب ، وهذه المين والمان سريانية . وهم يكتفون احياناً بالهاء فقط عن هـذا فيقولون : هلكتاب حلو . والباء التي يحلونها محل همزة المضارع قد تكون كلام الامر فيقولون : بتروح تقول لفلان يجي لعندي . واحياناً يتركون البـاء فتصبح الجملة دعائية كقولنا : الله يحفظك ، وتذكر الباء فتصير خبرية كقولنا : الله بيحفظك .

ويستعمل عوامنا كالعرب كلمات لا معنى لها فيقولون : كان بان ، او كان مان ، وخبز مبز ، كما قال العرب حسن بسن ، وحياك الله وبياك .

ومن شاء ان يتعرف جيداً الى اللهجة اللبنانية فليقرأ جرائد الزجل التي تكتب باللهجة اللبنانية الاصيلة ، وليصغ كل يوم الى ما يذاع من المحطات المختلفة .

والسلام على القارئين ، على اختلاف لهجاتهم .

مارون عبود



هي منكِ مـا يَبقَـى معي
تَعْويـذةً . . في إصبعي
علِقَتْ بصدري حين دَغْدَغَها
. . عنـاق الأذْرع
علقتْ به . . أتُرى تُريد
لكِ اختبـار الأضْلع !
ما بينهـا . . ما خفقتُهُ
بل خفقتُ فيْض تَولُّعي
مـاء الهوى يَغلي بهـا
فلْتحترسْ . . إنْ تَسْمع . .

* *

يا شعرة قد كان مَصْرعهـا
بساعـةِ مصرعي . .
تَنْساب مِنْ تاج الجمـال
عـلى جبينٍ أرفَـعِ
أين النسـيم يراود
الشعراتِ إنْ تتجمَّعِ
أين العيون تَفيـض
بالأعـابِ . . إنْ تتطلّعِ
اين الوسادة . . هل تُرَى
افْتَقَدَتْكِ إنْ لمْ تَرْجعي
والمشْط . . إنّ المشطَ
منكِ عيونُهُ لمْ تَشْبعِ
والعطر إنْ يَذْكُرْكِ
جادتْ عَيْنُهُ بالأدْمعِ . .

* *

يا من أضعْـتِ شَعْرَةً
لضياعهـا . . لا تجزعي
إني أضعْتُ لديك شيئـاً
كان يَسْكن أضلعي . . .

القاهرة **محمد محمود عماد**

الشرقيّ الجديد وميراثه القديم

بقلم انيس المقدسي

•

من المعلوم ان الشرق العربي هو منشأ الدعوات السماوية العظيمة التي وطدت وحدانية الخالق وحملت الى العالمين رسالة الحق الالهي . فليس من الغريب ان تسوده نزعات روحية وفكرية خاصة توارثها سكانه جيلاً بعد جيل وبقيت حتى عصر متأخر ذات أثر بيّن في حياتهم الفردية والعمومية . وها أنا ذاكر بعض تلك النزعات مقابلاً بين موقف الشرقي منها قديماً وموقفه منها الآن . وأولها :

الانصراف الى ما وراء الطبيعة . فان رسوخ الاعتقاد بعالم غيبي وبكائن سرمدي يدبر الكون بارادته المطلقة ويتصرف باحوال البشر وبنواميس الطبيعة كما يشاء ، ولديه سيقف الأحياء والأموات للحساب فإما الى النعيم واما الى العذاب ، قد أشاع في نفوس الكثيرين قديماً بطلان الحياة الحاضرة ووجوب الزهد فيها والانصراف الى ما يؤهل الانسان للحصول على سعادة الآخرة . ويتضح ذلك فيما نزل على ألسنة الرسل والأنبياء وما لهج به الوعاظ والحكماء كقولهم « ان الدنيا دار بلاغ والآخرة دار قرار » — « باطل الأباطيل ، الكل باطل وقبض الريح » — عش لدنياك كأنك تموت غدا ، وعش لآخرتك كأنك تحيا سرمداً — وما إلى ذلك من العظات البالغات التي يعكسها لنا نثراً وشعراً أدبنا الروحي القديم — أدب الزهد والانصراف عن دار الفناء الى دار البقاء — عن مطالب الجسد الى مطالب الروح :

لدوا الموت وابنوا للخرابِ فكلّكم يصير الى تباب

هذا النظر المتطرف الى الدنيا وحسبانها عرضاً زائلاً لا قيمة له وممراً فقط لوجود آخر قد طبع الحياة القديمة بطابعه الخاص وهو جلي في شتى آثارها الفكرية والفنية .

ان الانسان عبد قِنٌ لارادة عُلوّية قاهرة . فهو لذلك لا يستطيع التصرف بحرّية وليس له الا الاستسلام لقضاءٍ لا مردّ له.

قضى الله فينا بالذي هو كائن فتمّ وضاعت حكمة الحكماء

ذلك ما يقوله حكيم المعرّة وهو على العموم يعكس الرأي السائد في جميع المذاهب الروحية . واننا نترك شرح هذا الرأي او مناقشته للراسخين في علم الكلام، وانما نقول ان نزعة كهذه اذا استحكمت في نفس او في جماعة قعدت بها عن الجهاد لقلب الاوضاع التقليدية التي لم تعد تصلح لتقدم الحياة البشرية. والواقع ان تغييراً عظيما من هذا القبيل لم يحدث في الشرق العربي الا بعد ان حركته الثورة الفكرية والاجتماعية التي اتقدت في الغرب خلال القرنين الماضيين . وما هذه الثورة عند التحقيق الا نتيجة تحول نفسيّ في الشعوب الحديثة التي اصبحت تؤمن بحرية الانسان ومقدرته على تقرير مصيره وتحسين حاله ، وبعبارة اخرى اصبحت ترى ان الارادة العلوية قد خطّت للانسان سبيل التطور والارتقاء وتركت له حرية السير فيه والوصول الى ما يبتغيه ، فهو وحده المسؤول عن تقدمه وتأخره وعن سعادته وشقائه .

تقديس الماضي واستصغار الحاضر . ولئن لم يبلغ هذا التقديس في الشرق العربي ما بلغه في الشرق الاقصى فان اثره واضح في شتى مناحيه . خذ المنحى الادبي مثلاً فقد كان الشرقي ولا يزال الى حد ما يعظم شأن الاسلاف ويغمط حق الاخلاف. وكذلك قل في المنحى الاجتماعي فان استحكام التقاليد الموروثة في النفوس قد جعل الماضي على الحاضر حق السيد على المسود . ولم تظهر حركة جدية للتحرر من سيادة الماضي الا في خلال هذا القرن فصرنا نرى بيننا من يجرؤ على تفضيل الادب الحديث والافكار الاجتماعية والاقتصادية الحديثة . وهكذا اخذ التجدد يظهر في شتى المناحي . وبعد ان كان الخروج عن سنّة القدماء يعد ضلالاً او نشوزاً صار عدم الخروج يعدّ جموداً وتأخراً .

ومن الانصاف ان نقول ان هذه النزعات القديمة ليست بحدّ ذاتها مما يوجب الانتقاص والمذمة فقد كانت ولا تزال على جانب

عظيم من الاهمية والفائدة فان حياتنا على الارض ليست سلسلة من الثورات الهدامـة ، وناموس التطور لا يتطلب انفجارات اجتماعية او فكرية متواصلة وانما هو يقوم على تقدم مطرد تنسجم فيه حسنات الماضي مع حسنات الحاضر انسجاماً يعود بالنفع الاكبر على الجنس البشري. وليس من باب الحكمة ان نطالب بالانفصال التام عن ماضينا والتنازل المطلق عن ميراثنا فنكون كالحيوان الذي لا يعرف الا ما يطلب منه او ما يقدم له من ساعة الى ساعة . كلا ان الحكيم من تمسك من ماضيه بما يساعده على تحسين حاضره فنبذ ما يحول دونه ودون التقدم ولم يخشَ ان يحطم كل ما يجعله عبداً للتقاليد البالية او العادات والمعتقدات الضارة .

امتحنوا كل شيء وتمسكوا بالحسن . هذا هو روح الحضارة الجديدة. ولا ريب ان هذه الروح قد اخذت تفعل فعلها في الشرق العربي بدليل ما نشاهده من تحول الانظار فيه الى هذه الحياة والاهتمام بها. فليست الدنيا بعد، مجرد ممر غير جدير بالاهتمام، وليست الطبيعة البشرية حمأة من النقائص والآثام، بل هما الاساس اللازم لبناء بشرية فضلى والارتقاء الى وجود اسمى . والشرقي اليوم قد اصبح يدرك ذلك بل اصبح يدرك حياته وان سعادتها وشقاءها راجعان بالاكثر الى نجاحه او تقصيره في توطيد الانسجام بين نفسه وبيئته ، ولذلك نراه اليوم اكثر اهتماماً بهذه البيئة واكثر حرصاً على تحسينها وتعزيزها. ولا يعني ذلك الاستخفاف بما جاءت به الاديان بل يعني ان مفهومه للعلاقة بين الحياتين الدنيا والاخرى قد تبدل . فبعد ان كان يرى وجوب تحقير الاولى للحصول على الآخرة صار يرى ان هذا التحقير ليس مما يحتمه الدين او يطلبه وهو مخالف لناموس الارتقاء الحقيقي ، وكذلك صار يحترم الطبيعة البشرية ويراها قابلة للتقدم بل للكمال ايضاً .

« كونوا كاملين » صوتٌ رنّ في الشرق العربي منذ الفي سنة تقريباً . ولكن الناس لم يدركوا مغزاه وحقيقته حتى هذا العصر الذي تفتحت فيه اعينهم فرأوا الحياة الارضية على وجهها الصحيح .

ان الشرقي لا يزال يقدس القديم ويكرم السلف، على أنه لم يعد يرى في ذلك ما يوجب قعوده عن الجهاد للتفوق على أسلافه. فهو الآن يعتقد ان إمكانيات العصر الحاضر أوفر من إمكانيات العصور الغابرة . وليس من الانصاف العلمي عنده أن يقال ان القدماء بلغوا ما لا يمكن للمحدثين بلوغه . واذا استثنينا التعاليم أو المبادىء الدينية المنزلة التي كانت ولا تزال أساس الخير والسعادة في كل مكان وزمان ونظرنا الى التاريخ الانساني من وجهتيه الاجتماعية والفكرية اتضح لنا التقدم العظيم الذي أحرزته البشرية خلال تطورها منذ أقدم أزمانها الى الآن . ونحن لا ننكر ظهور العباقرة الذين نبغوا قديماً في شتى المناحي العمرانية والعقلية ولا يزالون يحتلون قمم المجد والتفوق، إلا أن المسألة ليست مسألة أفراد بل مسألة مجتمع إنساني ، فهل يمكن القول ان المجتمع اليوم أقل تقدماً منه في العصور السابقة وان الامكانيات البشرية في هذا الزمان أضعف مما كانت عليه في سالف الأزمان ؟

ذلك ما لا يقره العقل والاختبار وما لا يتفق مع منطق الحوادث ومجرى التطور والارتقاء .

أنيس المقدسي

معنى القومية العربية

بقلم الدكتور عبد العزيز الدوري

القومية العربية ظاهرة من ظواهر الوعي العربي .

وقد نشأت نتيجة عوامل متعددة اهمها :

١ – الوعي الاسلامي الذي يتمثل في محاولة إصلاح المجتمع باصلاح اساسه الاسلامي، وفي هـذا الاتجاه يتمثل الاحساس بالشعور بالكيان والاعتزاز بالتراث والاهـتمام بتخليصه من نواحي الضعف فيه . ويظهر هذا في حركة ابن تيمية وما اتصل بها . وهي في بدئها صيحة عربية وقفت في وجه السيطرة العثمانية فكانت تمثل ناحية وقوف الوعي العربي في وجه الاستغلال الأجنبي .

ويظهر الوعي بشكل ثان يبين ان العرب اصل الاسلام وانهم محور الثقل وان الاصلاح لايكون إلا بنهضتهم وبوحدتهم . ويتمثل ذلك في حركة الكواكبي كما يتمثل في الحركة السلفية . فالحركة السلفية تعطي العرب منزلة خاصة بين الشعوب الاسلامية وهي ترى في اتحادهم وتعاونهم مقدمة لازمة لوحدة العالم الاسلامي والمقياس الأول لتحقيقها .

ووحدة الأقطار العربية بنظرها اساس تمتد جذوره الى الشعب العربي والى وحدة اللغة إضافة الى وحدة الدين ، وهي تدعو الى إحياء اللغة العربية ضمن ما تدعو اليه .

ولا يخفى ان الاتجاه الاسلامي في عامته يدعو الى التحرر والى مكافحة الموجة الغربية المتمثلة في الاستعمار والاستغلال الاقتصادي والى إحياء الكثير من الجذور التي تكوّن الذات العربية خاصة اذا تذكرنا ان هـذه الذات نمت وازدهرت في الاطار الاسلامي وتحت راية الحضارة الاسلامية .

٢ – الوعي العربي الذي يستند الى بعث اللغة والأدب العربي والى فهم ماضي العرب والاعتزاز به . وقد اتجه بحكم بيئته الأولى في لبنان والشام وجهة علمانية اول الامر وساهم فيه المسيحيون في الطليعة . ثم عاد ينظر الى التراث العربي الاسلامي يعتز به ويجد فيه المؤيدات للاتجاهات الحديثة قومية وتحررية .

ولقد كان لكل من الاتجاهين أثره في إثارة الوعي العربي والدعوة الى الاستفادة من المدنية الغربية والعلوم الحديثة .

ولقد تركز الوعي العربي على الناحية السياسية فأكد خاصة بعد الحرب العالمية الاولى على مبادىء الحرية العامة وتقرير المصير والتمثيل الشعبي في الحكم وحرمة الرأي العام . وأكد على وحدة الاصل او الشعور بها وعلى اللغة والتاريخ المشترك . وقد كان لحركة الاتحاد والترقي اولاً أثرها . ولعب الاستعمار الغربي والعنجهية الغربية وما صاحبهما من استفزازات دورهما في تقوية هذا الشعور . ثم ان اوربا التي بعثت الآراء الحديثة وظهرت برسالة التقدم الحديث جاءت بحركات قومية عنيفة اظهرت نشاطاً وفعالية كان لهما مدى في الشرق بما فيه الشرق العربي .

وان حاولنا ملاحظة آثار الحركة نجدها في ناحيتين بالدرجة الاولى :

١ – في تنظيم ثورات وحركات سياسية ضد الغرب لتحرير البلاد . ثم تدرجت الى الدعوة الى توحيد هذه البلاد على أساس الارث الواحد والمشاكل الواحدة والمصلحة والآمال إضافة الى النواحي الاخرى . ولا يفوتنا ان نذكر هنا برنامج الثورة العربية وأثره القوي في النفوس .

٢ – في العناية بالتعليم القومي والتأكيد على التأليف العربي واللغة العربية ومظاهر العروبة ، ويصحب ذلك التغني بامجاد العرب . ولكن هذه العناية لم تصل الى وضع فلسفة تعليمية قومية .

وان نظرنا الى هذه النواحي نجدها تثير الشعور وتوجه الكفاح وجهة واحدة، وهي الوصول الى الاستقلال مما جعل هذا الاستقلال لفترة من الزمن هدف القومية ولا هدف بعده . كان الاستقلال يراد لذاته ولأرضاء الغرور القومي فقط لا ليكون وسيلة للنهضة بالبلاد بكافة نواحيها الى المنزلة اللائقة .

وصحب هذا الاتجاه احياناً تمجيد مبهم لماضي العرب ، لم يتعد العاطفة او الاتجاه الرومانتيكي ولم ينفذ الى فهم الماضي او معرفة اصوله حتى تدهور احياناً الى رنة خاوية فسحت المجال لكل ناعق ان يصيح حسب هواه والى ان ينطمس جوهر الحضارة العربية في ضجة جوفاء . بل وبلغ الحال بالقومية احياناً الى انها لم تحقق حتى التهمة التي رميت بها بانها ترجع للوراء لأنها – على ايدي بعض مدعيها – لم ترجع لشيء بل اهملت الحاضر وراحت تمجد ماضياً لا يعرف كنهه وتدفن حاضرها في خيال مرتبك فلم تحي ماضياً ولم تفهم حاضراً واستحالت احياناً الى لا شيء .

ثم ان اتجاه الحركة القومية دوماً الى الخارج واهمال الداخل جعلها سلبية وجعل الداخل مسرحاً لمختلف الموجات والاهواء . فمن نزعات ضيقة تختفي تحت اسم القومية ، الى مطامح شخصية تتشح بردائها، الى اتجاهات بالية تستتر بها مما وجه لها اشد النقد وزعزع الثقة بمن تبعها وزاد في البلبلة وفوضى التفكير والاتجاه.

كما إن هذا الاتجاه الخارجي في الحركة القومية منع ان تظهر ذاتيتها فوصفت ككل بانها لا تتعدى كونها حركة عدائية للغرب او لبعض الاوضاع دون برنامج واضح او توجيه مفهوم. ومع ان مقاومة كل اعتداء او استغلال خارجي امر حتمي الا ان هذا الوصف العام يضع العراقيل امام سير الحركة القومية .

وجاءت الفكرتان الشيوعية والاشتراكية بتأكيد جديد على النواحي الاجتماعية والاقتصادية وصادفتا اوضاعاً حرجة قلقة خاصة في النواحي المادية ، ولم تجدا فلسفة انشائية واضحة في البلاد العربية فانتشرتا في هذا الفراغ الهائل . ومع اننا نعتقد ان الفقر والاوضاع الاجتماعية لها الاثر الاكبر في انتشار الشيوعية الا اننا لو دققنا لوجدنا ان قادة الحركة من الطبقة المتوسطة وانها تتحمس للحركة لانها تمثل خطه وبرنامجاً ووجهة . ولذا فان تحسين الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية — على خطورته وضرورته — لا يكفي ولن يجابه هذا التيار اذا لم تكن امامه فلسفة قومية ايجابية .

وهكذا يتجلى الضعف والخطر في الحركة القومية في آن واحد . فلا معنى للحديث عن تراث نفصله عن حياتنا ولا هدف من الرجوع الى ماض لا نربطه بحاضر . ولا فائدة ترتجى من تمجيد ماض لذاته او لبعث روح شعرية وخيلاء رومانتيكية . لقد خجلنا من حاضرنا وتجاهلناه وفقدنا الثقة بانفسنا ورجعنا لماضينا نطلب العزاء والنشوة ونسعى لشحذ الهمم . وهنا مصدر الخطر اذ علينا ان نبدأ بحاضرنا نفحصه ونعرف عناصره وجذوره وبعد ذلك فقط نستطيع نقد التراث ومعرفة اثره وعندئذ نستطيع فحصه بدقة وبعث الحياة فيه . ولن نستطيع تكوين فلسفة قومية اذا لم نبدأ على هذا الاساس .

اننا لا نشك ان الحركة القومية حققت جزءاً مهماً من هدفها الاول وهو بعث الوعي العربي ومقاومة الاستعمار وتحقيق قليل او كثير من الحرية . فقد نهضت الحركة القومية بالعبء الرئيسي في معركة التحرر، ولكننا يجب ان نلاحظ نواحي الضعف التي لازمت تطورها ومنها انها بقيت ضعيفة من ناحية التنظيم وانها لم تكتسب الطابع العربي العام في كافة البلاد العربية بل كانت تعمل في اجزاء متباعدة في كثير من الاحيان ان لم تكن متنافرة . ثم انها فقدت شيئاً من صفتها الديناميكية حين اجتازت مرحلة الكفاح الاولى دون ان "تعد" للوضع الجديد. وقد بليت في كثير من الاحيان بزعامات عقيمة سارت مع التيار دون توجيه او ايمان عميق، فولدت رد فعل داخلياً شديداً ضدها. يضاف الى ذلك انها عجزت عن صهر كثير من الترسبات التي اورثتها بعض الفترات والتي وجب ان تذوب في بودقة الحركة لتصفو النفوس — وهذا ينطبق بصورة خاصة على الاقليمية الطاغية وعلى الطائفية الهوجاء . كما ان الكثيرين ممن واكبوا الحركة القومية وتولوا المهام انحرفوا عن الوجهة القومية وهم محسوبون عليها واستغلوا اسمها لاغراض لا تتصل بالحركة فأدى ذلك الى تصدع الحركة في بعض الحالات او الى تشويه مبادئها .

ويبدو بعد هذا ان الحركة القومية في عامتها — فضلاً عن مبادئها لم توسع افقها كثيراً . فهي لا تزال تعتمد بالدرجة الاولى على زمرة المثقفين ولم تكون لها تنظيمات شعبية واسعة . ومع اننا نشعر ان البعض حاول ذلك الا انها محاولات محدودة لم تبلغ النطاق الذي تستحقه .

وهناك ناحية دقيقة وهي ان الوعي العربي قطع مرحلة تستوجب اعادة النظر في موقف القومية من الماضي . فقد بلغ العرب مرحلة يجدر ان تسمى بمرحلة فهم النفس وفحص المناهج. فقد تكون الشعور بضرورة الحياة الحرة وتأكد في تقدير الماضي واستحسان صفحاته اللامعة، وليس من المفيد او المجدي ان يبقى التأكيد على اننا اصحاب ماض واصحاب حضارة واننا هدينا الشعوب وحملنا مشعل الحضارة في ظلمات العصور الوسطى. ان مرحلة الوعي تتطلب خطوة جديدة حتى في هذه الناحية، خطوة التمييز بين الحضارة العربية وبين التراث العربي او التفريق بين ما كونته عصور اليقظة العربية في ظروفها التاريخية وبين ما بقي يؤثر في حياتنا ومقاييسنا من هذا التكوين. ولتوضيح ذلك اذكر اننا ورثنا نتاجاً علمياً كان له شأن في حينه ولكنه لا يفيدنا الآن في شيء، وورثنا ادباً عربياً لا يزال ادباؤنا يتأثرون به، وورثنا لغة نتحدث بها وندون بها انتاجنا الفكري ولا يمكننا بحال ان نتخلى عن هذين او ان نتركهما دون تعهد وعناية او ان نفكر في فهم شخصية الامة التاريخية دونهما .

وبعد هذا يلزمنا دراسة تاريخنا بوجهة جديدة لا لغرض

التبجح – الذي يفعله المجهول يطلب الاعـلان عن نفسه ، بل لغرض فهم امور اخطر . اننا بحاجة لأن نفهم نفسية هذه الامة حسب تكونها خلال العصور مع فهم المؤثرات في ذلك لنستطيع توجيهها ، ونحن بحاجة لأن نفهم كيف عالجت هذه الامة مشاكل التنظيم الاجتماعي خلال تاريخها وكيف عالجت مشاكل الحكم وبأي منظار نظر مفكروها الى هذه المشاكل . ومثل هـذا يتطلب – اضافة الى النظم الاجتماعية والسياسية – فهم الحركات الاجتماعية والتنظيمات الشعبية والصلة بين الحاكم والمحكوم. لقد اقتبسنا نظماً واساليب في الحكم كانت نتيجة تطورات وظروف معروفة وهي في الواقع ثمرة لنضج تلك المجتمعات وليست جذراً لها، ووقعنا بعد ذلك في مشاكل وهزات عنيفة لأننا لم نفهم جذور هذه الأمة ولم نهيء الجو الصالح لما اقتبسناه .

ولا يخفى ان كل حركة تريد الحياة تحتـاج الى ان تطوّر اساليبها لتأخذ بعين الاعتبار التطورات الجديدة والأوضـاع المحيطة بالبلاد داخلية وخارجيـة . ولا يؤمل لحركة ان تنمو وتزدهر ما لم تنطو على فهم نواحي الشكوى والضعف وتقديم الحلول التي تحقق الغايات المنشودة . هذا اضافة إلى ازالة نواحي الغموض والارتباك التي تلحق بها و كسح ما ينسب اليها وهي منه براء .

ويخيل الي ان النقطة الأخيرة هي نقطة الابتداء. ففي الفكرة القومية وفي الحركة القومية غموض لدى الكثيرين وتبـاين في الفهم يختلف من فرد الى فرد ومن مجموعة الى اخرى .

واول ما يجب ان يوضح هو ان القومية العربية تنطوي على حركة ذاتية وهي ناشئة عن ظروف هذه البلاد وتطورها فقد انبعثت لتحقيق اماني الأمة ويجب ان تبقى كذلك .

والحركة القومية تستند الى عقيدة تتكون من ادراك رسالة العرب الحضارية في التاريخ وايمان بحقهم في الحياة الحرة الكريمة وشعور بأن الحياة الحاضرة تكوّن امتداداً الماضي في الأسس الثقافية والقيم الخلقية والأدبية خاصة . هـذه كما ارى منابع العقيدة القومية وهي الدافع الأول للعمل في سبيلها .

ويجب ان يكون للحركة القومية فلسفة قومية . وهـذه ثغرة لا تزال تنتظر من يسدها ولن يضير ان نضع بعض الخطوط. وعلينا ان نميز الفلسفة من البرنامج اذ ان هذا يستند الى الفلسفة وهو محاولة لتطبيق اهدافها في ظروف معينة .ومعنى ذلك ان برنامج الحركة القومية لا يتصف بالجمود بل يراعي الظروف ويتطور بموجبها في حين ان الفلسفة القومية اكثر رسوخاً واستقراراً

ويتطلب تحديد خطوط الفلسفة القومية دراسة بعض الأمور وتحديدها واهمها ثلاثة :

١ – الذات العربية .

٢ – الموقف من التراث .

٣ – الموقف من الموجة الغربية .

وسأتناول هذه في مقال تالٍ .

بغداد **عبد العزيز الدوري**

كؤوس العارفين

قصة جديدة بقلم

وداد سكاكيني

قرأت الحاجة « انيسة » على هامش من هوامش دلائل الخيرات هذه العبارة : « كؤوس العارفين » فغاصت بفكرها طويلاً لتتفهم معناها فلم تفهمه، وكانت قراءتها سقيمة،وكتابتها مفككة كأنها ترميج فوق ترميج او أثوبة مطموسة ، فعادت تقلب في هذا الكتاب الذي ورثته عن ابيها ، وقد يكون خطّ بيده المرتعشة في سنّه المتقدمة هذه العبارة على هامش الكتاب.

كانت تقرأ وِرْدَها في قطعٍ من الليل بعد الصلاة ، فاذا انتهت ونامت هبت في البكور لصلاة الصبح التي لم تفتها منذ عرفت حق العبادة .

وقد كاد يبلى جلد الكتاب بين يديها ، وكادت تذوب أطراف أوراقه الصفر، من طول تداوله فاذا انتهت منه أعادت تلاوته البطيئة التي كانت تستأني بها ، ضعفاً وتلهفاً على تفهمها وإدراك محتواها ، وكانت ذاكرة الحاجة وانية واهية، فأعياها حفظ الدلائل غيباً ، فهي تخطيء في الكلمات وتدخل بعضها في بعض إذا رفعت عينيها عن السطور ، ولم يشغلها شيء بالتفكير والتقدير مثلما شغلتها « كؤوس العارفين » فكلما بلغت الصفحة التي سُطّرتْ على هامشها كانت لها عندها وقفة طويلة ثقيلة ، كوقفة مستديمة لقطارٍ في محطة مجهولة .

وحين زارتها الشيخة « مَسرّة » وكانت اكبر منها سناً واكثر وعياً وخبراً ، انفلتت من حيرتها الصامتة ، وكتمانها ما التبس عليها ، فأخرجت كتابها اليومي عن كيسه الحريري الاخضر ، وفتحت عن مكان الطلسم الذي شغل بالها وسألت صديقتها :

— إقرئي لي هذا الكلام المكتوب بالحبر على طرف الصفحة.

قالت الحاجة « انيسة » سؤالها هذا بنفس امرأة فقيرة خلعت خاتمها الثمين وطرحته بين يدي جارتها لتسألها عن قيمة حجره النادر المجهول .

فأخذت الشيخة « مسرة » الكتاب وجعلت تتفرس ، بالكلمة المسطورة على الهامش بخط فارسي أنيق ، وكانت قد أجادت حفظ الاوراد واحداً واحداً ، وطال تفرسها فيها ، لكنها لم تفك شفة عن شفة ، وكانت ترمها وتصب نظرها على السطر صبّة واحدة ، حتى أدخلت الريبة على صديقتها ، بمعرفتها الواسعة ، ثم رفعت الشيخة رأسها الذي اشتعل شيباً ، وبدا وقاره وهيبته تحت غطائها الابيض الشفاف ، فرمقتها الحاجة « أنيسة » باللهفة وقرأت في وجهها سطوراً خطتها السنون ، وكانت جواباً يقول :

— لا أدري ، الله أعلم ...

وكان جواب صديقتها اللهفى :

— سنعرف بعد ايام ..

فازداد اهتمام الحاجة « أنيسة » بما في كتابها . لقد تناولته برفق وإجلال واغلقته ثم غيبته في كيسه الحريري الاخضر ، ورفعته بجاملته ، فعلقته على مسماره المخصوص في جدار القبلة بحجرتها لتديم التأمل فيه من بعيد ، وهي تصلي او تسبح لله ..

كان هذا الكتاب كمفتاحٍ وضعه ابوها في يدها قبل موته ، لتفتح به ابواب الجنة الموصدة ، وما شاب حياتها عنت او فساد ، فصلاتها وتقواها وحبها الخير العميم ، كانت حصناً حصيناً يقيها في الحياة عثرات المذنبين والخاطئين .

وعادت صديقتها الشيخة « مسرة » الى بيتها سابحة في معاني تلك الجملة ، تتمنى أن لو كانت مكتوبة على هامش الدلائل عندها . ومنذ فتحت كتابها بعد رجعتها قلبت فيه حتى بلغت مثل تلك الصفحة ، ثم خطت بالحبر عبارة « كؤوس العارفين » على الهامش ، واخذت تفكر في المعاني وتستدل من الالفاظ حتى ملّت . وكانت لها قرابة دانية بشيخٍ من مشايخ الحي فعزمت على أن تساله عن المعنى حين يلم ببيتها . فلما جاءها بعد أيام لم يكن وحده ، إذ جاء ومعه نسيب أقرب اليها منه لم يصدر عن مثل علم الشيخ وإنما صدر عن علم آخر ينكره الشيخ ولا يرضاه . وحين استقر بها المجلس بعد التحيات والمجاملة المعهودة أخذا في شرب القهوة التي صنعتها الشيخة امامها ، ولم تكلف بها احداً غيرها زيادة في تكريم الزائرين، فقالت لهما بلهجة المستفهمة المتلهفة : — ما معنى « كؤوسُ العارفين » ؟

وأخذت تقص عليهما قصة صديقتها ، وهما يبتسمان ولا يتكلمان ، وكان لهما أن يجيبا عن فهم وعلم ، فان صيت كل منهما

قد ملأ المجالس والمعاهد ، ولو تحيّر أحدهما في الجواب اوتحرَّج منه لظهر أمام كبيرة الأسرة بمظهر الجاهلين ، ذلك إذن ما خامر كلا منهما ، فعدَّ الصمت والتعالل عِيًّا وغبنا .

* * *

أيها الشيخ تكلم فاكشف عن علوم الشرع ، وأنت أيها الفتى قل ما وعيت من علوم الغرب ، فان فقدان ما تملكان من ذكاء وثقافة أمر سهل أمام هذه الشيخة المستفهمة إذا لم تجيبا إجابة ترضيها .

وقد أراد الشيخ أن يمهد للجواب بسؤالٍ قال فيه :

— هل هذا يا عمة امتحان ؟

— أمر أصعب من الامتحان ...



كلمة قالتها الشيخة بمرارة وحسرة ولم تكاتم قريبها فقالت :

— امتحنتني صديقتي الحاجة « أنيسة » بهذه العبارة ، فلم اقدر على الاجابة الصعبة .

فقال الآخر وهو الفتى :

— هذا امتحان الامتحان ...

وضحكوا جميعاً في الغرفة ، ثم هزت الشيخة رأسها واصلحت لف غطائها وقالت وهي تتململ :

— أنقذوني بالجواب الصريح ، فقد تحيرت وخجلت ،وطال انتظار صديقتي ...

فابتدر الحديث الفتى وأخذ يشرح للعمة معنى العارفين . فالعارفون عنده بحقائق الأمور هم الفلاسفة او الحكماء ، ثم مال عن هؤلاء الى الرياضيين . وكانت الشيخة لا تفهم شيئاً مما يدور في المناقشة ، فالكلام لم يوجه اليها وإنما كان كل من الشيخ والفتى يتجه بكلامه الى صاحبه . فردَّ الشيخ بأن العارفين عنده هم علماء الشريعة ، وذوو الاجتهاد في اللغة والبيان ، وحذاق المفاهيم الدينية .

واستمر بينهما التجاور واستحكم حتى كاد يصير جدالاً عنيفاً ، فأخذت الشيخة تستغفر الله ، إذ عدت نفسها سبب هذا الجدل والمناظرة .

وكانت على سجيتها قد ملكت عقل السنين ولباقة المحدثين فقالت لقريبها :

— تحاورتما طويلاً في العارفين ولم تقولا كلمة في الكؤوس .

فبغت الشيخ والفتى ، وأخذا يفسران هذه الاضافة ومعناها ، فسحب الاول كلامه حتى بلغ به الى الصوفية ، فكؤوس العارفين ، هي خمرتهم الالهية المنتظرة في عالم الغيب ، وانسحب الآخر وهو الفتى بكلامه حتى وصل به الى كؤوس العارفين في خمر الخيَّام .

وما كاد ذكرهم للخمر وكؤوسها يسقط في سمع الشيخة حتى صكت وجهها وسدت أذنيها بكلتا يديها وقالت مرتعشة مغيظة :

— أعوذ بالله من هذا الجواب ، والله لو لم تكونا لي قريبين عزيزين ، لكان لي معكما يوم مشهود . اسكتا ، لا اريد الجواب !..

فتبسم المتحاوران وتلطفا للأمر ، وجعلا يكملان شرب القهوة التي بردت بين ايديهما بعد ان شغلهما عنها الجدال ، ثم نهضا واجمين خجلين من قريبتهما التي لم يعجبها منهما التفسير والتأويل .

ومضت ايام انقطعت بها العمة الشيخة عن صاحبتها وزميلتها ، ولكنها رأتها في تعزية من تعازي النساء ببيت في الحي المجاور ، وحين خرجتا متحاذيتين قالت إحداهما للأخرى :

— طالت غيبتك عني !

— شغلتني بما سألتني .

— وهل وجدت الجواب ؟

— نعوذ بالله من الجواب

— وما هو ؟

— لا استطيع ان ألفظ اسمه ...

– ألفظيه .. قولي اي كلام !

فشعّ الابتسام في عيني الشيخة وقالت بصوتٍ خافت مستح :

– المهجورة ...

– وما هي المهجورة ؟

– الخمر ، أستغفر الله ، أستغفر الله !

فهزت الحاجة « انيسة » رأسها استخفافاً وقالت :

– الخمر يا حبيبتي لا تكون للعارفين ...

– وكيف فهمت معنى العارفين ؟

– منذ تركتكِ وأنا أسائل نفسي عن هذا المعنى حتى عرفته .

– قوليه ...

– سأدلك عليه حين تتفضلين بزيارتي ...

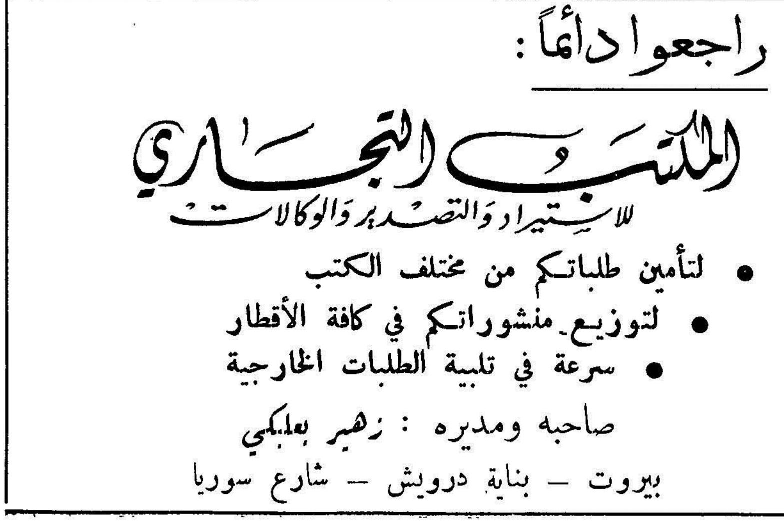
وما أقبل الغد حتى سارعت الشيخة إلى صديقتها وقد طوت في نفسها خجلاً منها وخشية من أن تعيد عليها السؤال المحير . أما الحاجة « أنيسة » فقد تلقتها بالحفاوة والبشاشة وكأنها نسيت ما كان يشغلها .

لقدجلستا في حجرة العبادة حيث كان الكيس الاخضر الحريري معلقاً على جدار القبلة وتلهفت الشيخة في نفسها وانتظرت معرفة الجواب الشافي، فكانت تعاين صاحبتها التي نشأت مثلها على التقوى والزهادة وكانتا صورة الميراث الباقي من نساء الجيل الفاني .

وكانت الحاجة «أنيسة» تسلي صاحبتها ،وهي تغلي ماء بين يديها في ابريق على موقد صغير ،ولما غلى الماء كفتت فيه شيئاً أسود ثم غطته ،وصفّت على الصينية كأسين صغيرتين وضعت في كل منهما قطعة بيضاء ثم صبت فيهما من الابريق ماءاحمر، واخذت ملعقة صغيرة أدارت بها الشيء الابيض في قعر الكأسين حتى ذاب ،وبحركة محفوفة بالوقار الذي خلعته السن النقية من الأدران تقدمت الحاجة انيسة الى الشيخة « مسرّة » بالصينية وعليها الكأسان وقالت لها بلهجة الغزاة الفاتحين :

– اشربي يا شيخة ، اشربي الشاي ، فهو كؤوس العارفين ...

القاهرة **وداد سكاكيني**



دوّامة الغبار

عام قريب

كانت حياتي قبله شبحاً يدب عـلى جديب
متعثراً بالصخر ، بالأشواك ، بالقدر الرهيب
حتى رآك
روحي تهلّ عـلى كآبته فتترعـه يداك
فرحاً واشعاعاً غريب .

***

عام قصير

سرنا معاً ؛ سرنا معاً فيه على دربي الوعـير
جنباً الى جنب ؛ وملء عيوننا دفء الشعور
والعاطفه
واذا الحياة على صـدى خطواتنا المتآلفه
خضراء تورق في الصخور .

***

عام ... ومرّ

ودجا غبار حولنا هاجت به ريح القدر ...
وتلمستك يدي وفي عيـنيّ ليل معتكر
وارتاع قلبي
رجعت إليّ يدي مبيّسة الدمـاء بثلج رعبي
لا صوت منك ولا اثر ...

***

ووقفت وحدي

في وحشة المهجور ، في يتم الغريب وقفت وحدي
تصطك روحي في فراغ الدرب من ذعر وبرد !
وعلى فمي
اشراقـة مـاتت ... وفي قلبي تنبّؤ ملهم
اني سأبقى العمر وحدي .

***

لا تبعدِ

وبعثتهـا من غور يأسي في الفضاء المربد
وبقيت اهتف من قرارة وحشتي : لا تبعدِ !
انا خائفه
قلبي الوحيد يحس ، يسمع دمدمات العاصفه ..
خلف الفراغ الأسود

***

امسك يدي

سر بي ، غبار الارض منعقد على دنيا غدي ...
يعمي خطاي المجفلات على طريقي الموصـد
هذا الغبار
دوّامـة دارت بها حولي اعاصير القفـار
تلوي بعمري المجهد .

***

كيف الهروب ؟

والعاصف الجبار .. يسفي الدرب وحشيّ الهبوب
شرس الجناح ، يسوط اقدامي على القفر الرهيب
والهاويه
تصغي على البعد القريب ... الى صدى اقدامي
بين التواءات الدروب !

***

لا تبعدِ

وبقيت اصرخ من قرارة وحشتي : لا تبعـد
فتبدد الريح النـداء مع الصدى المتبـدد
وبقيت وحدي
حيرى ادور ، أصارع الدوامة الهوجاء وحدي ..
عبر الطريق الموصد !

نابلس **فدوى طوقان**

القنبلة الهيدروجينية

بقلم قدري حافظ طوقان

حين أمر الرئيس ترومان بصنع القنبلة الهيدروجينية صرح بقوله : « انه بصفته القائد الأعلى للقوات الاميركية المسلحة يعتبر نفسه مسؤولاً عن سلامة الولايات المتحدة وشعبها ، ومسؤولاً كذلك عن جعل اميركا قادرة على الدفاع عن نفسها ضد اي معتدٍ . لذلك فهو يأمر بالشروع على الفور بصنع القنبلة الهيدروجينية ليتمكن الشعب الاميركي من الرد على اي معتدٍ قد تحدثه نفسه بالهجوم على الولايات المتحدة وسلامتها »

وواصل الرئيس أمره فقال : « وانني قياماً بالتبعات الملقاة على عاتقي آمر كذلك بالمضي في صنع القنبلة الهيدروجينية مع جميع انواع الاسلحة الذرية الى ان يتسنى للعالم الوصول الى نظام دولي يشرف على هذه الاسلحة ويضمن سلامة العالم من اخطار التسلح الذري وتسخير الطاقة العظيمة لأغراض عدوانية ».

وقد جاءت هذه الاوامر بعد ان اعلنت روسيا كشفها لأسرار الطاقة الذرية وقنابلها . فاندفعت اميركا في كشف سلاح آخر جديد ، يضمن لها السيطرة والتفوق ، فكانت القبلة الهيدروجينية .

وقد قابل الناس هذا الاختراع الفتاك الجديد بالذهول والحيرة . وبدأت غيوم التشاؤم تخيم على العالم ، واهوال الحروب وفظائعها تتمثل للناس في سائر الانحاء .

ماذا جرى لعقل الانسان ؟ لقد اقتحم هذا العقل الصعاب وجرف السدود وفك القيود واتجه بجهوده ان التفنن في آلات الدمار والابتكار ، في ادوات الهدم والفناء ، فقطع في هذا اشواطاً بعيدة مخيفة .

والذي اخشاه ان يكون « الانسان قد فقد الملاءمة بينه وبين بيئته » وانه اذا لم يستطع تكييف عقله مع البيئة المتجددة فمصيره كمصير الزواحف العظيمة التي ظهرت على الارض ثم اختفت .

والذي يظهر ان العقل يتجه بقواه نحو التدمير واختراع وسائل الابادة والفناء . وانه مستمر في هذا الاتجاه بما يؤدي الى القضاء على الحضارة وابادة معالم المدنية . هذا إذا لم يتمكن الانسان من تكييف العقل مع البيئة وتوجيه قواه نحو البناء والانتاج لبناء عالم افضل يسوده الأمن والسلام .

والان ... ما هي القنبلة الهيدروجينية ؟ ولماذا احدثت خوفاً كبيراً وجزعاً عظيماً عند الناس ؟

ليس غريباً ان يشيع الخوف ويسيطر الفزع ، ذلك لأنها اشد فتكاً من القنبلة الذرية بمئات المرات ؛ وهي تحدث من التخريب والتدمير ما لا تحدثه قنابل الذرة . اذ انها تمسح المدن والقرى ومن عليها وما عليها في دائرة تزيد مساحتها على المليونين من الدونمات . هذا عدا تأثير حرارتها الفتاكة خارج هذه الدائرة ، الذي يمتد الى ملايين اخرى من الدونمات . ومن هذه القنبلة تنبعث حرارة لا يتصورها عقل مهما حلّق به الخيال . فالحرارة تزيد على عشرة ملايين درجة سنتغراد ، ومن هنا ينبع الدمار ويتفجر الهلاك وتتحرك امواج الابادة والفناء .

وعلى ذكر الدمار والابادة اقول ان فكرة التخريب والتدمير ليست حديثة العهد بل هي قديمة . فقد جاء ان (تيتوس) حين حاصر القدس – وكان ذلك حوالي سنة ٦٠ بعد الميلاد – قتل جميع السكان واباد الحيوانات واتلف الزرع في ارضها . ولم يقف الأمر عند هذا الحد . بل بذر الارض ملحاً حتى لا ينبت فيها نبات او يعيش فيها حيوان . وهناك من الوقائع في التاريخ ما يدل على ان الشرّ موجود في البشر ، وصفحات الحروب في العصور الماضية حافلة بانواع التدمير والغزو والمصائب .

كان الغزاة في القرون الخاليات يحملون معهم السيف والنار ولا يحسنون غير القتل والدمار والفتك بالانسان والحيوان على السواء ، ويتفننون بالتخريب والفناء في المدن حين يدخلونها فاتحين ناهبين مدمرين . والآن

تقوم نظرية القنبلة الهيدروجينية على انبعاث طاقة هائلة من تحويل الهيدروجين ، وهو اخف العناصر ، الى هيليوم ، اي ان الطاقة تتولد عند تجمّع عدد من البروتونات والنترونات لتكوين عنصر آخر جديد ، بينما تقوم نظرية القنبلة الذرية على تحويل العناصر الثقيلة كاليورانيوم الى عناصر أخف منها ، اي على انبعاث طاقة من تحطيم الذرة وفك بعض البروتونات والنترونات. وعلى هذه الاسس اتجهت الافكار الى امكانية الحصول على طاقة هائلة من تفكك البروتونات والنترونات او من تجمّعها . فعلى التفكك تقوم القنبلة الذرية . وعلى التجمّع والتحام الذرات تقوم قنبلة الهيدروجين .

تتحارب الامم بالروح نفسها وبالفكرة ذاتها ، ولكن بوسائل وآلات تختلف مع الزمان وتقدم الانسان في فنون الهلاك والدمار . فهم يتحاربون ويسيرون على الحديد ويدبون في دباباتهم هادمين ، ويطيرون في طائراتهم مدمرين . برهم يتأجج بالحديد والنار ، وبحارهم تلفظ الحمم والهلاك ، وسماؤهم ترسل القذائف والصواعق وتكر الاطنان من اللهب والقنابل. والانسان في القرن العشرين هو الانسان في القرون الماضيات . فهو المدمر وهو المبيد وهو المبتكر لوسائل الإفناء، وهو المتفنن في التخريب والتقتيل . لكن الانسان في هذا القرن اشد فتكاً وأعمى بصيرة من الانسان في القرون الماضية ، فقد اتخذ من العلم مطية لاشباع شهواته وغرائزه في الشر والفتك . ولا ندري ايستمر على هذا الحال ، فالحضارة مقضي عليها ، ام يعود فيوجه قواه نحو البناء والاثمار ليبني عالماً افضل تسوده الرحمة والمعنويات وتتحقق فيه اغراض الروح العليا .

إن الطاقة الذرية التي توصل اليها العلماء تقوم على أساس تحويل العناصر الثقيلة إلى عناصر أخف منها . بينما تقوم الطاقة في القنبلة الهيدروجينية على أساس تحويل العناصر الخفيفة إلى عناصر أثقل منها . ففي سنة ١٩٤٠ أحرز العلماء نصراً هو في الواقع أروع ما أحرزوه حتى ذلك التاريخ ، إذ استطاعوا أن يعزلوا عنصر اليورانيوم ٢٣٥، وهو عنصر عجيب الخواص ثقيل، في وسعهم أن يطلقوا منه مقادير كبيرة من الطاقة بعملية بسيطة، فيستمر فعل انطلاق الطاقة من تلقاء نفسه ؛ وقد ثبت أن هذه أشد فعلاً من الراديوم ملايين المرات ، وانها تطلق طاقة تفوق الطاقة التي يطلقها الراديوم ألوف الملايين من المرات ، وانفجاراتها أشد . ومن الغريب ان كل انفجار يسبب انفجارات أخرى . وهنا تتوالى سلسلة من الانفجارات المتزايدة عدداً . وهذا يضمن انطلاقاً مستمراً من طاقة يزيد قدرها خمسة ملايين ضعف على قدر الطاقة المنبعثة من حرق الفحم إذا تساوت الكمية في الفعلين .

ولقد توصل (لورنس) إلى اختراع جهاز رحوي هو (سيكلوترون Cyclotron) وهو عبارة عن مدفع تخرج منه قذائف بسرعة عظيمة جداً لتحطيم الذرة وقد يستعمل لتحويلها أو تغييرها إلى ذرات أخرى . وفي هذا الجهاز العجيب يستطيع العالم استحضار قذائف ذرية تندفع بسرعة عالية جداً تتراوح بين ٣٠ و ١٠٠ مليون ميل في الساعة ، وعندما تنطلق هذه الجسيمات او القذائف التي تتركب من الكهارب والبروتونات والنيترونات إلى نواة اليورانيوم ٢٣٥ فانها تحملها على أن تنشق . ومن العجيب ان اليورانيوم يتحطم إلى نفس القذائف التي تحطمه فتقوم هذه بتحطيم ما بقي منه ويستمر الحال على هذا المنوال ؛ ويصحب هذا الفلق او التحطيم المستمر مقادير هائلة من الطاقة لا قبل لنا بتصويرها .

والطاقة التي حصل عليها الانسان من اليورانيوم لا تمثل إلا جزءاً واحداً من ألف جزء من كتلة المادة . واذا استطاع العلماء ايجاد طريقة لتحويل ٥٪ من كتلة أي مادة الى طاقة فانه يصبح لدى الانسان طاقة تفوق الطاقة الموجودة الآن في جميع أنواع الوقود ملايين الملايين من المرات .

والقنبلة الذرية تقوم على هذا الأساس . ومع ان صنعها وكيفية استغلال قوى الذرة فيها لا يزال سراً من الأسرار العسكرية ، إلا أنه يمكن القول إن الطاقة التي تنبعث منها هي نتيجة لسلسلة من الانفجارات في الذرات . أي انها نتيجة لتحويل العناصر الثقيلة الى عناصر أخف منها .

وأغلب الظن ان القنبلة الذرية تحتوي على كمية معينة من معدن اليورانيوم ٢٣٥ وعلى جهاز خاص تتولد فيه قذائف أو نترونات ذات سرعة هائلة، فاذا أطلقت القنبلة انطلقت القذائف إلى معدن اليورانيوم إلى نواته فتتفجر الذرة وتتوالى الانفجارات في جميع ذرات المعدن وتتحطم إلى قذائف تساعد على تحطيم ما بقي منه .

وينتج عن ذلك مقادير هائلة من الطاقة تفعل ما لا تفعله آلاف الأطنان من أشد المواد المتفجرة .

إن هذه الطاقة الهائلة التي تنبعث من تحطيم الذرات والحرارة العظيمة التي تعقبها هي بسيطة وتافهة بالنسبة إلى الطاقة التي تصدر في القنبلة الهيدروجينية والحرارة ذات الملايين من الدرجات التي تعقبها .

إن هذه الحرارة تذكرنا بحرارة الشمس والنجوم . ففي هذه تتحول العناصر الخفيفة إلى ثقيلة . فقد ثبت لدى العلماء ان الطاقة التي تأتينا من الشمس والنجوم تنبعث أثناء تحول الهيدروجين إلى هيليوم بعملية معقدة تشترك فيها عوامل اخرى عديدة . والتحول الجوهري هو في اتحاد اربع ذرات من ذرات الهيدروجين لتكون ذرة هيليوم . وفي هذه العملية يحدث نقص في الكتلة وتنطلق طاقة عظيمة ويتحول بروتونان إلى نترونين فتكون نتيجة هذا التحول انطلاق طاقة هائلة هي

سر طاقة الشمس والنجوم وحرارتها العظيمة التي تقدر بملايين الدرجات المئوية . وهذا على الأغلب هو الاساس الذي تقوم عليه الطاقة والحرارة المنبعثتان من قنبلة الهيدروجين ، وهذا ما جعل بعض العلماء يطلق عليها اسم القنبلة الشمسية نسبة إلى الشمس .

ومن هنا يمكن القول ان قنبلة الهيدروجين لا تتولد من العناصر الثقيلة، بل انها تتولد من أخف العناصر وهو الهيدروجين الذي تتألف نواته من بروتون واحد يدور حول كهرب واحد.

وكذلك ليس في مبدأ قنبلة الهيدروجين اي تفكك ذري، بل في واقع الحال يشتمل على زيادة البروتونات بحيث يتحول الهيدروجين إلى مادة اخرى هي الهيليوم . ومن هـــذا التحول تتولد طاقة هذه القنبلة الجديدة .

ولكن هذا التحول من الهيدروجين إلى الهيليوم يحتاج الى حرارة عظيمة . وهنا تنشأ الصعوبة في صناعة هذه القنبلة. فلقـــد ذكر المعلقون في الاذاعات العلمية ان التحويل يحتاج الى عشرات الملايين من الدرجات المئوية . ويظهر ان اميركا قـــد حلت مشكلة الحصول على هذه الحرارة على أساس تفجير قنبـــلة ذرية والاستفادة من الحرارة التي يولدها هذا التفجير في صنع القنبلة الجديدة . أما كيفية التحويل وكيفية استعمال الحرارة للحصول على الهيليوم من الهيدروجين فهذا سر من الاسرار لا نعلم عنه شيئاً .

ويتصور بعض العلماء من الذين لم يشتركوا في صنع الاسلحة الذرية ، ان القنبلة الذرية هي القوة الدافعة التي تمهد للحصول على الطاقة الهائلة من القنبلة الهيدروجينية. وعلى ضوء ما توصلوا اليه في بحوث الذرة والعناصر ، يتخيلون -وهذا مجرد خيال- ان القنبلة الهيدروجينية تتركب من صاروخ ينطلق لتفجير قنبلة ذرية فتتولد من ذلك حرارة شديدة تزيد على ستين مليوناً من الدرجات المئوية -اي ثلاثة أمثال الحرارة في داخل الشمس- وعندئذ تلتحم ذرات الهيدروجين وتتكوّن ذرات من الهيليوم. وعلى هذا يمكن القول ان القنبلة الهيدروجينيـــة شمس صغيرة وان لها من القوة ما يعدل قوة القنبلة الذرية ألوف المرات .

ان تحوّل العناصر الثقيلة الى عناصر أخف منها خاص بالارض ويجرى عليها . وقد كان هذا التحويل ينحصر في عملية الاشعاع الراديومي .

وأخيراً وُفق العلماء الى فك نواة اليورانيوم بشكل يجعل النوى الناتجة أخف من ذرة اليورانيوم فيتحول النقص في الكتلة الى طاقة هائلة، أي ان طاقة هائلة ترافق عملية التحول.

وكان العلماء يظنون ان تحول العناصر الخفيفة الى ثقيلة خاص بالشمس والنجوم. وهو يحدث فيها باستمرار . وعلى هذا الاساس امكنهم تعليل حرارتها العظيمة ذات الملايين من الدرجات .

والآن ... وقد تمكن الانسان من تحويل العناصر الخفيفـــة الى ثقيلة ، وتحويل الهيدروجين الى هيليوم، اصبح هذا التحويل لا يخص الشمس والنجوم بل يجري على الارض بفضل التقدم الكبير الذي اصاب العلوم الطبيعية والرياضية .

القنبلة الهيدروجينية

وهكذا يمكن القول ان نظرية القنبلة الهيدروجينية تقوم على انبعاث طاقة هائلة من تحويل الهيدروجين، وهو اخف العناصر، الى هيليوم اي انه تتولد الطاقة عند تجمع عدد من البروتونات والنترونات لتكوين عنصر آخر جديد ؛ بينما تقوم نظرية القنبلة الذرية على تحويل العناصر الثقيلة كاليورانيوم الى عناصر اخف منها، اي على انبعاث طاقة من تهشيم الذرة وفك بعض البروتونات والنترونات ؛ وعلى هذه الأسس اتجهت الافكار الى امكانية

الحصول على طاقة هائلة من تفكك البروتونات والنترونات او من تجمعها . فعلى التفكك تقوم القنبلة الذرية ، وعلى التجمع والتحام الذرات تقوم قنبلة الهيدروجين .

وهذه العمليات معقدة الى ابعد الحدود ، وتكلف من النفقات ما لا يتصوره عقل . فقد قدر العلماء تكاليف صنع القنبلة الهيدروجينية الجديدة بما لا يقل عن ٣٠٠٠ مليون دولار .

وفوق ذلك ينبعث من القنبلة الهيدروجينية بعض المواد الاشعاعية التي قد يدوم أشعاعها مئات الالوف من السنين ، ويقول وليم لورنس في هذا الصدد ما يلي : « ... وتستطيع كل من الولايات المتحدة وروسيا ان تبيد الاخرى اذا نشبت حرب هيدروجينية . ذلك ان الشمس هي في الواقع قنبلة هيدروجينية ضخمه في الفضاء . ونحن نعد العدة الآن لصنع شمس صغيرة على الارض .. واذا ضربت اية عاصمة او مدينة بقنبلة هيدروجينية واحدة تعذرت الحياة فيها عدة آلاف من الاعوام ... » وذلك بسبب المواد الاشعاعية التي تنبعث من القنبلة الجديدة ، والتي تزيل كل اثر للحياة على الارض .

هذا ما نعرفه عن القنبلة الهيدروجينية ؛ ولا شك ان المعلومات في هذا الشأن محدودة لا تشفي الغليل ؛ فالعلماء الذين كشفوا اسرار الذرة واخترعوا قنبلة الهيدروجين ، لا يستطيعون اذاعة ما توصلوا اليه ونشر الاساليب والوسائل العملية التي اخرجوا بها القنابل الجديدة الفتاكة .

ولكن يمكن القول ان العالم على عتبة عصر جديد من حيث مصادر الطاقة واستغلالها في سائر المرافق والميادين . فقد تقوم هذه الطاقة مقام كثير من مصادر الطاقة المتنوعة . وعندئذ يحتاج الانسان قدراً يسيراً من ذرات بعض اليورانيوم (مثلاً) في جهاز خاص معدّ لذلك لتجهيز البيت بما يلزم من الطاقة للتدفئة في الشتاء والتبريد في الصيف .

وما يدرينا فقد يقود العلم الى استعمال قدر من الذرات في سيارة فتتولد منها طاقة تدفعها الى السير بالسرعة المطلوبة الى ما شاء الله . وما ينطبق على السيارة ينطبق على السفن والطائرات وسكك الحديد . وكذلك من السهل على العلماء اذا ارادوا صنع مولدات صغيرة للطاقة بحيث يمكن استخدامها في الاغراض السلمية ، من انتاج السيارات وبناء السفن . وفوق ذلك فان المصدر الجديد للطاقة (الذرية او الهيدروجينية) سيكون له اكبر الأثر في اساليب الزراعة والصناعة على انواعها ، وفي علاج كثير من الامراض . ويرى بعض العلماء انه من المحتملات التي قد تفضي اليها هذه الطاقة توليد الكهرباء دون الاعتماد على آلات دوّارة كالمولد الكهربائي . وفي رأي الكثيرين من العلماء ان استخدام الطاقة الذرية حدث اقتصادي وعمراني ستكون له نتائج خطيرة بعيدة المدى من شأنها ان تزيل مشكلة الوقود في العالم . وليس في هذا ما يوجب العجب اذا علمنا ان الرطل الواحد من اليورانيوم ٢٣٥ يعادل في الطاقة خمسة ملايين رطل من الفحم او اربعة ملايين غالون من البنزين .

وجاء في رسالة « ماذا تخفيه نواة الذرة للانسان » أن بعض العلماء اليوم يكتبون اشياء اشبه بالخرافات منها بالحقائق . فقد فكر « ارفنج لانجماير Irving Langmair » في « استبدال قطارات السكك الحديدية بمركبات تقذف داخل نفق كبيرة فتسير المركبات وسط مجال مغناطيسي قوي . فلا المركبة تصطدم في طيرانها بسقيفة النفق ، ولا هي تلمس في سيرها ارضه ، بل هي تسبح بسرعة فائقة في هذا النفق المفرغ من الهواء بحيث يصل المسافر من نيويورك الى سان فرنسيسكو في نصف ساعة .. » بمعنى انك تسافر من القدس الى دمشق في حوالي دقيقة واحدة !! وصاحب هذه الافكار لا يلقي الكلام جزافاً ، بل هو عالم من الطراز الاول من حملة جائزة نوبل .

وهناك تنبؤات كثيرة بالتغييرات الهامة التي تحدثها الطاقة في سير العمران واتجاه المدنية والحضارة .

والذي نرجوه ان يتكيف عقل الانسان مع البيئة المتجددة فلا يتمادى في تسخير قواه في الهدم والتدمير ، بل تتغلب الحكمة البشرية على المطامع والأهواء فيوجه الانسان هذه القوى الهائلة في طريق الخير والبناء والاثمار ، لتجني منها الانسانية الرفاه والاطمئنان ، ولتحصل على عالم افضل ومحيط اسمى تذوب فيه الانانية والمطامع الاستعمارية وتزدهر فيه القيم المعنوية وتنمو فيه الروحية على أسس من العدل والحق والخير والجمال .

نابلس **قدري حافظ طوقان**



حِبال الموت..

لأبي محمد بن الحسين الشبل
(المتوفى سنة ٤٧٤ هـ)
في رثاء اخيه

غاية الحزن والسرور انقضاءُ ... ما لحيّ من بعد ميتٍ بقاءُ
لا لبيدٌ (بأربدٍ) مات حزناً ... وسلت عن شقيقها (الخنساء)
مثلما في التراب يبلى الفتى ... فالحزن يبلى من بعده والبكاء
غير أن الأموات غابوا وبقّوا ... غُصَصاً لا تسيغه الاحياء
إنما نحن بين ظفرٍ ونابٍ ... من خطوبٍ اسودُهن ضِراء
نتمنى وفي المنى قِصَرُ العمر ... فنغدو بما نُسَرّ نُساء
صحةُ المرء للسّقام طريقٌ ... وطريقُ الفناء هذا البقاء
بالذي نغتذي نموت ونحيا ... أقتلُ الداء للنفوس الدواء
ليت شعري حُلماً تمرّ بنا الايام ... أم ليس تعقِلُ الاشياء
ما لقينا من غدر دنيا فلا كانت ... ولا كان أخذها والعطاء
راجعٌ جودها عليها فمهما ... يهبِ الصبح يستردّ المساء
خُلّبٌ تحت راعدٍ وسرابٌ ... كرعت فيه مومس خرقاء
وقليلاً ما تصحب المهجةُ الجسمَ ... ففيمَ الأسى وفيمَ العناء

يا أخي عاد بعدك الماء سُماً ... وسَموماً ذاك النسيم الرُّخاء
والدموع الغزار عادت من الانفاس ... ناراً تثيرها الصُّعَداء
أين ما كنتَ تنتضي من لسانٍ ... في مقامٍ ما للمواضي انتضاء
إن محا حسنك الترابُ فما للدمع ... يوماً بصحن خدي امحاء
او تَبِنْ لم يَبِنْ قديمُ ودادٍ ... أو تمت لم يمت عليك الثناء
شطرَ نفسي دفنتُ والشطر باقٍ ... يتمنى ومن مناهُ الفناء
إن تكن قدّمته ايدي المنايا ... فالى السابقين تمضي البِطاء
يدرك الموتُ كلَّ حيّ ولو ... أخفته عنه في برجها الجوزاء
ليت شعري وللبِلى كلُّ ذي الخَلْقِ ... بماذا تُميَّزُ الانبياء
موتُ ذا العالِمِ المفضّلِ بالنطق ... وذا السارح البهيم سواء
لا غَويٌّ لفقده تبسم الارض ... ولا للتقيّ تبكي السماء
كم محا غرةَ الكواكب صبحٌ ... ثم خطت ضياءَها الظلماء
انما الناسُ قادمٌ إثر ماضٍ ... بدء قوم للآخرين انتهاء

الرمس القائم ..

قصة قصيرة بقلم [illegible]

٥

« أُدخل » . اخترقت هذه الكلمة صماخ اذنيه فكان لها وقع مؤلم كريه . ونظر أمامه ، فوجد باباً حديدياً قد انفتح عن فوهة معتمة عفنة ، لا ترى خلالها دركة ، ولا تتميز جداراً ، ولا سقفاً ، ولا قراراً . قطعة من الظلمات قداستعدت لابتلاعه. وأحس بيد الحارس تدفعه الى الامام دفعاً هو الى الوكز أقرب . فتقدم غير مختار ، ومد قدمه حذراً في الظلام فكاد يكبو بالرغم من احتراسه ، اذ ما كان يرى موطيء قدمه، أدركة هي أم هوة أم ارض في مستوى الوصيد. واستقر على الارض ، بعد ان اصطدمت قدمه بها اصطداماً ، وسمع الباب يصفق وراءه فيحدث دوياً وزمجرة ، وعاد يتحسس طريقه مرة اخرى ، وعد ثلاث دركات قبل ان يتأكد بانه قد استوى فوق البلاط . وتقدم بحذر ، وما كاد يخطو خطوة واحدة حتى لطمه جدار ، فولى وجهه شطر اليمين ، فاستدار الى الوراء، وتقدم فتلقاه جدار آخر ليس أبعد مدى من سابقيه. يا للهول ، أزنزانة هذه أم قبر ؟ أجل انها قبر قائم ، يستطيع الانسان ان يقف فيه ولا يستطيع ان يتمدد او يضطجع . وعلل نفسه بامكان الاقعاء والتكور، وأحس كأنه يستطيع ان يلمس الظلام الذي يكتنفه لمساً ، وانه يتنفسه ، بل انه لينساب في عقله من اذنيه وباصرتيه ، وارتعد بدنه لما شعر بالرطوبة الثقيلة تتسلل الى عظامه .

اذن فسيقضي ليلة بكاملها ، واقفاً أو مقعياً أو متربعاً في هذا القبر ، لكي يحقق معه في الغد . ولكن لِمَ كل هذا ؟ وما الذي فعل ليستحق هذا العقاب القاسي الذي أعد له قبل ان يدان لكي يدان ؟

وحاول ان يستعيد بعض تلك النصوص المسطرة في كتب الحقوق الضخمة ، تلك التي يقوم بتدريسها أساتذة يختالون بشهاداتهم الجامعية،وبما حشروا في أذهانهم من مواد تلك القوانين وشروحها . ان التعذيب لغاية التحقيق ، وهو ما كان مباحاً في عصور الظلام ، يعتبر الآن جريمة منكرة . هذا هو منطق قوانينه ؟ إذن فهو مجنيّ عليه ، ولكن لمن المشتكى ؟

وافلتت من حنجرته قهقهة غير اختيارية ، ردتها الجدران كأنها تصفعه بها صفعاً . ان الواقع يدحض نصوص قوانينه ، وهوذا التعذيب للاعتراف ، وهذا هو الاول ، فاذا لم يفد فثمة انواع اخرى ، من حبس في المراحيض الفائضة ، وتعليق من الاكتاف ، وجر الأظافر بالكلاليب ، وكي الجسم بالمكاوي كما تكوى الثياب . اما الضرب والصفع والاهانة، فتلك توابل من التوابل والمشهيات ، لا من الوجبات الأصلية .

ولكن كيف يعترف ، وبِمَ يعترف ؟ انه لم يفعل سوى ان شارك في مظاهرة ، وقد تبرع برفع العلم ، وتحمس اكثر من غيره فقاوم الشرطة مع من قاومها من رفاقه ، ولم ينهزم في أول المعركة ، فالتقطته سيارة الشرطة ، وحشرته مع من لم يستطع الهرب من رفاقه ، وجاءت بهم رأساً الى هذا السجن ، ثم الى هذا الجب ... وقطعت عليه مجرى افكاره صرخة حادة تنطق بالهول والرعب والألم ، اقتحمت عليه زنزانته ، من تلك الكوة الصغيرة في أعلى الباب، فتصبب جبينه عرقاً ، وانتابته رعدة اخرى .

وعاد يستعرض نصوص قوانينه، ودساتير بلاده الديمقراطية. انها تصرح بحرية التظاهر، وتنص على حرية ابداء الرأي،وحرية المعتقد الديني والسياسي . ولم يفعل هو وبقية رفاقه . غير ان تظاهروا ، مستنكرين قراراً حكومياً خطيراً وجدوا انه في غير مصلحة بلادهم . هذا كل ما حدث، كان طلاب كلية الحقوق أشد شعوراً بخطورة هذا القرار من ناحيته القانونية ، فكانوا اول من استنكر وأعلن استنكاره . لقد استعملوا حقاً من حقوقهم الدستورية، فأين الجرم في كل ذلك ؟

ترى من يريد أن يقنع بمنطقه هذا ؟ أهذه الجدران الصماء التي تكاد تطبق عليه ؟ ام الظلمات الكثيفة المدلهمة ؟ لا ، ولكنه كان يعد العدة الى صباح الغد ، ويحضر ما سيدلي به ، وما سيقدم من حجج واعتراض واستنكار . ولم يعلم بالضبط كيف دهمه النعاس ، وكيف استطاع ان ينام ، وكل ما يتذكره هو أنه شعر بصداع شديد، وتعب قاتل فالتف على الارض التفافاً ،

وتوسد ذراعه ، ثم استغرقه نعاس مزعج ، بل كابوس مرعب . رأى نفسه في داره ، ممدداً على سريره ، في غرفته الخاصة . كانت الغرفة معتمة ، ولكنه كان يرى برغم ذلك ، وجوهاً كثيرة عزيزة ، ويسمع إجهاشات البكاء واصوات النحيب . هي ذي امه واختاه يندبنه وهن يلطمن الوجوه ويقطعن الشعور . كان يرى ويسمع ، ولكنه لا يستطيع حراكاً ولا كلاما . واعتراه رعب هائل ، ويأس قاتل لما رآهم يغسلونه ويكفنونه ويحملونه على الأعناق ، ثم ساروا به الى المقبرة ، ورأى اللحد قد شق له ، وشرع اصدقاؤه يدلون تابوته فيه باكين آسفين . ولما أحس بالتراب يهال فوقه ، استجمع كل قواه ، تحت تأثير نوبة حادة من اليأس والرعب ، واذا بقواه تعود اليه فجأة على أشد ما تكون ، فوثب في التابوت زاعقاً بصوت يصم الآذان ، فلطمه التابوت ، ورده الى موضعه ، فعاد يصرخ ويضرب التابوت بيديه وبكل جسمه ، وهو يبكي بكاء مراً ، ويصيح : « لست ميتاً ، لست ميتاً ، انني حي! » ، وأحس بأن التابوت الخشبي قد استحال جدراناً صماء ، وبأن غطاءه أصبح حديـــداً ذا رنين اخرس . فمضى يصيح ويصيح وقد جن جنونه .

وتميز وسط تلك الضجة التي أحدثها ، صوت مفتاح يدار في قفل ، ثم صرير باب يفتح ، وصوتاً اجش يهيب به « هيا اخرج » فمد يديه ناحية الصوت كالأعمى حين يتلمس طريقه ، وهو ما يزال يصيح مستغيثاً باكياً . واطبقت على كتفيه أيد قوية جرته جراً من ذلك الجب ، ثم شعر بانه يمشي بين اثنين في ممر طويل فتح في آخره باب . وأحس بالنور الساطع يخز عينيه وخزاً ، فغطاهما بيديه برهة ، ثم عاد يستقبل النور مترفقاً بعينيه ووجد نفسه في باحة السجن ، وكانت أشعة الشمس الباهرة قد ملأت الاكوان ، وشعر شعور ميت يعود الى الحياة ، فتطلع حواليه ، مرتجفاً مبتهجاً طاحراً ، زاحراً ، ناحماً ، ووجد ثلاثة من رفاقه يحيطون به مبهوتين مبغوتين ، وسأله احدهم « ما الذي جرى لك ؟ ولم تبكي وتصرخ ؟ هل ضربوك ؟ هل عذبوك ؟ »

وأجلسوه بينهم على مسطبة ، وأتاه احدهم بماء رش به وجهه ، وجرّعه قليلاً منه ، فتمالك روعه ، وعاد يملأ عينيه بصورهم ، وأجاب معتذراً خجلاً « لقد كنت في حلم غريب اختلط باليقظة اختلاطاً عجيباً ، ولو لم أركم ، وأرَ نور الشمس ، لما ايقنت بأني قد استيقظت . هل قضيتم لياليكم في زنزانة مظلمة كزنزانتي ؟ »

فهزوا رؤوسهم ايجاباً وقال له احدهم « سينادونك للتحقيق معك ، فقد طلبت قبل لحظة ، وأعتقد ان والدك قد سعى سعيــه لاطلاق سراحك » .

وما كاد الصديق يفرغ من كلامه حتى صاح احد الشرطة باسمه ، فلبى النداء واقتيد الى غرفة فاخرة ، مؤثثة بأثاث فخم وثير ، ورأى كبير الشرطة وراء منضدته الفاخرة ، واباه جالساً على احدى الارائك ، وبجانبه آخر يحمل ملفاً كبيراً ، وهش له الأخير وبش ، واشار له بالجلوس الى جانبه .

قال ابوه : « لقد قضيت ليلة ليلاء كما اظن ؟ هذا عقاب مستحب ، جزاء تدخلك فيما لا يعنيك ، وما كنت اعلم انك من طراز اولئك الذين يهوون الشغب والفوضى ، والخير فيما حدث إذ صانك من الوقوع في شر اكبر . »

وعقب كبير الشرطة بقوله : « ان التقارير التي لدينا تشير الى كثرة اختلاطه بالمشاغبين في مدرسته ، وقد اشترك معهم فعلاً في قيادة مظاهرة امس ، ولكننا نعلم ايضاً بانه لم يشترك حتى الآن في الحركات السرية ، ولم يتورط في المبادىء الهدامة . »

ولم يجب بشيء، فقد شعر بثورة تعصف في رأسه، وباحتقار ومقت شديد لمن حوله. كان يريد الخروج مهما كلفه الامر. واستمر التحقيق معه نصف ساعة. ولم يخف على المحقق شيئاً، فلم يكن لديه ما يستحق ان يخفى. وخرج مع ابيه بعد انتهاء الاستجواب، وشيع الأب بالتجلة والاحترام.

وقال لأبيه: «أتراهم كانوا يطلقون سراحي بمثل هذا اليسر، لو لم تكن انت ابي؟».

فأجاب الأب عابساً: «وما الذي يعنيك من أمر غيرك؟»

وتلقته امه واختاه بين الاحضان، وانطلقت بهم السيارة الفارهة نحو الدار الآمنة، وعطلها زحام في أحد الميادين العامة، فتطلع افراد العائلة منها ليستطلعوا مأتاه، وعلقت انظارهم بمشنقة شامخة تطاول السماء بكبرياء وحشية وقد تدلى منها رجل يتأرجح في الفضاء، فقالت كبرى الاختين: «لقد شنق هذا الرجل لانه اختلف مع السلطة الحاكمة في مدلول الحكم وأصوله ليس إلا، بينما نرى الخونة والسراق والمرتشين، لا تنالهم عقوبة، بل وان بعضهم ليتمتع بكثير من المجد والجاه.»

فرد عليها اخوها هازئاً: «يقول ابي ان علينا ألا نهتم بشؤون غيرنا.»

فردت الام مؤنبة: «لم تدسون انوفكم في امور لا تعنيكم ولا تفقهون خفاياها؟ ان هذا مشاغب يريد قلب نظام الحكم.»

فتوثبت الاخت الصغرى وقالت متحمسة: «لقد تتبعت سير محاكمة هذا المسكين، فلم اجد دليلا واحداً يثبت ما تقولين، ولم يقم هذا بثورة ولا أجج فتنة، بل كل ما هنالك انه اعلن رأيه في إدارة فاسدة، ورغبته في تغييرها، ومن منا لا يشاركه في رأيه؟ فهل نحن ايضاً نستحق الشنق؟»

فعاد الاخ الى سخريته واجاب: «لو كنا من طبقته لشنقنا حتما، ولكن شكراً للجاه.»

فقال الاب غاضباً: كفى هذراً فقد رأيت عاقبة الطيش!

فأجاب الابن بابتسامة مرة: «اجل يا ابي، لقد رأيت عجباً. لقد علمت ان كل ما هو مسطر في الكتب من انظمة وقوانين ما هي الا حبر على ورق. لقد عذبت دون ذنب، واطلقت لسبب غير وجيه، واردت الشكوى فوجدت ان الجدران لا تجيب، والظلام لا يبصر، والابواب لا تفهم، فاقتنعت، بعد تفكير، بان من يروم الحرية، والفكاك من اطباق الرموس، عليه ان يحطم القيود تحطيما، والا فليرض بالموت.»

بغداد **ذو النون ايوب**

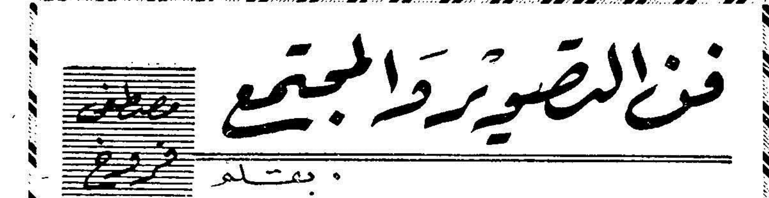
مصرع عنكبوت...

نسجت من لعابها قفصا	ثم راحت في الليل تنتظر
وأنا والهدوء نرقبها	ودموع الخريف تنهمر...
هومت تستجم هاذية	واعتراها في صمتها ضجر
وتدلى خيط به وهن	فاذا العنكبوت تنتحر

* * *

إيه حادي النجوم غن لها	لم يهدهد حنينها وتر
ولتشيع باللحن بائسة	نحو وادي الفناء تنحدر!
آثرت موتها وما جزعت	وتلاشى من نفسها الحذر
فغدا بيتها لها كفناً	وعليه من بؤسها صور!
همها أن تعيش هانئة	فاذا العيش كله كدر!
ما لها والحياة قاسية	وجراد الفساد ينتشر...
وبنو البؤس في مراقدهم	كفروا بالحياة فاندثروا
في كهوف الرؤى تصارعهم	نغمات الشكوى وتنتهر
وأفاعي الحرمان جائعة	تتلوى فيطفر الشرر!...
هذه الارض كهف عزلتهم	أتراهم عناكب بشر؟..
يمرح الحقد في سرائرهم	وعقود الآمال تنتثر
لا يبالي أولو الثراء بهم	لا تلمهم يا ليل إن كفروا
يطفئون البلوى بنشوتهم	لا رجاء يغري ولا سمر
من كروم النسيان خمرتهم	في كؤوس الاوهام تعتصر
دفنوا في الدجى رغائبهم	عن عيون الوجود فاحتقروا!

مصطفى محمود
من اسرة الجبل الملهم



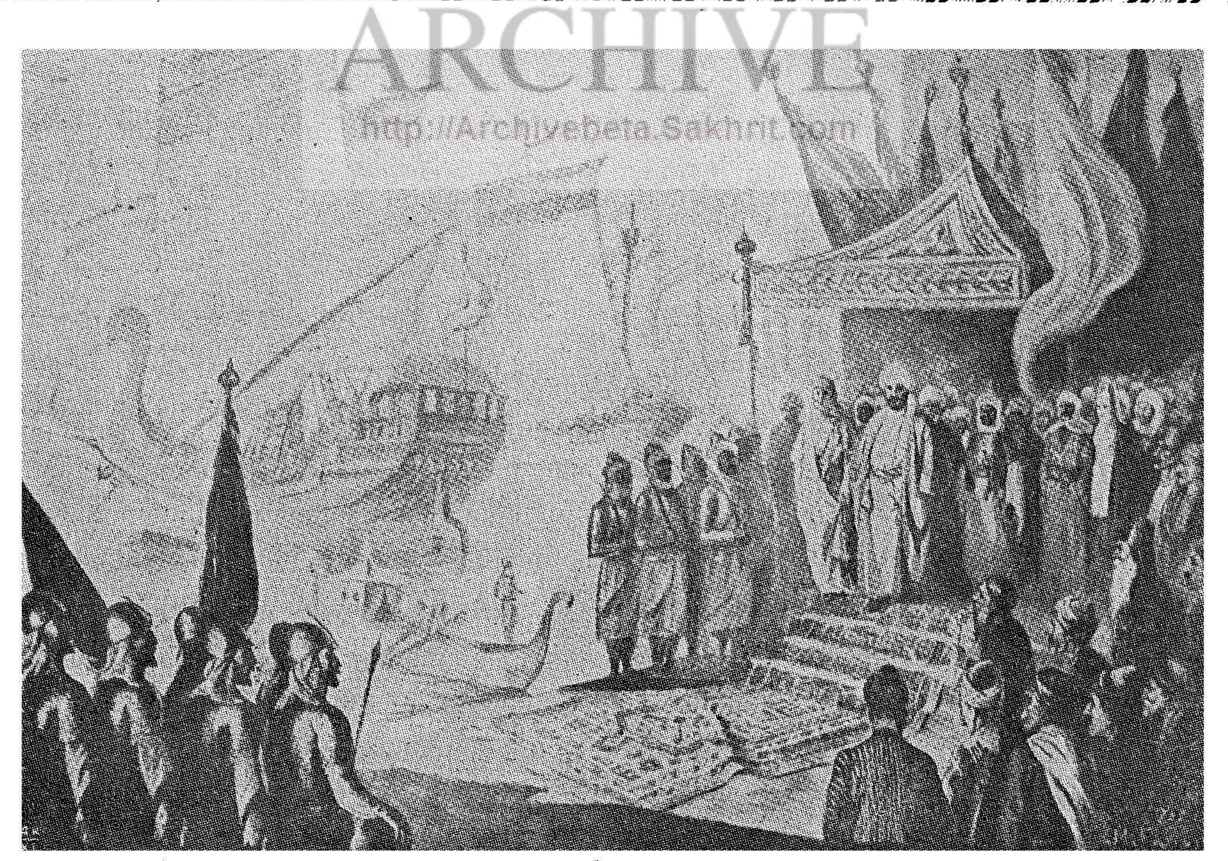
من المعروف ان الفنون رسالة كغيرها من الرسالات الفكرية ، فهي في الاصل تعبير عما يخالج نفس الانسان من مختلف التأثرات والاحاسيس ثم عرضُها باسلوب رائع جذاب كي تمثل اسمى الميزات الانسانية وانبلها .

غير ان الفنون تهدف بالاضافة إلى هذا الى غاية اجتماعية وغرض اصلاحي يرقيان بالمرء آخر الامر الى ارفع الذروات التي ما فتئت تضطرم بها نفس هذا الانسان المتجدد الباحث دوماً عن المثل الاعلى .

هذه هي بعض اغراض الفنون في المجتمع ولهذا أحلتها الامم الراقية مكانتها المرموقة وجعلتها جزءاً اساسياً من التربية والتوجيه .

ولكن لو بحثنا عن الدور الذي قامت به الفنون قديماً في المجتمع العربي ، لوجدنا ان هذه الفنون قد أخطأت الرسالة وبعدت عن الهدف ، فهي في معظمها كانت وقفاً على بعض الافراد من ملوك وحكام وأثرياء وقلما التفتت جدياً الى المجتمع الذي تعيش فيه وتشاركه همومه ورغباته، ونادراً ماعالجت مشاكله.

فالفنون كانت ولم يزل معظمها ، ويا للاسف ، تعمل ضمن نطاق ضيق بالنسبة الى حياة الامة العربية . ان همها الاكبر هو الترفيه عن بعض الموسرين واصحاب الجاه والسلطان . وبتعبير آخر ان معظم الفنون عندنا أناني يقوم على المتعة والتسلية حيناً ويقصد الى التجارة حيناً آخر . فالفنون جملة تعيش بيننا ولا تعيش ،فهي في عزلة بل هي تقبع في برجها العاجي لا تريد ان تتعرف الى المجتمع ولا ان تحس مع الناس ، فهي في اكثر الحالات استجداء واستخذاء ، ومديح ورثاء ، وغزل وهجاء . اما المجتمع واما الحياة واما الطبيعة ، فهي امور تكاد لا تستحق منها التفاتة . لذلك نجد انفسنا في شبه فقر مخجل لغياب الكثير من صور الحياة والمجتمع وفقدان كل اثر للتوجيه والتهذيب .



معاوية يركب البحر

اما النقش والبناء والتصوير ، فكان ينظر اليها كمهنة منحطة ليس لاصحابها الحق في وضع اسمائهم على انتاجهم . وكان غاية ما يقصد منها حب الزينة والبهجة فحسب ولم تكن تهدف الى أية فكرة ثقافية . لذلك كثرت فيها الاحجار الكريمة وغصت بمعادن الذهب والفضة ولكنها خلت من معدن الفكر والتأمل والانسانية.

واذا نحن قابلنا ذلك بالنهضة الاوربية ، نرى انه يوم شاءت هذه ان تبني حضارتها، ركزتها على فكرة الجمال، الجمال المطلق، وكرست هذا الجمال لتهذيب النفس والسمو بها الى ابعد ما يمكن من الرقة والسمو الانساني، فاذا بالادب يدور حول تهذيب هذه النفس وصقلها . وكذلك كان شأن بقية الفنون فقد وقفت همها على ملاحظة الطبيعة وما فيها من جمال ثم مزجه بالفكر الانساني النبيل تقدمه شراباً سائغاً للانفس البشرية التي عذبها الجسد بجذبه اليها بمختلف مطالبه المادية ليغمرها في حمأة الوحل والتراب ، فاذا بالفن ينقذها من خطر السقوط والانحدار البهيمي ليرفعها الى جو حلو من الحب والخير والجمال .

اما التصوير ، وهو فرع من هذه الفنون ، فلا يقوم معظمه عندنا برسالته الاجتماعية ولا يشترك في تمثيل رغبات الامة . فهو في ذلك كبقية الفنون يردد اشياء حفظها دون ان يحس بهـا ، كالشاعر الذي يتغزل بضوء القمر ولا يرى الدماء التي تسيل قريباً منه ، ولا يسمع انين البؤساء والمحرومين والمشردين ، او كالمغني الذي يتأوه ويشتكي ظلم الحبيب ، وهو بقربه ، متجاهلاً الاضطهاد والظلم النازلين بابناء جلدته . ويبدو من هذا ان الفنون وفي طليعتها التصوير، اصبحت حرفة وصناعة اكثر منها فناً خالصاً ينبعث من القلب والفكر والوجدان .

وبعدُ فأحب ان اسأل : لماذا لا يضع الفنانون عندنا مثلاً لوحات عن بعض النواحي الاجتماعية كالبطالة والتشرد والانهيار الاخلاقي بدلاً من تصوير الأزهار والنساء العاريات ؟ لماذا لا يصورون لنا شيئاً عن الفوضى الادارية والسياسية التي نتألم منها؟ لماذا لا يمثلون لنا بعض المشاهد التاريخية التي تحمل امجادنا فتحفزنا للعمل والاقدام؟ لماذا لا يضعون لوحات عن جهاد الفلاح في ارضه ونتيجة عمله ليحببوا الناس بالارض، بل لماذا لا يعرضون لنا في لوحاتهم بعض مشاهد من كفاح العالم العربي في سبيل تحرره واستقلاله ؟ واخيراً لماذا لا يصورون لنا بعض عاداتنا الجميلة



نهاية عهد !

وآثارنا التاريخية كي نحبها ونحافظ عليها ؟

ان هناك مجالاً واسعاً امام الفنانين لوضع لوحات تمثل مشاكلنا، فالفنون هي بمثابة المرآة التي ترى الامة صورتها عليها، فمتى شاهدت اهدافها ممثلة امامها باسلوب مثير احدثت ردة عميقة تجاوبت مع رغباتها وسهل معها الوثوب والتنفيذ.

ولكن الانصاف يقضي علينا ان نقول ايضاً ان للفنانين بعض العذر لأن ضرورات الحياة القاسية كثيراً ما تمنعهم من تحقيق مثل هذه المواضيع التي تتطلب تكاليف مادية ومعنوية باهظة. وليس هناك وعي شعبي او حكومي يقدّر او يساعد. لذلك يصدف الفنان عنها ليصور اشياء عادية ترضي الناس فيشترونها بما يقوم بمعيشة الفنان الذي هو ايضاً من طينة البشر وبحاجة الى الغذاء والكساء .

وهكذا نرى ان الفن التصويري لا يستطيع أن يؤدي رسالته الاجتماعية المثلى في البلاد العربية الا بمؤازرة الامة وتشجيع الحكومة ، فمتى اجتمع اخلاص الفنان الى وعي الامة تمت لنا الثمرة الصالحة والنتيجة الطيبة .

مصطفى فروخ

المحسنون

— ١ —

– أماه اين ابي؟ ماذا سيلبس في التراب البارد؟
الطفل يهذي ليس يدري انه لبس الكفن
يا طفل ان أباكَ قد فقَد الشعورْ
كالناس في هذا الزمان الجاحد
فعلامَ تسألني ؟
فالحزن يخنقني
قد كان في قبر الحياةِ معذباً في عمره
والآن امسى لا يحسّ مصيبةً في قبره
– أماه اين ابي ؟
الطفل يبكي ليس يدري ما تقول ..
يا ايها الطفل الحزين ألا تنامْ ؟
فالليل قد منح النعاسَ الى الأنامْ ..
– أأنام ، كيف انامُ ؟
ان الجوعَ حرامُ
اماه اين ابي ؟
الطفل يبكي ليس يدري ما تقول ..

★ ★ ★

وأتت اليها الذكرياتُ تهزها ، وتهز حتى كوخها
وتهز كل الناس الا المترفين !
اتريد تفهم ما اقول ؟
– اجل أريد ..
ان المصيبة يا وليدي لن تزولْ
يا طفل ان اباكَ ولّى لن يعودْ
هيهات ان يأتي وقد سكن اللحود
– ماذا سنأكل ؟ من سيعطينا الطعام ؟
يا ايها الطفل الحزين ألا تنام ؟ ألا تنام ؟
فغداً سنلتهم الحشائشَ في الحقولْ !

— ٢ —

وأتى الصباحُ بلا جمالٍ او جلال
واستيقظ الطفلُ اليتيم الجائعُ
– أماه اين الأكل ؟ بل اين الرغيف ؟
لا زاد عندي يا حبيبي ؟
هيا أتشرب من حليبي ؟
– إني كبرتُ فكيف اشرب كالرضيع ؟
حسناً ستشربُ من نحيبي !

★ ★ ★

حملته في رفق وسارت في الطريقْ
في موكب البؤس العميق
تمشي وتنظر للقصورْ
فتعود تحلم بالقبور
والبعث في يوم النشور
وصلت الى قصرٍ كبيرٍ شامخٍ
فرأت بباب القصر انساناً يقول :
اين القديد؟ جاءت كلاب القصر يافلاحنا اين القديد
فسعت اليه وهي تومىء باليدِ
للطفل وهي تقول للرجل العظيم بماله
بالله هل اعطيت طفلي لحمة مثل الكلاب ؟
يا ايها المرء اعتبرنا لحظةً مثل الكلاب ،
مثل الكلاب !!
« هيا ادخلي » قال الثري بلهجة فيها عتاب
من اين ادخل سيدي ؟ فأجابها :
من الف باب !!
أكل اليتيم مع الكلاب، مع الكلاب ..
وسرتْ حكاية فضل رب الدار بين المحسنين
فمشى فخوراً يرتجي فردوس رب العالمين !!

بغداد — **حارث طه الراوي**

ذكريات للذ...

بقلم صباح محيي الدين

٣٠ كانون الاول ١٩٥٢

وجه باريس حيٌّ قلّبٌ فهو يضحك إذ تداعبه الشمس وتنثر على النهر ذهبها دنانير، ويغبرُّ حين تدكن السماء وتزورُّ في الشتاء، اما نور الخريف، ذلك الرماد اللؤلؤي الحالم، فهو يضفي على المدينة الغافية في حجر نهرها الاعقف كآبة تكاد ان تكون انسانية.

وأما الثلج، فعارض غريب، يطوّح بكل ما عهدته النفس من صور لمدينة تشابكت بها ايامها وأحلامها، ويثير مشاعرَ متضاربة من الجمود والحركة في آن واحد، كأنه حجاب على وجه جميل يداعبه نسيم رقيق، فتظل العين عالقة بها تحاول ان تستشف ما قد يخفيه من ملامح عذبة لطيفة.

والثلج هذا الصباح لا يتساقط قطعاً كبيرة كأنها ريش البجع، يتهادى ببطء حتى يصل الى الارض حيث يحط بجلال على بساط من المخمل الابيض، بل تذروه شذراً ريح عابثة أرنة، فلا تستبين المدينة من ورائه ويخيل للناظر انه في قطار سريع تغيب لسرعته معالم الطبيعة وتختلط ألوانها وخطوطها.

وصَفَتِ السماء مساءً، فخرجت اسير في الشوارع في ليلة رأس السنة هذه، حتى وصلت الى رصيف نهر السين، ووقفت انظر الى اغصان الاشجار التي سوّدها الشتاء وجلاها الثلج بنثير من السكر الابيض كأنها اشجار خالدة لعيد ميلاد ابدي، او جنيات النهر يحلمن على ضفافه في ثياب من الفرو، محتشمات فلا يُحرِن كلاماً ولا يأتين بحركة.

وغاصت قدماي في الثلج كأنها تسيران على بساط من العشب الندي او على شاطيء رملي. وتمنيت — في هذه الليلة الفريدة — لو ان الثلج دافيء كما هو ناعم، دفء رمل البحر او لو انّ رمل البحر في نعومة الثلج وبياضه، فما ألذ ان يتقلب الجسم العاري الخارج من الماء في الصيف على هذا الفراش من النَدْف الابيض.

آغي Agay — ٢٥ تموز ١٩٥٢

انا هنا منذ خمسة عشر يوماً، بين بحرين، بحر من الشمس وآخر من الماء الازرق الدافيء. لا أقرأ الا القليل، ولا اكتب الا بعض البطاقات، حتى لأهلي، واستسلم للكسل، كقارب استرخى للتيار يحمله في جري بطيء بين ضفتين ملؤهما العشب والزهر والشجر.

والحياة هنا قد اختزلت الى اقصى الحدود، فلم تعد سوى هذا التُبّانَ الذي فرضه المجتمع، وتلك الخيمة التي ألجأ اليها اقلّ وقت ممكن، والطعام اتناوله مع عشرات امثالي من المقيمين في هذا المخيم للطلاب. والوقت لا وجود له هنا، فقد خلفته ورائي في باريس حيث تقرضه اسنان الاوتوبوس والمترو بسرعة مخيفة.

أكل وشرب واستحمام في الماء وفي الشمس...

وشيء غير هذا لا تكمل الحياة من دونه...

لقد توسطت الشمس قبة السماء، وغام الأفق تحت اشعتها المنصبة كشآبيب من التبر، وترجرج خطه كأن البحر يتنزى ويتمطى في كسل واسترخاء تحت دغدغات الشمس. وانقلبت في كسل كي اعرض ظهري للشمس، وفتحت عيني في فتر لأرى هل تغير الرمل او البحر منذ اغمضت عينيّ عنهما؟ ونظرت في اتجاه الماء فلم ابصر اول الامر شيئاً سوى كرات وخطوط سوداء ونيرانية وحمراء وصفراء، ما عتمت ان انجلت شيئاً فشيئاً. واستقرت عيناي على كرة مشعثة تطفو على بعد خمسين متراً في البحر، وامعنت النظر فاذا هو رأس فتاة شقراء تسبح في اتجاه الشاطيء، وكدت اغمض عينيّ من جديد — إذ لم يكن هذا المشهد جديداً عليّ، فالمخيم نصفه فتيات. ولكن خيل إلي اني لم اشاهد هذا الرأس من قبل، فتركت عيني مفتوحتين فضولاً.

وبعد هنيهة اخذ الرأس يعلو عن سطح الماء، وانحسر الماء عن فتاة تتعثر في خطواتها، فيصنع لها الموج خلاخيل من الزبد الابيض. واتجهت نحو الشاطيء الذي كنت لاصقاً برمله، ولما كانت تقف بيني وبين الشمس، فقد بدت في اول الامر هائلة الحجم، صُبت من نور، تصل بين زرقة السماء وشقرة الرمل، ويرسم البحر خلفية زئبقية لجسمها.

واعتادت عيناي النظر اليها فاذا هي شقراء يضحك في عينيها ربيع سنيها العشرين، وتقهقه في لذة حيوانية لهجمات الموج الذي يغسل قدميها وهو يموت على الساحل ثم ينسحب رويداً إذ يمتصه الرمل.

وما زلت اذكر تلك الرعشة التي ملأت نفسي، اذ امتد ظل هذا الجسم حتى وصل الى ركني الدافيء، ووقفت تلك الفتاة امامي، يسيل النور على اعطافها ذهباً مصهوراً، لا يخفي

منها تبانها «البيكيني» شيئاً يذكر ، كأنها ثمرة ناضجة من ثمار هذا الصيف الجواد :

لم يُبق منهـــا وهج الحرور   سوى ضياء في ظروف نور

... اما اسمها فكان « كارين » ، وهي سويدية تزور اوربا على الدراجة مع رفيقة لها ، ولا تعرف من الفرنسية الا نتفاً ، وتجيد الانكليزية الى حد ما . ولما كنت الوحيد في هذا المخيم اتكلم الانكليزية فقد لزم احدنا الآخر . وما اسهل الصداقات وما اسرعها في هذا الجو حيث يخلع المرء القيود الاجتماعية مع ثيابه ويخرج من البحر وقد ترك فيه آخر آثار الرياء البشري .

وفي المساء ، نزلنا جمعاً من الرفاق ، من مخيمنا القائم على تل تظلله اشجار الصنوبر وتملأ جوانبه شجيرات الآس الناضحة عطراً الى مقهى صغير على شاطىء البحر ، حيث كنا نقضي امسياتنـا نتسامر ونشرب «الباستيس» – وهو أقرب شيء الى العرق – ونرقص او نظل الساعات الطوال نراقب القطر الحديدية وهي تمر سراعاً في اتجاه ايطاليا او فرنسا، تحمل مئات الاشخاص نحو مصير لا نعلمه ، لكل منهم حياته وآماله وهمومه .

وكانت الليلة مقمرة ، والقمر مكتمل البهاء ، ينثر عـــلى الطبيعة نوراً لؤلؤي الزرقة ، يخرج بالاشياء عن حقيقتها النابضة بالحركة والدم ، ويحيلها – الى جوهرها – عناصر لا ارضية من عالم الاحلام .

ولست ممن يحبون الرقص الحديث ، اذ افضل عليه رقص العصور السابقة ، الثامن عشر او السابع عشر ، أو الرقصات الفولكلورية او حتى رقص «السماح» العربي البحت . ولو خيرت لاخترت « البيبوب Be-Bop » لانه خير رقص يعبر عن حياتنا الحاضرة المحمومة السكرى بالسرعة والقلق . ولكن هذا القمر، وذلك الباستيس، وجو السَّمر ، ونار تموز ، وشباب « كارين » حملتني على مثل بساط الريح فاذا بي ارقص كسائر الرفاق ، ولم تنقض الا هنيهة حتى ابتعدنا عن الراقصين وسرنا على الرمل وطلبت اليها ان تخلع حذاءها ففعلت وفعلت مثلها ، ودخلنـا الماء المشبع بعدُ بدفء النهار .

وكانت الموسيقى تأتينا من بعيد ، فقد ضرب بينها وبيننا جدار من الظلام، وجدار آخر من شوقنا وانجذابنا .

وأخذنا نرقص من جديد، رقصاً هزجاً رفيقاً ، وحطمت خطواتنا القمر الى آلاف الكِسَر ، واتسعت حول اقدامنـا حلقات من النور حتى سور الظلمة التي كمن وراءها الليل يتحفز كالغول لينقضّ على هذا المقهى المرتج بالنور والموسيقى، كأنه باخرة أوسقت شباباً ونغماً تمخر عباب الليل البهيم .

ولم تكن رقصتنا مما عهده بشر، فقدمازجت الموسيقى جسمينا، وبعض الخمار ؛ وركبنا شيطان الرقص فأخذنا نتحرك في مكاننا كأننا نتأرجح على حبال غير منظورة من النغم البدائي الذي رافق مولد الكائنات وانبثاق الأزهار، لا يقطعه سوى مويجات تلحس ارجلنا ثم تنكفىء مذعورة مخافـة وراءها وشيشاً على رمل الشاطىء وحصبائه .

ووقف الزمن والبحر والقمر ينظرون الينا وقد لفنا الشوق من فرع الى قدم.. وفي اليوم التالي امتطت « كارين» دراجتها وانطلقت على الدرب المشمسة عائدة الى السويد .

١٠ آب ١٩٥٢ – انتيب Antibes متحف بيكاسو

البحر !

انه هنا يملأ الافق ويفيض على السماء، وأحس وجوده القريب حتى امام لوحات بيكاسو وصوره وصحافـــه التي وهبها لهذا المتحف، او كأن انتاج بيكاسو ليس الا صورة عن هذا الصيف المتكيء على البحر كأنه فتي يتفجر حياة وحيوية.

وهذا المتحف ما اجمله على ضيقه ، كان قصراً لحكام مقاطعة نيس حين كانت نيس ايطالية ، ثم وقع في ايدي بلدية «انتيب» فلم تجد له مهمة خيراً من هذه ، ووهبه بيكاسو عدداً من آثاره من لوحات ورسوم وصحاف من القيشاني . ورب مستغرب – عن حق او غير حق – اسلوب بيكاسو في التصوير والتلوين، ولكن رسومه تنتزع الاعجاب وتهز النفس لذة فنية خالصة ، لا سيما وبيكاسو قد اختار لها من المواضيع ما يمثل هذا الشاطىء البديع خير تمثيل، فها هي آلهة الميثولوجيا تتراكض وتتراقص في اندفاع طلقٍ أو ها هو راع ينفخ في قيثارته في اطارٍ من الشجر ، وقد اقعت امامه ظبية تصيخ السمع الى انغامه كأنها اسيرة سحر .

و « بيكاسو » — اذ يخلق هذه العوالم المائجة لذة عيش ونبض حياة – لا يستعمل سوى الورق الأبيض وقلم الرصاص العادي. ولكن اية يدٍ تلك التي تخط الخطوط وترسم الاشخاص والاشجار والحيوانات ! انامل سكنتها آلهة الفن منذ سبعين سنة، فما تعرف الخطأ حين تخط ، وكأنها اذ تضع القلم على الورق ، يتآمر القلم والورق للخلق والابداع ...

باريس   **صباح محي الدين**

ظلال على بعلبك ...

وكأني ارى المراتب والقو
م ، اذا ما بلغت آخر حسي
« البحتري »

هل انتِ ذابلةُ العينين من سَهَرِ
هل أنتِ مُغبرّة الاقدام من سفرِ ؟
أين الليالي التي عجّت مجامرُها ؟
فلا يبيت الدجى إلا على شَرَرِ
أغمِضْ عيونكَ تُبصِرْ كلَّ عالَمِها
يمورُ حولكَ مِلءَ السمع والبصر
كأنني ، وشموعُ المعبَدِ اتقدَتْ
في لاهبٍ ، من ليالي العيد ، مستعرِ
كأنما القومُ قد هَبُّوا على عَجَلٍ
ما بينَ مُؤْتَزِرٍ ، او نِصفِ مؤتزِرِ
كأنني ، والحَواريَّاتُ قد رقَصَت
مُوَشَّحاتٍ بنور الشمس والقمر
مُضمَّخاتٌ ، تملَّى الليلُ من فمها
من أنبأ الليلَ عن ذاكَ الفم العَطِرِ ؟
مرّت على قاصرات الطَّرف عارية
فينوسُ في ركبها مضفورة الشَّعَر
كأن فينوسَ قد أوصت صواحِبَها
أنّ الخفَارة أن تحيا بلا خَفَرِ
والحوضُ ، من حوله الاجسادُ عالقةٌ
متى تفورُ عليها موجةُ النَّهَرِ ؟
والآلهاتُ على الأطناف شاخِصةٌ
كأنهن على ميعاد منتظِر
من كل غاويةٍ شفّت مفاتنُها
عن النُّهود ، إلى مصقولة السُّرَرِ
وكل نافرةٍ أرختْ مآزرها
على حبيبٍ ، وراء الغيب مُستتِرِ
او غادةٍ مطلعُ الاقمار ملعبها
شبَّت على اللهو بين العزّ والخطر
قد مثّلتها يدُ النحّاتِ خائفةً
ما أفتنَ الحسنَ ، فيه لفتةُ الذُّعُرِ !
يا قدَّها اللَّدْنَ ألوى عنه هاصِره
لما تحجَّر قَداً غيرَ منهصِرِ
يا نهدَها الصُّلبَ قد جفَّتْ عُصارته !
كم مارَ من لذةٍ في كفِّ مُعْتَصِرِ !
يا للعيونِ التي في طرفها حَوَرٌ
ما بالُها جمدتْ دهراً بلا حَوَرِ !
مشقوقة الجفن لما تَغْتَمِضْ حَذَراً
يا وَيْحها ! أتظلُّ الدهرَ في حَذَرِ ؟

* * *

يا لَلمسارب باللّذاتِ عابقةً !
أمَا تنشقتَ عَبْقَ الحب في الحُجَرِ ؟
كأنني ، والعذارى في مساربها
يخرجْنَ مفتقداتٍ مَلمَسَ العُذُرِ
وذاكَ «باخوسُ» يسقي الشَّرْبَ خمرته
فاعجب «لباخوسَ» شيخ الحانة ، الخمِرِ
الدينُ — عندهم — ما شئتَ من طرَبٍ
والعيشُ سكْرٌ على سكْرٍ مدى العمُرِ
« أسكِرْ همومكَ ! » هذا كلُّ دينِهمُ
برِئتُ ممن يشوبُ الصفو بالكدرِ

* * *

أذاكَ حُلْمٌ تولى عنكَ سامِره
فأين منه نَدامى الكأسِ والوترِ ؟
لا أرتضي الحُلْمَ إلا لمسةً بيدي !
لا تلمسُ اليدُ إلا عافيَ الأثرِ
يا ساري الحلم مهلاً ! ها هنا أبَدٌ
ملَّ الخلود ، فيا لَلخالدِ الضَّجِرِ !

هذي منازلها – رغمَ البلى – برزتْ
يفوح منها عتيقُ الطيِّب في السَّحَر
يا نَسمةَ الطيِّبِ ،قد بوركتِ فائحة
ألطيِّبُ عنهنَّ، أم من عابقِ الزَّهَر؟
يا معْبدَ الشمس! اين الشمسُ أعبدُها؟
ما أثقلَ الليلَ بالأوراد والذِّكرِ!
يا معبد الشمس،ليس الليلُ من شغُلي
ولا العبادةُ بالآلام من وطري
هـذي حياتكَ، في أنضاءِ غابرها
ومـا تمثَّلَ من آياتهـا الغُرَرِ
وما بها من تهـاويلٍ مُزَوَّقةٍ
هل خلَّدَتها سوى كفٍّ على حجر؟

* * *

المعبد الحرُّ، ما فيه سوى عَمَدٍ
مثلِ الثَّكالى مُكبَّاتٍ على حُفَر
او الحسان، طوت بُرْدَ الشباب، فما
حياتُها غيرُ آهاتٍ من الضَّجر
او السبايا حثثْنَ الخَطْوَ عن ذعُرٍ
فهنَّ، من شدة الاعياء، في بَهَر
يرُدْنَ، حيثُ تنامُ الارض لاهبةً
ظلّاً من الصخر، او فيئاً من الشجر
تموجُ فوق سراب الوهم حـائمةً
ما ضَرَّ لو جاءها طلٌّ من المطر
لاوِرْدَ تطلب سُقْياه، ولا صَدَرٌ
ترتدُّ عنه، أليس الوِردُ كالصَّدَر؟
يسقطن واحدةً، في إثر واحـدة
كأنهن ضحايا المعبـد الوَقُر

* * *

ما للتماثيلِ حَسرى في مشارفها!
أنظرْ اليها! ألا تختالُ في الطُّمُر؟
ألوتْ بأعناقهـا، لم يدر ناظرها
أنكسة الذلِّ، ام إلواءة الصَّعَر؟
يا ربَّ تمثـال ربٍّ كان منتصراً
فما له اليومَ أمسى غـيرَ منتصر؟
أذلَّهُنَّ زمـانٌ كنَّ غُرَّتَه
وعافهنَّ دُمىً في ملعب القَـدَر

فصِرن مُتعةَ زوّارٍ على مَضَضٍ
وهُنَّ مـن لفَّهُن العِزُّ بالسُّتُر
يا مَعْبَداً للجمال البِكر مَعْرجُه
يهفو عليه جلال الكِبْرِ والكِبَر
في كلِّ مَسحَبِ خَطٍّ عالَمٌ عَجَبٌ
وكلِّ حانيـةٍ فنٌّ لمبتكِر
ما بين مُؤتلِف فيهـا ومختلف
وبـين مُستترٍ منهـا ومنتشر
فأنتَ وسْنانُ، في أطلالها، يقِظٌ
تنبيكَ عن بشرٍ ليسوا من البشر
أصامتون جلالاً في أماكنهم؟
ام ناطقون بصرف الدهر والغِيَر؟
في كل لفتـةِ جيـلٍ يرتمي حجرٌ
كم أجفلتْ منه ذُعْراً ربَّةُ العُصُر!

* * *

ما بالُ أُسْدكِ، في الأسوار قابعةً؟
هل ملَّتِ النَّأمَ،ام بحَّتْ من الزأر؟
ام الحنينُ الى الآجام أذهلهـا؟
فما اطمأنّتْ الى جنٍّ، ولا بشر
يا ربَّةَ الظُّفْرِ لا ترْجي ولا تتقي!
تبقى الحياةُ على الأنياب والظُّفُر
والنسر مدَّ جناحيه عـلى حذرٍ
عجبت للنسر، لم ينهضْ، ولم يطِر!

* * *

رأيتَ يا مسمعي منها، ويا بصري
سمعتَ عنها..فوا سَمْعي ووا بصري!
هذي النفوسُ متى ولَّى مُصوِّرُها
كأنَّ ريشتَه تختالُ في الصُّوَر
يا قبضةَ الفنِّ مـا رقَّتْ أناملُها
إلا لترعش منها قبضةُ القَـدر
يا عبرةَ الدهر! إني غير معتـبر
في عبرة الفن مـا يغني عن العِبر

* * *

من السعادة ان ننسى حقيقتنـا
عند الشقاء،وان نعفو على الذِّكَر..

خليل الهنداوي

خواطر عابرة .. في الأدب العربي المعاصر

بقلم عبد الوهاب الأمين

لست اريد ان يكون كلامي محمولاً على العاطفة وحدها ، كما اني لا اريد ان يخلو منها .

وليس ذلك لأني لا اقدر للعواطف وزنها . فهي هي في نظري حيث كانت من الأهمية ، ولكن سبيل الرد المفصل على ما اقول قد يجد له منفذاً اذا قيل اني منساق بها .

فالواقع ان مهمة الاديب في هذا الظرف الدقيق من تاريخ الادب العربي ابتعدت كثيراً عما كان مقدراً لها ان تكون عليه في مطلع هذا القرن. ولست أجد كثيراً من الظلم عند من يصم موقف ادباء العربية ، وبخاصة الكبار منهم في السن وفي المنزلة معاً ، بالخيانة الفكرية ، فهي لا تقل بحال عنها .

***

نذكر كلنا ولا شك تلك المعركة الهوجاء بين « القديم » و « الجديد » في الادب ، كما نذكر أعلام تلك المعركة ، ومن اكتووا بنارها . ويذكر المتحمسون منا ظلم جانب لجانب في القصد، وتعسف جانب لآخر في اتهام النيات والطعن بالأصول.

وما زلنا نذكر تلك الآمال المعلقة على رجال الادب « الجديد » او « الحديث » او ما شئت فسمّه بخير الاسماء ، ونحن في مطلع « نهضة » فكرية كان يحلو لنا ان نتلمس آثارها تلمس الواقع الصلد .

فما الذي آضت اليه تلك الثورة المبتسرة؟ وما الذي كسبه الادب العربي من تلك المعركة ؟ وكيف تلقاها الجيل الطالع؟

اذكرُ والاسف يملأ جوانبي انني كنت اناقش صديقاً في ذلك الحين حول جوهر تلك « الثورة » وذلك الأدب الجديد ، وانه كان يقول لي – وانا ادرك الآن صواب ما اتجه اليه – ان هذه الثورة مصطنعة كلها ، وان الهدف منها لن يتم الوصول اليه . واذا كان هناك ساحل يمكن الرسو فيه ، فلن يكون هذا الساحل لخير الفكر، ولن يخدم تكوين قيادة فكرية سليمة لوجه الأدب العربي، لانها ليست ثورة حقيقية بالمعنى المفهوم من الثورات الادبية التي تكون في مطلع النهضات ، بل احرى بها ان تكون عاملاً على عرقلة السير الطبيعي للفكر، ولعلها ستنتهي برودة فكرية .

واذكر اني كنت ارمي صاحبي تارة بسوء النظر، واخرى بسوء الطوية، واني كنت اناجزه الرأي وانا مدفوع في الحقيقة بالتمني اكثر من اندفاعي في سبيل الحق المجرد ، فقد كنت اريد ان يتحقق ما اظنه وشيك الحصول. وهو ما يسميه رجال علم النفس بـ (Wishful Thinking).

وها اني اجد اليوم مصداق ما ذهب اليه صاحبي آنذاك.

***

لقد طافت الرجعية كما افهمها ، وكما يفهمها الآن معي رجل الشارع، طوافها في سبل الفكر، وبخاصة في مصر واخذت دورتها الكاملة ، ولم تنته بعد.

وفي مقدمة عناصر الرجعية الفكرية الآن اعمدة الدعوة الى الادب الجديد والى التحرر من وثنية الماضي .

وكنا نسير على يد هؤلاء القادة الفكريين في مسالك ذهنية تبعد الآن باجيال عديدة عن المسالك الضيقة التي يريدون منا ان نسلكها معهم من جديد، بعد ان تركوا جادة الادب «الجديد»!

وبعد ان كنا نجد حرية الفكر المجردة بايحاء منهم، اصبحنا نجد التضييق الفكري عن طريق العصبية الدينية ، بل العصبية المذهبية التي فاتها الزمن، وعلى يدهم هم مع الاسف .

ولولا ان تداركتنا يد الغرب فوجهتنا وجوهنا شطره ، لما خرجنا من ذلك الطريق الأعمى الذي ادخلونا فيه حول ماهية الخلاف بين ابي بكر وعلي الى يوم الدين !

***

وانا اتكلم عن نفسي. واظنني في ذلك انطق عن كثيرين.

وقد ينفع ان يتكلم المرء عن نفسه اذا كان القصد ان يكون امثولة او ان يكون، على خير الفروض، حقل تجاريب كما يقولون في لغة العلم ، وبذلك تجد الـ « انا » المكروهة محلاً لها في الحديث، لأن العبرة هي المقصودة ، لا التحدث عن آلاء النفس

فلو اني قصرت همي ، وحجرت فكري على الزاد الذي

كنت اتلقاه من قادة الفكر العربي المعاصرين ، ولو اني لم اطلع برأسي من نافذة آخرين هي نافذة الغرب ، لكنت في حلقة مفرغة من حيث الكم والكيف .

اقول لو اني قصرت همي على أدب اليوم كما نتلقاه الآن ، بغير شوق ، من مصر مثلاً ، لما خرجت بغير الضئيل من الأدب الضحل في مضمار اللغة ، وغير المنقلب من الفكر المدعر في مضمار الذهن .

ولا اظن احداً يختلف معي في ان المعيار حقيقي بقدر ما هو قاس . فان شدة الداء ليست من صنع الطبيب ومرارة الدواء ليست ذنبه . واوجع ما في الامر ان احدا لم يتطرق الى شيء من هذا لان شعور الكاتب والقارىء معاً قد اختفى وراء احط وسائل الصحافة لاستغلال أحط غرائز الانسان فقط. وفيما عدا ما يكتبه القلة القليلة من امثال الاستاذ «سلامة موسى» مما له علاقة بالهموم الذهنية لرجل اليوم لايستطيع القارىء أن يجد في البريد الضخم الذي ترسله المطبعة المصرية للعالم العربي شيئاً غير أخف انواع « القراءة الخفيفة » .

* * *

لعل هذا الكلام كان ينبغي له ان يوجه على غير هذا الوجه وان ينصرف اللوم فيه غير منصرفه . ولكني لا اعني به غير تسجيل بعض الخواطر التي اتمنى ان يكون صداها لدى غيري قريباً من وقعها في نفسي . ولعل هناك من يجد الوسيلة الفضلى للتعبير عما كنت اريد ان اقوله فيكون لقوله اعمق صدى . وفي ذهني ردود كثيرة يستطيع أن يرد بها الكثيرون ويحاولوا أن يتمحلوا الاعذار لهذا الضحول الذهني والتردي الفكري الذي نلمسه في ادبنا المعاصر ، وهي في جملتها تقع على عاتق القارىء قبل أن تقع على عاتق الكاتب . وانا لا اريد أن استبق الكلام ، وفي ذهني رد على تلك الردود ، فاذا كان هناك صدى لما قلت فلعلَّ الحديث سيكون ذا شجون كما يقولون .

بغداد **عبدالوهاب الامين**

الخطى الحائرة ...

دنيا تدور أمامنا
وعوالم تطوي السنين
وضجيج أصداء مجنَّحة تحثّ السابلين
ما بالنا ؟ ...
نبقى دواماً ها هنا ...
ونخوض في بحرٍ خضمٍّ من غباوة أمسنا
ها نحن نبحث عن طريق ...
والطريق أمامنا
فنعود دهراً للوراء
ونتيه في سبل الفنا
متردّدين ... فهل نسير مع الورى
او لا نسير
متردّدين كأمسنا والكون أعياه المسير
ونَمدّ أيدينا لنلقى من يُبين لنا السبيل
لكنّنا لا نفتح الأبصار في وجه الدّليل
فنظل نهتف خلفه في ظلمة الكهف الطويل
لقطيع أشباح من الوهم المخادع لا تزول
لكن يعود بنا . . .
الى حيث اعتزمنا للرحيل

* * *

أسفيَ ... توارى صوتنا
في ضجة الكون الكبير
ومضى الزمان ....
وما برحنا حائرين هنا ندور
فاذا وقفنا ها هنا
فلسوف ينسانا الشروق
والأفق يحتضن الصّدى
والغيم يبتلع الطّريق
فنتيه في كهف الفنا
ويضمّنا الماضي السّحيق

تونس **محمد العربي صمادح**

واقع الكتاب العربي

بقلم بهيج عثمان

لا تضمني مكتبة من مكتبات الوراقين في هذه الايام ، الا واشعر انني في معرض للرسم الملون ، لما في الواجهات وعلى الرفوف من غلافات ملونة وعناوين مغرية .

اما الغلافات فألوان صارخة من حمراء وخضراء وزرقاء ، او صور برّاقة تدفع الناظر دفعاً الى التحديق .

واما العناوين فقد اصبحت للكتاب زياً من الازياء له طريقته وبدعته ، وله فنه واناقته ، فاذا كان الكتاب مجموعة من الشعر فليس يكفي فيه ان تقول ديوان فلان او شعر ذلك الشاعر ، بل لا بد من ظلال واضواء ، وليالٍ ونجوم ، وآفاق واجواء ، وضباب وسحاب ، وطيب وعبير ، وجلنار واقحوان ، وما يمكن ان يتألف من هذه الكلمات من عناوين انيقة جذابة . وقد يهمل الشاعر هذه العناوين البعيدة ليقترب الى حواء وسمراء ورندلى ، وقد يلح في القرب الى ان يبلغ الخدود والنهود ...

واذا كان الكتاب قصة او مجموعة قصص ، فان التأنق في اختيار العنوان ينتقل الى جو آخر . فلم تعد القصة العاطفية هي التي تستحوذ على اقلام القصاصين ، ولكن الحياة الاجتماعية التي يعيشها الناس في الشرق العربي جرفت كتاب القصة ، فاذا هم يغمسون اقلامهم في واقع هذه الحياة ، بل في الجانب الانساني من هذا الواقع . وهكذا يستوحي القصاص عنوانه من المعذبين والكادحين ، والثورة والدماء ، والجوع الذي لا يرحم ، والكسيح والمنبوذ ، والكفر والفقر ، والام البائسة والاخوات الحزينات ...

والى زمن قريب ، كانت قصص العذارى ، وحياة قلب ، وكلهن نساء ونحوها ، ذات انعكاس خاص في نفس القارىء .

وكان المتوقع ان تفرض موضوعات البحث الرصينة شيئاً من الوقار العلمي فيأتي العنوان عادياً طبيعياً ، غير ان الباحث في هذه الايام لا يقل عن صاحب الكتاب « الشعبي » تأنقاً في صوغ عنوانه وتركيب كلماته ، لا ليوافق العنوان سير البحث ونتائجه ، ولكن ليلائم هوى القارىء وعواطفه ، أو ليحرك فيه رغبة الاطلاع .

هذه الغلافات الملونة المزخرفة ، والعناوين البراقة الجذابة لا تحمل الا كتباً ذات احجام صغيرة ، كأن القارىء لم يعد يحتمل البقاء مع الكتاب الواحد زمناً طويلاً . فالكتاب العربي في هذه السنوات الاخيرة كتاب جيب قبل كل شيء اومقال طويل ، وقد ادرك هذه البدعة ناشرو التراث الادبي القديم فنشروا كتاب الاغاني في « قطوف » صغيرة الحجم ، ونثروا « العقد الفريد » جواهر ويواقيت ليتقبلها القارىء الحديث قبولاً حسناً .

هذا هو الكتاب العربي الحديث في شكله المادي وهيئته الخارجية . وقد اجتاز قبل ان يتخذ هذا الشكل حياة طويلة ، بدأت بالكاتب وانتهت بالقارىء ، وبينهما وسيط هو الناشر .

واذا كان الكاتب يعنيه امر القارىء الذي يوجه اليه الكلام ، فسيرى نفسه قبل ان يمسك القلم مضطراً الى ان يتساءل : اترجم ام اؤلف ؟ اصرح ام اوحّ ؟ ارضي ام اغضب ؟ ابسّط ام اعقد ؟ اسئلة لا بد منها لكل من يكتب كتاباً يريد من ورائه نشر فكرة ، او أداء رسالة بين القارئين ...

ولعل التساؤل بين الترجمة والتأليف أسهل انواع التساؤل وأيسرها حلاً ، فقد تكون الترجمة اكثر اغراء في موضوعات معينة ، ولكن التأليف نوع من الاصالة وتعبير عن الشخصية .

ولكن هل من الخير ان يصرح فيما يكتب ام يكتفي بأن يلمح تلميحاً ؟ هل يسمي الاشياء بأسمائها ، ام يحوم حولها ويدور ؟ هل يشخص الداء بدقة وصدق وإمعان ، فيعيد الامراض الى اسبابها ، ثم يصف الدواء الناجع فيدل القارىء عليه ، مهما اثارت هذه الصراحة في التشخيص والعلاج من نقمة الجامدين وأتباعهم ، ومهما كلفت الكتاب لدى صدوره من منع ومصادرة

لقد تحرر الكاتب في الاشهر الاخيرة من قيود كثيرة تتصل بحريته هذه .. ولكنه لا يزال في نواح معينة من شؤون الحياة والفكر مضطراً الى ان يصرّح بالرأي المقبول لديه ولدى الذين يضيقون عليه القول ، ويكتفي بالجرعة أثر الجرعة يصبها هينة مستساغة ، مبثوثة في اثناء كلامه .

ولكن هؤلاء « المراقبين » ليسوا كل شيء في تفكير المؤلف الذي يكتب في اوضاع مجتمعنا العربي او ما يتصل بها ، فالقارىء العربي اليوم شديد الحساسية ، قوي حاسة الشم ، يشم في الكتاب رائحته من عنوانه او اسم مؤلفه فاذا به يقبل عليه بحماسة بالغة او ينكره اشد الانكار . من اجل ذلك يفكر المؤلف طويلاً في هذه الايام في رضى القارىء وغضبه .

ومن أسباب الرواج التي تدعو المؤلف الى التفكير ، قبل

ان يخط قلمه موضوعات الكتاب ، طريقة العرض ونوع المعالجة فقد كان يخيل الى الناس أن الكتاب المبسط الذي يعرض للقضايا عرضاً سهلاً قريب التناول ، هو الكتاب الذي يرغب فيه القراء ويؤثرونه ، ولكن ظهور عدد من الكتب التي سبرت الغور أكثر مما قاست السطح ، والتي امتدت عمقاً حتى بلغت الجذور أكثر مما ذهبت عرضاً ، ان ظهور هذه الكتب بدد ظن القائلين برغبة القراء في السهل القريب المبسط دائماً . . . وهكذا لم يعد المؤلف مضطراً الى تناول بحثه تناولاً سريعاً خفيفاً ، فالبحث العميق الذي اكتملت اسباب دراسته ، وقوي تغلغل المؤلف فيه ، انصار من القراء يتزايد عددهم يوماً بعد يوم في مختلف انحاء العالم العربي .

اذا انتهى المؤلف من وضع كتابه ، بعد ان لاءم بين هذه التيارات المختلفة التي تضمن لكتابه السيرورة ، حمله الى الناشر . وهنا يجتاز المؤلف مأزقاً ضيقاً ويجابه واقعاً مؤلماً ؛ ذلك أن عدد الناشرين في العالم العربي محدود بالنسبة الى ما يمكن ان تخرجه عقول الموهوبين من أبنائه ، فما اكثر الكتب الصالحة وما أقل الناشرين الذين يمكنهم أن ينهضوا بعبء نشرها . واذا عرفت أن احدى دور النشر في بيروت يقدم اليها في العام الواحد نحو من مئتي كتاب ، ولكنها لا تنشر الا عشرين فقط أدركت نسبة ما ينشر الى ما يطوى ...

ويقلب الناشر الكتاب المخطوط ، المخطوط ، بين يديه . . ولما كان «الناقد» شخصاً لم يعرفه الكتاب العربي بعد فان الناشر يرى نفسه مضطراً إلى ان يطرح هذا السؤال : هل يقدم الكتاب نفسه تقديماً حسناً الى القارىء ؟ هل يحمل عنواناً داعياً ؟ هل لاسم مؤلفه بريق خاص ؟ هل يثير موضوعه عاطفة من العواطف ؟ والناشر معذور في تقدير الكتاب على هذا النحو ، ما دامت المجلات العربية لا تقوم بواجبها نحو الكتاب فتدل قراءها على الجيد منه ومواضع الجودة فيه .

وينشر الكتاب ، ويحتل مكانه من رفوف المكتبات ، ويقبل عليه القارىء أو لا يقبل ، تبعاً لهذه العوامل التي سبق أن أدرك بعضها كل من المؤلف والناشر .

وقد كتب عدد من الكتاب ، متحدثين عن أزمة الكتاب العربي ، ولكن الواقع الذي لاريب فيه ان الكتاب المطبوع منذ حدثت الانقلابات السياسية الأخيرة في العالم العربي ، يمر في مرحلة تعتبر من خير المراحل التي شهدها الكتاب اقبالاً ورواجاً وتداولاً .

ولكن الواقع ايضاً ان هذا الرواج لا يمتد فيشمل جميع ألوان الكتب وموضوعاتها . فاذا كان ثمت ازمة فهي أزمة تتصل بالكتاب الذي يتناول الأدب الخالص ، الأدب الذي يشغله طيف الحبيب ، ويسحره ضوء القمر وصفاء الليل عن لقمة الخبز وعرق الجبين وآلام العيش . وهذه ازمة تنبيء بوجود يقظة جديدة تنبه القارىء العربي وتدفعه الى تفكير جديد يحسن به واقعه اليومي ، وتدفعه الى أن يشارك اخوانه آلامهم ومتاعبهم ، قبل ان يعيش على الخيال المجنح والاحلام المخدرة .

ويقف الرواج ايضاً دون الكتاب التي تفوح منه رائحة تأييد نحو جهة من الجهات التي يكرهها المواطن العربي ، ذلك أنه يصعب على القارىء العربي ان يقرأ كتاباً ضد عواطفه ، ولو كان الاطلاع عليه لا يخلو من فائدة .

وهناك تطور ظاهر في موقف القارىء من الكتاب العربي ، فلم تعد الأسماء الكبيرة ذات الماضي الضخم تغريه كما كانت تغريه في السابق . فكم من الكتب التي سارت في العام الماضي أي مسير ، وأعيد طبعها مرة ومرة ، وهي لا تحمل إلا أسماء مؤلفين جدد ، ذلك لأن موضوعها هام قد أحسنت معالجته .

وبالرغم من التحسن الملموس في وضع الكتاب العربي ، والتزايد المطرد في عدد قرائه ، فان نسبة رواج الكتاب إلى عدد المثقفين العرب لا تزال نسبة ضئيلة ، وخاصة إذا قارنا ذلك بوضع الكتاب في البلاد الأوربية او الأميركية . ولا شك ان المسؤول عن هذا الضعف في الاقبال هو المدرسة التي لا تعلم متخرجيها عادة القراءة الحرة التي تمد القارىء بألوان جديدة من المعرفة .

أما الأزمة التي تضايق الكتاب العربي حقاً ، فهي تلك الأزمة التي تتصل بحرية الكتاب ، وحرية تداوله . فالكتاب لا يصل الى قارئه في هذه الأيام إلا بعد ان يجتاز عقبات وسدوداً من مراقبة متعنتة إلى قيود جمركية شديدة . ومن اليسير على الذين يريدون للثقافة خيراً ان يزيلوها حين يشاؤون .

إذا كان واقع الكتاب ، دليلا على واقع الثقافة ، فان رواج الكتاب الذي يعالج قضايا الحياة الحرة ، والرخاء الاجتماعي والسلام الانساني ، معناه ان الثقافة التي تتناول خير المجموع في العالم العربي بدأت تلقى تجاوباً واهتماماً من المثقفين ، من أجل بناء مستقبل وارف الظلال في أمنه ورخائه وازدهاره وإنسانيته .

بهيج عثمان

كتب تمثّل أدبنا الحديث

جواب الاستاذ ابراهيم العريض

الاجابة عن هذا السؤال ، ارتجالاً ، بمجرد ذكر اسماء خمسة من الكتب قد تكون هينة ... على غيري . فقد هممت ان افعل هذا اول الأمر غير اني رأيت التريث اولى لأن اعادة النظر في السؤال خلقت لي عقبات.

اولها ان النقد الادبي لا يستطيع ان يحكم على اثر حكمه الصحيح الا بعد مضي خمسين عاماً على وفاة صاحبه.. على اقل تقدير. فاذا كان هذا صحيحاً —وهو صحيح— فمعناه انا ملزمون —اذا اردنا ان نصدق انفسنا — بالرجوع الى ما قبل خمسين عاماً لنتلمس الاثار التي توطدت دعائمها حقا ويمكن الحكم عليها بلا محاباة للعصر ، او لاهل العصر . وهذا يلقي بنا في مجاهل المؤثرات الاجنبية التي كان لها اكبر شأن آنذاك بدل ان يدلنا على هذه الآثار بالمعنى الصحيح .

وثانيها ان الاقتصار على خمسة كتب او اقل او اكثر، لا ينصف الحقيقة ولا يصور الواقع. ولذلك اذا جاز تحديد عدد بعينه كما يتطلبه السؤال فلا يكون الا من باب التمثيل ، لا الاكتفاء او الحصر.

وثالث هذه العقبات التي لا بد من التغلب عليها هو ان للادب العربي الحديث— كما لغيره من الآداب المعاصرة — مجالاً واسعاً ، وأفقا غير محدود . فأي باب من هذه الأبواب العديدة تودون التمثيل عليه ؟ هناك مثلا ادب القصة وادب البحث العلمي والنقد الأدبي والتاريخ وهذا الاخير قد يشمل او لا يشمل بابي الرحلات والتراجم. ففي اي هذه الأبواب يقتصر —في التمثيل— على كتب معدودة ؟

هذه هي الصعوبات التي عنت لي وانا أهم بالجواب. غير اني لا اود —على كل حال— ان اعقد المسألة على نفسي. ولذلك فسأقتصر على الاشارة الى كتاب واحد ، لا اكثر ، وفي بعض هذه الأبواب لا كلها لكي لا أتجاوز العدد المطلوب . فالكتب التي اشير اليها بالاضافة الى كونها تمثل الأدب العربي الحديث خير تمثيل ، كان لها في نفس الوقت أكبر الأثر في هذا الاتجاه الخاص أو ذاك .

وهي حسب رأيي :

(١) الاسلام واصول الحكم ، للاستاذ علي عبد الرزاق ، في البحث الاستقرائي.

(٢) ملوك العرب ، للاستاذ امين الريحاني ، في أدب الرحلات .

(٣) الأيام ، للدكتور طه حسين ، في أدب التراجم .

(٤) حياة ابن الرومي من شعره ، للأستاذ عباس محمود العقاد في الدراسة الأدبية .

(٥) الرؤوس ، للاستاذ مارون عبود ، في النقد الشامل .

وقد يقول قائل : وأين أنت من ميخائيل نعيمه مثلا او جبران ؟ إني لم اذكر الا كتاباً واحداً على سبيل التمثيل لا الحصر. مع أن هناك ابواباً اخرى (كالشعر والشعر المنثور والقصص والتاريخ) لم ألم بها ولا ببعضها ، فيها للمتبدين مجال كبير .

بيد ان هذه الخمسة هي من الكتب التي اعتبرها اعلاما في الأدب العربي الحديث . لأنها مهدت — بحق— لما جاء بعدها الطريق . وكانت بصدقها واخلاصها ، وهذه اكبر ميزاتها ، مناراً في التيه للسالكين .

> ## الآداب تستفتي
>
> **ما هي ، في رأيكم ، الكتب الخمسة التي تمثل الادب العربي الحديث خير تمثيل ؟ هذا هو السؤال الذي وجهته «الآداب» في هذا الشهر الى عدد من ادباء البلاد العربية ، فتلقت الأجوبة التالية :**

جواب الاستاذ ذو النون أيوب

السؤال محرج، والجواب عليه يتطلب ذاكرة قوية، واستعراضاً شاملاً لأكداس كبيرة مما اصدرته المطابع العربية من بداية القرن العشرين حتى الآن. ويتطلب ايضاً مقياسا تقدر به قيمة هذه الكتب ، ودرجة تمثيلها للادب العربي الحديث . فأين الوقت؟ وأين المقياس ؟ ثم تأتي كلمة الأدب وما يمثله، فتقع في حيرة اخرى . فما يدخل في باب الادب عندي قد لا يدخل عند سواي في هذا الباب .

اعتقد ان مجلة «الآداب» الغراء حين ارسلت الي هذا الاستفتاء، لم تتوقع مني اصابة تامة للهدف، انما هو مجرد اعتماد ، فلماذا اذن لا اعتمد على هذا الاعتماد، وادلي برأيي، معتبراً أشد هذه الكتب تأثيراً في نفسي ، واعظمها متعة عندي ، هي التي يصدق عليها هذا الوصف .

ان بين الكتب العربية الحديثة كتباً قرأتها حين صدورها فأعجبتني ، وأعدت قراءتها فأفادتني ولست أمل قراءتها . ولست في معرض التعليل والتأويل، فالكتب الخمسة المطلوبة هي :

(١) الأيام ، لطه حسين

(٢) عودة الروح ، لتوفيق الحكيم

(٣) ابراهيم الكاتب ، للمرحوم المازني

(٤) تربية سلامه موسى ، لسلامه موسى

(٥) ديوان الجواهري لمحمد مهدي الجواهري

جواب الدكتور عمر فروخ

ان هذا السؤال سؤال عرفي جداً ، في تحديد عدد الكتب التي تمثل الأدب في عصر من العصور وفي شكله ايضا . يجب ان نفهم «التمثيل الصحيح» للادب بانه تمثيل الخصائص التي تخلد الى حد ما على الاقل ثم تزيد في ثروة الادب عامة او تخلق اتجاها ثابتا . وعلى هذا ارى ان الكتب الخمسة التي يحسن ان تلفت نظرنا هي التي تلي :

١— « ديوان شوقي » او (مجموع شعر شوقي) لانه ابرع ديوان شعر منذ ابي الطيب المتنبي، ولانه يمثل وجدان قائله كما يمثل امجاد امة وعثراتها .

٢— الجزء الاول من «النظرات» للمنفلوطي لان المنفلوطي طبع باسلوب هذا الجزء خاصة اسلوب العرب منذ جيل كامل من الدهر . ان اسلوبنا بعد المنفلوطي يختلف عن اسلوبنا قبله ، وكتب المنفلوطي هي التي خلقت هذا التبديل.

٣— «مكتوب على الجبين» (مجموع قصص قصيرة) لمحمود تيمور. ان القصة مظهر من مظاهر الادب الحديث ، ومحمود تيمور أبرع المعاصرين في

القصة القصيرة ، أما القصة الطويلة فانها لم تستتم بعد في الادب العربي .

٤ – الجزء الاول من «الايام» لطه حسين : تحتاج التراجم الشخصية الى براعة خاصة في السرد. والذين ترجموا لانفسهم (من العرب وغير العرب) ببراعة ملحوظة قليلون جداً، واذا كان كثير من آراء طه حسين في هذا الكتاب وفي غيره موضع جدال، فان اسلوبه البسيط الانيق (وخصوصا في هذا الكتاب) يلفت نظر الناقد ونظر مؤرخ الادب .

٥ – «امراء الشعر العربي في العصر العباسي» لأنيس المقدسي . انه يمثل الدراسة الرصينة للادب ولاعلام الادب، مع ابراز الخصائص الفنية باسلوب علمي واضح .

جواب الاستاذ محي الدين النصولي

اطمأننت الى مستقبل الأدب العربي عندما اتيح لي ان أعيش ساعات ماتعة مع عدد من الادباء أحسب ان مؤلفاتهم أغنت المكتبة العربية غنىً طيباً. وهؤلاء المؤلفون العرب الذين وجدت في قراءتهم لذة روحية عارمة، والذين يمثلون في رأيي خصائص ادبنا الحديث هم :

١ – عمر فاخوري في « الباب المرصود » و «الفصول الاربعة» .
٢ – طه حسين في «الايام».
٣ – محمد حسين هيكل في «حياة محمد».
٤ – توفيق الحكيم في «عودة الروح» .
٥ – عمر ابو ريشه في شعره .

جواب الاستاذ خليل تقي الدين

احب ان اعدل في السؤال ، واذكر خمسة كتب تمثل النثر الحديث، وخمسة اخرى تمثل الشعر الحديث، حتى لا يظلم احدهما على حساب الآخر.

اما الكتب النثرية فهي :

١ – الاجنحة المتكسرة لجبران خليل جبران
٢ – الغربال لميخائيل نعيمه . وأرى ان هذا الكتاب يجب ان يقدم على «الاجنحة المتكسرة» فقد تحررنا من قيود الجمود والرياء عن طريق « الغربال » . وقد كان للغربال اكبر الاثر في نفسي شخصيا .
٣ – الايام لطه حسين .
٤ – عودة الروح لتوفيق الحكيم .
٥ – الروائع لفؤاد افرام البستاني

وأما كتب الشعر فهي :

١ – مجنون ليلى لشوقي
٢ – عبقر لشفيق معلوف
٣ – رندلى لسعيد عقل
٤ – غلواء لالياس أبي شبكه
٥ – شعر نزار قباني

رسالة . . .

اخي رئيس التحرير ، تحية اخوة عربية .

في هـذه الفترة القاسية التي يعيشها الوطن العربي ، من غزو فكري اجنبي مدسوس ، الى مشاريع استعمارية، الى تخاذل في الحكام والشباب العربي، الى قعود عن العمل ، وفتور وتغاض عن القيم والمثل ، وبين هذه الاحداث السياسية التي تتلاعب بالعرب هنا وهناك .

في هذه الفترة التي يعيشها الشباب العربي ، واقعاً مراً ، الى جانبه انتظار حار عميق ، يرجو من ورائه قبساً يشع ، ويداً تقود ، ومنبراً يجلجل بكلمات الحق ، ولساناً يثور ، وقلباً يدفق بالدعوة، وفكراً يرسم الخطوط العربية لطريق الخلاص.

في هذه الفترة أطلت «الآداب» فكنتُ في المقدمة ، جندياً في الفرقة التي تنتظر على مضض . واخذت العدد الاول ، اكاد التهم ما فيه التهاما ، استجابة للجوع الكامن في اعماق نفوسنا ، والعطش الذي جفت منه قرائحنا وافكارنا ، اقول اخذت العدد الاول ، فاذا بي – كغيري الكثيرين – المح القبس ، وتقبض على ذراعي اليد ، واهتدي الى المنبر الحر ، واستمع للسان القاطع القائل ، والمس دقات القلب الجريء ، واسعى على الخطوط التي رسمها الفكر العربي الواعي لطريق الخلاص !..

ثم اخذت العدد الثاني فاذا بالرسالة تتزايد وتنمو ، وتسير قدماً نحو اهداف الشباب العربي ، وعلى يد الادباء والشعراء والمفكرين العرب ، وثبت لي – كما ثبت لسواي – ثبوت اليقين ، ان « الآداب » مجلة العرب في هذه الفترة ، ومجلتهم في الغد ، حين يجتازونها مرفوعي الرؤوس ، في موكب الحرية والوحدة . ولا سبيل الى نكران هذه الحقيقة ، ففي « الآداب » الأدب بلونيه ، الشعر والنثر ، وفيها العلم والسياسة والاجتماع والتوجيه والقومية وغيرها ، فألمت « الآداب » بجميع أطراف القضية واخذت بمجموعة الحاجات التي يحتاج اليها الوطن العربي ، فهذا انت تبين خطوط رسالة الآداب ، وهذا الاستاذ الشايب يأخذ بطرف مهم، وهذا الاستاذ نعيمه يتحدث عن الشباب الناشيء ، ثم يغني الاستاذ نزار قباني اغنيته الناعمة، وكذلك الاستاذ العلايلي يوضح مفاهيم اللغة ، والاستاذ المعداوي يجول في الادب، وغير هؤلاء كل أخذ بطرفه !..

وامام هذه الحقائق لا يسعنا نحن الذين كنا نستنكف عن نشر نتاجنا الادبي، على تعدد الوانه ، إلا ان نغذي «الآداب» ونعطيها من عندنا – مجتمعين – القوة والعزيمة والمضاء ، والمادة والدم والحياة ، لتستطيع المضي دائماً الى الامام، ولتحيا وتظل مجلة الوطن العربي بمجموعه !..

ابراهيم شرارة

ولو ان الاخطل الصغير نشر ديوانه لكنت ذكرته حتما ، ولعل في هذا ما يحفزه الى اخراج ديوانه . والملاحظة نفسها اسوقها الى امين نخله .

جواب الاستاذ رئيف خوري

تسألني عن أفضل خمسة كتب تمثل الادب العربي الحديث ، فأجيبك : اعطني افضل خمسة قراء ، وسم عندئذ الكتب التي تشاء . ذلك ان الكتاب الجيد لا تتم جودته الا يوم يحظى بالقارىء الجيد.

ولكن تأخذ الافهام منه
على قدر القرائح والعقول

لكن اذا لم يكن بد مما ليس منه بد، على قول الاعرابي، فليؤذن لي ان اسمي الكتب الخمسة الآتية:

١ – النشوء والارتقاء لشبلي الشميل
٢ – اديب في السوق لعمر فاخوري
٣ – في الادب الجاهلي لطه حسين
٤ – يوميات نائب في الارياف لتوفيق الحكيم
٥ – قصيدة نيرون لخليل مطران

القصة العراقية الحديثة

بقلم الدكتور سهيل ادريس

يعتقد كاتب المقال ان القصة العراقية الحديثة تقف في طليعة النتاج القصصي في الادب العربي المعاصر ، من حيث انعكاس الاوضاع الاجتماعية في مرآة الادب. وقد تحدث في القسم الاول من هذه الدراسة [الآداب العدد الثاني ، شباط] عن آثار محمود احمد السيد رائد القصة العراقية، وحلل نتاجه القصصي الذي يصور تصويراً موفقاً بالاجمال بعض مظاهر الحياة الاجتماعية في العراق، مما لم يبلغه انور شاؤول في اقاصيصه السطحية.

وانتقل الكاتب بعد ذلك الى المرحلة الثانية من مراحل تطور القصة العراقية ، وفيها يتجلى اهتمام الكتاب بمراعاة حاجات الفن الجمالي ومقوماته الى المضي في تصوير الوضع الاجتماعي. ويبدو ذو النون ايوب ابرز وجه من وجوه القصاصين في هذه المرحلة . وقد حلل الكاتب بعض آثاره ، وهو يتابع هنا تحليل سائر آثار ايوب ، وآثار القصاصين الذين ظهروا في هذه المرحلة الثانية للقصة العراقية .

-٢-

وتنقلنا مجموعة « العقل في محنة » (١٩٤٠) باسلوبها الرمزي الى عالم غريب لم يعوّدنا ذو النون ايوب إياه . ومن اليسير ان ندرك السبب الذي من اجله آثر المؤلف هذا الاسلوب لانتقاد العهد القائم في تلك الفترة من الحرب الاخيرة ، فهو يسرد اساطير وحكايات تدلّل على عبث العيش في بلاد بعيدة ؛ ففي هذه الاقاصيص يخضع « العقل » دائماً للتقاليد السخيفة والاحكام المسبّقة الشائعة ؛ ولكنّ هناك دائماً رجلاً « شاذاً » يصارع ويكافح ، غير انه ينتهي بالاخفاق ، لأن مفهومه يختلف عن مفاهيم الناس جميعاً ، وهكذا ينتصر الفساد آخر الأمر .

وحين انتهت الحرب والغيت الرقابة ، لم يكن هناك ما يمنع المؤلف بعد من ان يجهر بلهجة أصرح . فنحن نراه في مجموعته « عظمة فارغة » (١٩٤٧) يعود الى مهاجمة المسؤلين الذين يخونون الشعب . فاقصوصته الاولى تحدّثنا عن الظروف التي تمت فيها معاهدة بورتسموث والثورة العراقية التي تبعتها ، وتسخر الثانية سخرية شديدة من « دولة رئيس الوزراء » . وفي « اوامر عسكرية » ينتقد نقداً لاذعاً استغلال العسكريين لمناصبهم ؛ وفي « مُزارع عصري » يهزأ بالتخصّص الذي لايملك الحاسّة العملية . ولا بد لنا ان نلاحظ هنا انّ هذه المجموعة ضعيفة الفن الجمالي. وان معظم اقاصيصها تسقط في اللهجة الصحفية.

اما لهجة اقاصيص المجموعة الأخيرة لذو النون ايوب « قلوب ظمأى » (١٩٥٠) فتعود الى الهدوء والطمأنينة واللامبالاة تقريباً ؛ فكأنها لهجة المصارع أرهقه طول المقاومة ، فبات لا ينشد إلا الراحه والاستجمام . والواقع اننا نقرأ في المقدمة ان المؤلف قد اخفق في الانتخابات البرلمانية بسبب المناورات الحكومية ، فاذا هو يستدعي السلام بانفاس شعرية . ولكن بيأس محزن ايضاً . والاحساس بالألم يكتسب في هذه المجموعة قيمة خاصة ، إذ نرى البطل يبحث دائماً عن مفرّ يستعصي عليه ... فهو يعتقد ذات لحظة انه التقى في الحلم بحبيبة ، فاذا هو يستيقظ على صورة امرأة بغيّ لاتحمل له إلا « السراب » ؛ ومرة اخرى التقى بـ « وجه صبوح » نجح لمدة ما بان ينتزع من رأسه فكرة الانتحار ، ولكن هذه الفكرة انتصرت اخيراً : « لماذا انتحر ؟ » . وهذه القصة بالذات تنطوي على فلسفة لليأس تنبع من اغوار فكر عذّبته الاكاذيب والنفاق وموت الحقيقة . . وإن مثل هذا الفكر لاينتظر الا تحدياً صغيراً واحداً ، ولو كان حبّةً من غبار ، لينطفيء ويزول . هذه القصة التي ينفذ فيها اليأس نفوذاً شديداً تصوّر الحالة الروحية لنخبة الشبيبة العربية التي تنشد الحرية والاستقلال ، فتجعل منها قيود المجتمع واهمال السلطات كائنات لا قدرة لها على شيء .

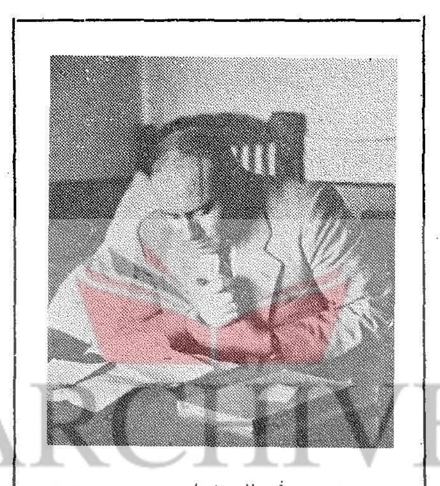
وينبغي لنا بعد ذلك ان نولي روايتيْ ذو النون ايوب : « الدكتور ابراهيم » (١٩٣٩) و « اليد والارض والماء » (١٩٤٨) عناية خاصة . فهما تقدّمان صورةً اكمل وأوسع لفساد بعض مظاهر الحياة الشعبية والسياسية في البلاد .

و « الدكتور ابراهيم » سيرة تروي مختلف مراحل حياة شاب من الطبقة المتوسطة ، وقسمها الاول يصور طفولة البطل وجو الكذب الذي عاش فيه والذي خلقه له اب عرف كيف يستغل سذاجة العوام حين زعم انه اكتشف قبر ولي من الاولياء . وما لبث هذا الاب الذي كان الجميع يحترمونه ، ان اصبح شخصية هامة ذات نفوذ. وقد تزوج اربع نسوة كنّ يتبادلن الكراهية والبغض ، وقد انس ابراهيم الى اصغرهن سناً، وأنست هي به فروت له كيف تم زواج ابيه بالنساء الاخريات . وهنا فصول هامة في تصوير العادات المحلية والوساوس الشعبية التي تطغى على العقول الساذجة. وقد ادرك الصبي آخر الامر ان اباه لم يكن الا درويشاً ايرانياً فقيراً كان يكسب حياته من تلاوة القرآن ولكنه كان اشد المتقين نفاقاً ورياء . على ان هذه التجربة ستفيده في حياته هو ايضاً ، حين يترعرع ، وقد بدأ فعلا يشعر وهو في المدرسة بانه اناني حسود حقود ، مما كره به جميع

رفاقه . وكان يكن بغضاً خاصاً لفتى نبيل القلب رضي النفس... ومن عجب انه تمكن مع ذلك من ان يكسب صداقة هذا الفتى. وقد وصف المؤلف هذا التطور في صفحات غنية بارعة لعلها من اجمل صفحات الرواية .

ثم يمارس الاب نفوذه، فترسل الحكومة ابراهيم في بعثة علمية الى انكلترة ، وقد احس الشاب بكره عجيب لمواطنيه في بلاد الانكليز ، فكان يجهد في تفاديهم والابتعاد عنهم ويعاشر الاوساط الانكليزية . وما لبث ان احب فتاة تنتمي الى احدى تلك الاسر البورجوازية التي كانت تتمتع هي الاخرى بحظوة كبيرة امام السلطات ، فاذا هو يتزوجها . وهذه الاحداث هي التي تشكل القسم الثاني من الرواية .

اما القسم الثالث فيروي عودة ابراهيم وزوجته الى بغـداد حاملا لقب دكتور في العلوم . ولم يكن له ، كي يحتل مركزاً رفيعاً ، الا ان يحتذي بابيه ، فيتبع طريق المناورات والاكاذيب والاضاليل . وهنا يصور المؤلف الفساد العظيم الذي يستولي على الدوائر الحكومية، حيث تنتهك حرمة القوانين وتحتقر الكفاءآت وتشرى الضمائر وتباع... وقد عرف الدكتور ابراهيم ان يصبح مدير وزارة الزراعة ، وجعل قصارى همه ان يستغل مركزه اكبر استغلال وان يبعد خصوصاً جميع من كانت تحدثه نفسه بان ينافسه عليه . وقد كلفه ذلك يوماً ثورة موظف جديد ، كان هو الآخر دكتوراً مثله، ولكنه لم يقبل حتى في منصب كاتب في الوزارة . فاذا هو لا يتردد في ان يقتحم على الدكتور ابراهيم غرفته وفي ان يضربه ضرباً مبرحاً. وكانت هذه فضيحة لم يشف بطلنا منها ابداً... وقد افاقت الحكومة اخيراً على سوء ادارة هذا الموظف ووقفت على الاضطراب الذي كان يزرعه في وزارته ، فصرفته من الخدمة. وانتهى الدكتور ابراهيم الى ان يصفي اعماله ويسافر مع زوجته الى اميركا ليقضي فيها باقي حياته .



ذو النون ايوب

وواضح ان ذو النون ايوب يقدم لنا في الدكتور ابراهيم واحداً من طغمة كبيرة من الموظفين الذين يعشثون في مختلف الدوائر الحكومية في العالم العربي ، وكلهم لا هم لهم الا اكتساب اكبر نصيب من الربح عن طريق استغلال مراكزهم ، والتدجيل عـلى افراد الشعب السذج . فاذا كان والد ابراهيم تقياً منافقـاً ، فان ابنه كان انساناً لا ضمير له .

واما موضوع رواية ايوب الثانية « اليد والارض والماء » فهو من اجمل موضوعات الادب الروائي العربي الحديث، ومن اكثرها اهمية في هذا العهد من تاريخ البلاد العربية . انه قصة مشروع زراعي يحاول تحقيقه احد اولئك الشبان المفكرين الواعين الذين لا يطيقون الا يؤدوا في حياتهم رسالة ما . فبدافع من القروي سليم ، عزم ثلاثة اصدقاء على ان يبذلوا كل جهودهم لاستغلال ارض اميرية : ماجد المحامي ، وطبيب وخطيبته ، وهي ايضاً طبيبة. وكان العمل يقتضي اول الامر ري الارض بواسطة المضخات . وبعد ان نفذ المسؤولون جميع الشكليات القانونية ، اقيمت الآلات على حافة احد الانهار وحين تدفق الماء قال المحامي لصديقه : « ألا تشعر بالسعادة اذ ترى هذه المئات من الفلاحين المتحمسين الفرحين ؟ انظر الى تلك الايدي تصفق للماء المتدفق المنطلق نحو تلك الاراضي الميتة ليحييها ! انني حين اراهم لا افكر بالمال . ان الربح يصبح في نظري شيئاً ثانوياً ، وانما افكر بمعنى السعادة التي يبحث عنها كل انسان . وانني اجدها ، انا ، في هذا الشعاع الذي تلتمع به عيون هؤلاء الفلاحين . اننا نقوم بعمل يستفيد منه المئات ، فنؤمن للألوف ما يحتاجون اليه ليمسكوا عليهم رمقهم . اننا نعيد الحياة الى ارض ميتة ، فما اعظمها من سعادة ! » .

ولكن الصعوبات ما عتمت ان برزت ، فان ملاكي الارض المجاورة بذلوا كل جهدهم لاحباط هذا المشروع الذي كان يناصره الفلاحون بقوة لما كانوا يعلقون عليه من آمال تحسين احوالهم يوم يتحقق . والحق ان اولئك الملاكين انما كانوا يخشون ان يهجرهم فلاحو اراضيهم لينضموا الى فلاحي المشروع ، وهنا يقوم ماجد بكفاح عنيف غايته الانتصار للقانون واخضاع اولئك الملاكين لكي يحترموه ، وفي ذلك طبعاً دعوة الى محاربة قانون القبائل والعشائر. وقد اضطر من اجل ذلك الى ان يصطدم بالموظفين تارة وبالاقطاعيين تارة اخرى؛ ولم يثنه الفشل الاول الذي اصابه عن متابعة النضال. وتعرف في هذه الاثناء بمعلمة ما لبثت ان اصبحت خطيبته فانخرطت معه في مشروعه بحماسة ، واذا هي في عيني ماجد المرأة المثلى التي تدفع وتشجع كلما دنا شبح اليأس .

ولكن اخفاق المشروع اصبح ويا للاسف نهائياً : فان ما انتجته الارض، في ذلك الموسم ، كان تافهاً جداً . وادرك ماجد انه اولى الفلاحين من الثقة ما يتجاوز كل حد ، اذ رآهم يتركونه ، ولكنه وجد تبريراً لموقفهم : ان غايتهم الاولى هي خبزهم اليومي. على ان الفلاح «سليم» تأثر جد التأثر لاخفاق المشروع الذي اقترحه هو نفسه ، فاذا هو يغادر الارض العاقة وينضم الى الجموع التي كانت تتظاهر في تلك الاثناء احتجاجاً على معاهدة بورتسموث . وقد كان الجوع هو الذي يدفع اولئك الثائرين ، فان الوضع الاجتماعي ، في نظرهم ، يأتي قبل الوضع السياسي، ولكنهم ينتهزون اية فرصة لكي يثوروا على ذلك الوضع الاجتماعي الظالم. وجرح سليم جراحاً خطيرة في التظاهرات فحمل الى المستشفى ، وهناك قدم له ماجد المحامي دمه ... ولكنه كان في طور الهذيان ، فلم يكن يميز بين رجال الشرطة، هؤلاء الذين يحاولون ان يحرموا الشعب من التعبير عن حريته وجدارته الانسانية ، وبين اولئك الاقطاعيين المستغلين الذين يحرمون الفلاح من خبزه . انهم جميعاً اعداء الشعب .

ذلك هو ملخص هذه الرواية الاجتماعية الرائعة: ان شرط الحياة لهذا الشعب يتوقف على الوضع الاجتماعي . وان ذو النون ايوب حين يثير هذه الحقيقة ، يبرز على رأس الروائيين العرب القليلين الذين يشعرون اعمق الشعور بالآلام الاجتماعيـة التي تعانيها الشعوب العربية . فهذه الرواية تصور اصدق تصوير الظلم الاجتماعي ولامبالاة المتنفذين تجاه آلام المستضعفين في الارض، وفساد الموظفين المستغلين الذين يكاتفون الطبقات المالكة في سبيل ارضاخ الشعب للنير الخانق ، وموت الضمير في نفوس المسؤولين ... كل هذه الآفات الاجتماعيـة التي تنخر هيكل

المجتمع العربي مرسومة رسماً صادقاً في « اليد والارض والماء » بطريقة فنية لم يعودنا إياها ذو النون ايوب في انتاجه السابق . فهو هنا يوحي بالافكار ايحاءً ويرمز لها رمزاً ، فندركها نحن بحاستنا ، ونلذها حين نفهمها بانفسنا .

ونحسب اننا لا نبالغ ولا نشط حين نذهب الى ان هذه الرواية، بمافيها من حس واقعي مرهف، وفن في رسم الشخصيات، وتأليف الاحداث ومشابكتها ، وتصوير مختصر ، ولكنه قوي ، للخطوط الرئيسية التي تميز المجتمع القروي في العراق ، وعصبية عنيفة في الاسلوب ، ان هذه الرواية بكل ذلك ، وخصوصاً بالفكرة الرفيعة التي تحملها ، وهي رسالة برمتها ، تقف على صعيد اروع الروايات العربية الحديثة ، على صعيد « عودة الروح » لتوفيق الحكيم و « الرغيف » لتوفيق يوسف عواد و « قوس قزح » لشكيب الجابري . ثم ان فيها حساً فكاهياً قوياً لا يملكه إلا من عانى في حياته اشد الآلام والاحزان ، ففتح له عن طريق الفكاهة نافذة يفرج بها من ضيق نفسه .

وبعد ، فقد لا تخلو قصة ذو النون ايوب ، بصورة عامة ، من نقائص وفجوات ، وقد يقع فيها الناقد على نواح ضعيفة من حيث الفن الجمالي للقصة ، ولكن الرسالة التي تحملها هذه القصة ، الرسالة التحريرية الصاعدة ، جديرة بان تحجب تلك الهنات ، بما توحيه الى النفوس من دعوة الى التأمل والتفكير ، كفيلة بان تدفع الى العمل . وهذه هي الغاية الكبرى التي ينبغي لأدبنا الحديث ، في هذا العهد من نضال البلاد العربية ، ان يسعى اليها .

***

اما الآثار القصصية لجعفر الخليلي ، في هذه المرحلة الثانية من تطور القصة العراقية ، فهي دون آثار ايوب اهمية من جميع الوجوه . فروايته « الضايع » (١٩٣٨) تروي قصة طفل اساء والده معاملته ففرّ من مسقط رأسه ، وتعرّف الى درويش سائح صحبه وقتاً طويلاً وزار معه كثيراً من المدن . وقد تفتح الصبي في تجواله الحياة لم تكن خالية من شواغل فكرية واجتماعية . وحين مات الدرويش كان الصبي قد ترعرع فعاد الى بيته شاباً ، فاذا ابوه قد مات . وما لبث ان تزوج ورزق اولاداً خصص حياته لتربيتهم . وبالرغم من ان الرواية تضم لوحات معبرة عن المجتمع وتصويراً بارز الخطوط ، فهي لا تثير اهمية القاريء وفضوله ، وهي تفتقر الى العمق والابتكار .

وقد نشر المؤلف « اعترافات » ذات نزعة خلقية ولوناً من المذكرات في « عندما كنت قاضياً » (١٩٤١) يعرض فيه صوراً فاجعة لحياة الاسرة في العراق . على ان روايته « في قرى الجنّ » (١٩٤٥) هي خير آثاره ، وهي تنزع بما فيها من حسّ خيالي عجيب الى « الف ليلة وليلة » .

وهذه الرواية الرمزية تنقل القاريء الى مجتمع خيالي للجن حيث يبدو ان الاشياء تحدث وفق نظام عقلاني للحياة . فان الشيخ طاهر يختفي في ليلة عرسه بعد ان قذف بيته بالحجارة . وقد عمدت اسرته الى استشارة عراف كان يعقد القضية بمقدار ما كان يطمع ان ترده عليه من ربح مادي، وقد زعم ان الزوج انما اختطفته جنية كبيرة تحبه، وانه يجب قبول شروط قاسية جداً ليتيسر الاتصال به . وقد قبلت امه هذه الشروط ، فاخضعها العراف لتجارب سحرية مرهقة خرجت منها دون ما طائل، فعدلت عن الاستمرار فيها. غير ان احد اصدقاء الشيخ طاهر تطوع فعزل نفسه في غرفة جعل يحرق فيها ألواناً كثيرة من العطور والروائح التي تعين على السحر وعلى خلق شتى انواع الرؤى والاوهام والتخيلات . وقد توصل بواسطة الجني الذي حضر بين يديه في الليلة الاربعين الى دخول عالم الجن الرائع، فاذا هو عالم تسود فيه العداله والحقيقة والصراحة والحرية .

ولا ريب في ان المؤلف يرمز بذلك الى انتقاد العالم الانساني عامة والمجتمع العراقي خاصة . والرسائل التي يتبادلها الشيخ طاهر وصديقه تعالج كثيراً من قضايا الساعة : الديمقراطية والديكتاتورية ، والحرية والاستعمار ، وقضية الاقليات الخ ... انه « ايتوبيا » عجيبة فضل الصديق ان ينتقل اليها حيث اخذ ينشر مقالات يهاجم فيها العالم الواقعي الذي يستولي عليه الظلم والفساد

فقيمة الرواية إذن كامنة في هذا الرمز فحسب ، ولا ريب في ان المؤلف صاحب خيال خصب وغني ، ولكنه يبدو في القسم الاخير من الرواية مضطرباً لا ضابط له ولا حدود ، ولهذا ينتهي وصف العجائب والغرائب الى إملال القاريء آخر الامر ، ثم انه ليس مفهوماً معنى تحوّل البطل الى نملة ثم الى كلب والى حيوانات اخرى .

***

وتكشف الاقاصيص التي كتبها عبد المجيد لطفي عن حسّ واقعي ونظرة اشد تركيزاً في المجتمع العراقي . وقد نشر هذا الكاتب كثيراً من القصص في مجلات عربية مختلفة ، وجمع بعضها في « اصداء الزمن » و « قلب أم » (١٩٤٤) . ومعظمها تقدم لنا مظاهر بارزة من الحياة الاجتماعية . فان القصة التي تحمل عنوان المجموعة الاولى تصور لنا جانباً من حياة اسرة تعيسة :

فتى فضولي يرغب في الوقوف على سبب الحزن الذي تعكسه حياة امه ؛ فهو يراها غالباً ما تتنازع واباه الذي كان يقصد مزرعته فيقضي فيها بضعة ايام كل اسبوع ، بعيداً عن البيت العائلي . وحين دخلت الأم في دور الاحتضار صارحت ابنها بأن اباه قد خانها منذ وقت طويل اذ تزوج فلاحة في المزرعة . وقد دافع الأب عن نفسه وادّعى انه لم يتزوج تلك الفلاحة الا ليحفظ نتاج مزرعته من عبث اعدائه . وقد عفت عنه الزوجة وهي تموت . وتتناول اقصوصة « رائحة الدم » انتقام قروي خرج من السجن بعد تسعة اعوام قضاها ليكفر عن قتله شقيقته ، خرج ليقتل الرجل الذي كذب عليه حين زعم له ان اخته كانت ذات علاقة اثيمة بجار لهم .

اما اقاصيص المؤلف المنشورة في الصحف فتصور شقاء الفلاحين والقرويين ، ومنها « لم تكن غير واحدة » [1] التي تقدم نموذجاً للنساء اللواتي يدفعهن الفقر الى البغاء ، و « الدودة الكبيرة » [2] و « نهاية المطاف » [3] وكلتاهما تصور انحلال الطبقة العليا في المجتمع . ونزعات الانسان الوحشية موصوفة في « ابن الغاب ، هذا الانسان » [4] و « فترة توقّف » [5] الخ .. ونذكر قصة « اعتراف موقوت » [6] كواحدة من خير ما كتب عبدالمجيد لطفي ، وفيها قصة فقير استبدّ به الجوع ، فاباح لنفسه ان يسرق ثياب امرأة غنية ليبيعها ويقتات بثمنها. وقصتا « مشكلة ضفدع » و « البحث عن روح » [7] محمّلتان بطاقة كبيرة من القلق الذي يصعب التعبير عنه .

على ان من اليسير ان نجد في هذه الآثار قصصاً تافهة تخضع لسهولة صحفية ظاهرة ، كقصة « طبيب الطبقة الدنيا » في مجموع « قلب ام » المذكورة ، و « حفلة عشاء » [8] و « كيس من اللبن » [9] .

ولا ريب في ان جهود عبد المجيد لطفي في تصوير الطبقات الشعبية جهود محمودة في الميدان القصصي ، ولكن ينقصه ان يتعمّق هذه الطبقات كما تعمّقها ذو النون ايوب مثلاً ؛ فغالباً ما تكون صوره سطحية ، قصارى ما تفعله ان تحرّك الشعور لحظات يسيرة ، ولكنها لا تهزّ النفوس هزاً عنيفاً . وهو يبدو في ذلك اشبه ما يكون بمحمود تيمور ، ولا سيما في المرحلة الاولى من تطوّره .

*

والى هذه المرحلة ينتمي ايضاً ثلاثة كتّاب آخرون : يعقوب بلبول وصفاء خلوصي وعبد الوهاب الأمين ، والمجموعة الوحيدة لكل منهم تعتبر من النتاج العادي الذي لا يتميّز بميزة خاصة . فمجموعة الاول « الجمرة الاولى » (١٩٣٨) تضم اقاصيص لا لون لها ولا خاصّة ، وبعضها تافهة كـ « ثورة الجهل » واخرى غير محتملة الوقوع كـ « انحطاط » .

ومجموعة الثاني « نفوس مريضة » (١٩٤١) تبدو كأنها صدى دراسات بسيكولوجية وفلسفية يطبقها المؤلف على الاحياء ، لا نتيجة طبيعية للمراقبة او لدراسة عميقة للوسط ، ولا شيء يبرّر للمؤلف ان يختار موضوعاته في المجتمع الاوروبي ؛ ولو انه شاء ان يحلّل « نفوساً عالمية » لما كان عليه مأخذ ، ولكن الأمر ليس كذلك ، فان جميع ابطاله مرضى وشاذّون وعائشون في الاوهام ، فهم اذن اناس استثنائيون . ولعلّ هذا هو السبب في ان القارىء لايتأثر لشيء اذ يقرأ مثل قصص « لذة الألم » او « في اعماق البؤس » الخ ... فهو يشعر انه ازاء ترجمة سيئة لقصص غربية سيئة .

اما المجموعة الثالثة « مجموعة قصص من الادب الحديث » لعبد الوهاب الأمين فتنطوي على قصص مترجمة واخرى موضوعة ، ولا ريب ان فيها رغبة تعمّق نفسيّ لاتظهر في المجموعتين السابقتين ، ولكن قصصها الموضوعة تتميّز بتعبير عن اليأس والقلق والأسى يظلّ مضطرباً معمّى الخطوط « Flou » لا يكاد ينجح في خلق جوّ نفسي مركّز ، ولهذا لا يبرز يأس هؤلاء الابطال فائدة بسيكولوجية معيّنة ، لا سيما وانه ناتج غالباً عن حالة مَرضية او وهم راسخ ، لا عن تأثير للوسط او شعور داخلي معلّل ، ذلك ما يشعر به القارىء امام قصص « المريض » و « حيرة » و « الحلم » و « بقية الدمع » و « القلب الطافح » وسواها ...

*

واخيراً شهدت نهاية هذه المرحلة التي تطابق فترة الحرب

---

(١) جريدة « صوت المبدأ » العدد ١٢
(٢) جريدة « الجداول » العدد ٩٤
(٣) جريدة « صدى الروافد » العدد ٢
(٤) جريدة « صرخة الفن » العدد ٣
(٥) جريدة « الاحوال » العدد ٨٦
(٦) جريدة « صدى الاهالي » العدد ٣٦٩
(٧) جريدة « الجداول » العدد ٨٤
(٨) جريدة « صرخة الفن » بتاريخ ١٨ تموز ١٩٥١
(٩) جريدة « صدى الروافد » العدد ١

العالمية الثانية ظهور كاتبين قصصيين يبشران بالجيل الجديد من الروائيين والقصاصين في العراق ، هذا الجيل الذي ملأ عروق الادب القصصي العراقي بدم جديد يتغذى من تربة الوطن .

اولهما عبد الحق فاضل الذي يولي تحليل نفسيات ابطاله عناية كبيرة ، كما تشهد بذلك روايته « مجنونان » ومجموعته « مزاح وما اشبه » (١٩٤٠) . والاولى قصة حب يربط بين رجل وامرأة جوّهما الاثير هو جو التفكير. ولكنّ شكاً خفياً يراود دائماً ذهن المرأة حول هويّة حبيبها . وحبكة الرواية كلها تتناول هذا الشك الذي لاينجلي الا بعد سلسلة من سوء التفاهم بين الحبيبين . وشخصية البطل مزدوجة : شخصية الرجل الذي تعرفه البطلة ، وشخصية الكاتب الذي ينشر مقالاته باسم مستعار . وتحسب البطلة ان حبيبها يغار من الكاتب ، فتحتقر هذا الأخير لترضي الحبيب ، مما يغيظ البطل الذي يرغب في ان يُحَب بكامل شخصيته المزدوجة .

وهكذا يبدو ان الموضوع مبتكر ، وهو يذكّرنا بمسرحيات « انوي » ولعلّ هذا الموضوع اشدّ صلاحاً للمسرحية منه للرواية ، ومؤلفه صاحب مواهب مسرحية : حبكة محكمة وثيقة ، وحوار بارع (ولا سيما في القسم الثاني حيث السرد معدوم تقريباً) وحسّ فكاهي مرهف. على ان التحليل النفسي يطغى في القسم الاول الذي يناقش فيه المؤلف قضايا هامة اولاها العلاقات الخالدة بين الرجل والمرأة . ومثل هذا التحليل النفسي الدقيق يظهر في قصتين،على الاقل من قصص المجموعة ؛ فقصة « مزاح وما اشبه » تصوّر بدقّة الشكوك والوساوس والريب التي تراود رجلاً غابت امرأته عن البيت . ويذكّرنا عبد الحق فاضل هنا بالمازني في سخريته ودقته وجمال اسلوبه . وتصور قصته « ايلا » تطوّر نفسية طفلة في الخامسة من عمرها تشعر اذ وُلد لها أخٌ بانها حُرمت من النفوذ والحظوة اللذين كانت تنعم بهما في اسرتها . وبالرغم من ان ذويها كانوا يحضونها كل عنايتهم وحبهم ، فقد انتهت ، لفرط ما كانت تغار من اخيها ، الى ان تسقط مريضة ثم الى ان تموت ، فالمؤلف يثير هنا الاعجاب العظيم بموهبته في التحليل والسرد .

— التتمة في العدد القادم —

سهيل ادريس

إستقلالية اندريه جيد

بقلم صلاح ستيتيه

حين يطلع علينا وجه اندريه جيد ، في هذه الذكرى ، فان الصورة الاولى التي تطفر الى اذهاننا حول هذا المفكر الذي شاء ان يكون ،تامّ الاستقلال ، هي صورة تعلقه بكل ما يحيط به من افكار ومفكرين . وما زلنا نذكر ذلك الكاتب الذي ذهب الى ان مفتاح الرجل هو في « خوفه من ان يخيّب الظنون » ، وهذا مايفسر الى حد ما ، في رأي ذلك الكاتب ، ما كان في آثار جيد من نجوى دائمة ، كأنها منبر للاعتراف تنطلق منه ابداً حاجة للتبرير الملحّ . ثم انه من اليسير ان نجد في هذا الصراع الذي يقف فيه جيد وجهاً لوجه مع الآخرين حرصاً دائماً على تحدي قناعه . واخيراً اية حجة في تأييد هذه النظرية إقوى من الجهد الذي كان يبذله – والذي شهده كثيرون ممن كانوا متصلين به اتصالاً وثيقاً – لاصطناع وجه له ، كان يستفيد من الآراء التي تُطلق حوله ، لكي ينجز خطوطه وليترك عليه لغزاً قاطعاً .

على انني اعتقد بان «استقلالية» اندره جيد كانت شيئاً حقيقياً . وليس من اليسير ان نستخلص من تلك المؤلفات التي وُلدت دائماً من ظروف داخلية ، النصيب الذي كان فيها لبعض الاشخاص ، ومع ذلك فان الاعتراف الذي اراده اندريه جيد تاماً في « اذا لم يمت الحبّ » مثلاً ، هو موجه الى امرأته ، الى حد ما . ثم أليس حقاً انّ مقاطع البراهين والحجج العميقة في « كوريدون » تخفي رد الفعل المتحمس « للاأخلاقي » تجاه الذين يستمرون في الامل والرجاء ضد كل امل ورجاء ؟

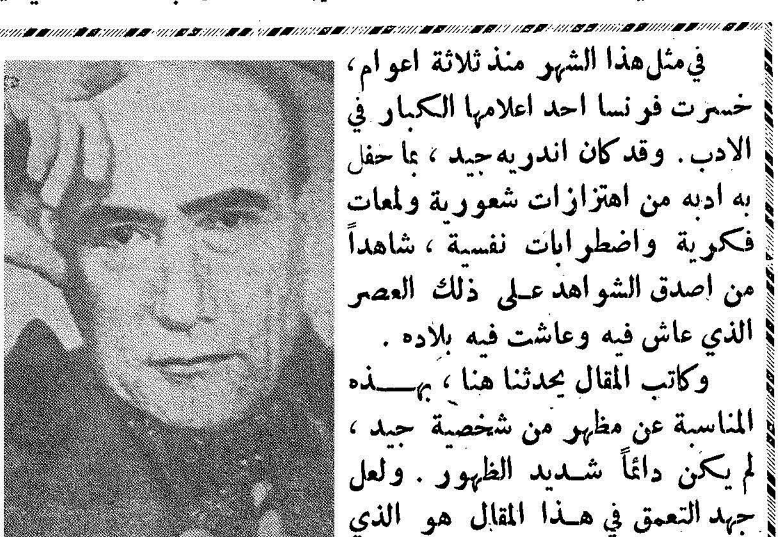
وحاجة جيد الى ان « يوجد » بصوت مرتفع ، وجوعه الى اكتساب من يعارضه ، أليس هذان عنصرين يكشفان عن طبع متردد حائر يشعر ، من اجل ان يمتلك اراضيه الخطرة، بضرورة ماسة الى التعاقد ؟ لا نطمئن كل الاطمئنان الى هذه الفكرة ، فان جيد لم يكن خجولاً ، ولكن ... هنا نبلغ صميم القضية .

هناك الفكر وهناك الارادة وهناك القلب ، وقد كان جيد يرى بكل ما في فكره الواضح من قدرة ان هذا الذي كان يناديه بكل قواه كان وحده حقيقياً ، ولو لم تكن هذه الحقيقة تفيد الا لاستعماله الخاص . وآية ذلك الثبات الدائم الذي تميز به ، بالرغم من المعاكسات التي لا مفر منها، لكي يبلغ بشخصه دون ان يتنازل عن شيء منه الا بالظاهر، مصيره المبتكر الشاذ.

وأحسب بعد ذلك انه لم يكن في هذا التراجع الذي سجله جيد امام بعض اعماله وتصرفاته او في هذا النظر المتجه الى الخلف والذي يطلب من الانظار الاخرى ان تتموضع وتنسجم ، لم يكن في ذلك التراجع وفي هذا النظر سمة ضعف ، وانما كان فيهما الاضطراب الخطر الذي يدخله في وحدة الارادة والفكرة تلاعبُ حساسية فنان مريضة تحت قوس ادراك عقلي لاحد له .

ولنقف هنا لحظات .

فانه يبدو لي ان جيد لم يكن يحرص على ان يفهمه الناس إلا لأنه كان يحاول ان يحرّر حساسيته المتألمة البرمة من عذاب لا فائدة منه وليست فيه اية بطولة .



في مثل هذا الشهر منذ ثلاثة اعوام، خسرت فرنسا احد اعلامها الكبار في الادب. وقد كان اندريه جيد ، بما حفل به ادبه من اهتزازات شعورية ولمعات فكرية واضطرابات نفسية ، شاهداً من اصدق الشواهد على ذلك العصر الذي عاش فيه وعاشت فيه بلاده .

وكاتب المقال يحدثنا هنا ، بهذه المناسبة عن مظهر من شخصية جيد ، لم يكن دائماً شديد الظهور . ولعل جهد التعمق في هذا المقال هو الذي يضفي عليه مسحة من الغموض .

فكيف يمكن لك ان تطالب ذلك الرجل الذي كان يدعو الى ان يتحمل كلٌّ منا مصيره ويستهلك حياته ، ان ينتظر ان يأتيه من خارج ذاته ما يثبّته في كينونته ؟ لقد كان قصارى ما يرجوه ان يُبطل اثر الرأي السيء، بان يكسبه لنفسه ، بالرغم من انه كان يشجبه ، وانما كان يعتقد بان هذا الرأي ربما أثّر فيه تأثيراً خطيراً فحال بين روحه وبين الانطلاق . فنستطيع اذن ان نقول إن الأهمية التي كان يوليها جيد للاحكام التي يصدرها مجموع الناس عنه ناتجة عن ان هذه الاحكام تنزع الى ان تخلق لديه عبودية لا يستطيع حقه مهما كان عنيفاً ان يقاومها. هي أهمية دون ريب ، ولكنها سلبية ، ومن المرغوب فيه ان يستغلّها لكي يخلق حوله أصلح الظروف والاوضاع لتفتّحه الكامل ، وعلى ذلك فان جيد كان دائم الاهتمام لأن يردّ حجج الذين يقاضونه بما كان يمكن لهم ان يتأكدوا منه ، لو انه اتيح لهم ان ينظروا خلف قناعه المناضل، الى وجه لامبالاته وضجره.

اوليس من الطبيعي بعد ذلك ان تلتمس هذه النفسية التي يعيشها كاتبٌ أعمق مزاياه انه كلاسيكي محافظ ، وهذا وضع لا بدّ له من ان يقلقنا ؟ اليس من الطبيعي ان تلتمس تلك النفسية سبب حياتها في تعجيل صراعها الداخلي ؟ إن الانسان لا يقتل ولا يتحدّى حقاً الا ما يحبه . وقد كان جيد يحبّ نفسه ويخشى نفسه ، حباً وخشية عظيمين .

وإذن ، فانها استقلالية كوريدون تجاه الذين لم تكن موافقتهم في نظرة الا نوعاً شقياً من المعروف ، اولئك الذين لايعرف ان يهتمّ بهم مباشرة لو كان بودّه ان يقوم بوجههم ؛ ولكن لم يُقلْ كلّ شيء . فقد بات من نوافل القول ان جيد قد تصوّر حياته كأنها مسرح ، او تصوّرها فصلًا مرتجلًا تحت آلاف من العيون التي توقظها وتفتحها كراهية شديدة، ويقوم بتمثيله شخصيات لا ينتظرها النظارة ابداً .

وهذه الصور والرسوم التي وزّعها الكاتب ونثرها عنه في كتبه، الا تكشف بما تتيحه لنا من تأمل وجهٍ قد دمغته الحياة بطابع رائع ، عن قلق غير طاهر ؟ وقد يقال لنا اخيراً الا ترون جيد ، سواء في مذكراته او مذكرات اصدقائه او في رجوعه الدائم الى امثلة كبيرة من الماضي، شديد التبرم بالصورة التي ستحفظها القرون عنه ؟ إن هذه حقيقة لا جدال فيها ؛ وإلا فهل يكون جيد اكمل شاهد على جنسه ، منذ بطريرك فيرني ؟ او لا يحقّ لنا ان نقف ايضاً ، خلال براعة الكاتب تلك التي يستعملها ليفرض علينا شخصيته ، وتلك السهولة في ان يضطرب ويتحرك عبر المظاهر الشديدة التنافر ، على الحرية العظمى لضمير عرف كيف ينظم وحدته وعزلته في وجه الجميع ؟ اليس من خاصّة كبار الممثلين ان يتمكّنوا من ان يعزلوا انفسهم في ادوارهم ؟ ومَنْ الذي يطمح منهم الى بلوغ العظمة المعقدة التي بلغها جيد الذي لم يتحرّر اولاً من كراهية النظارة ؟

ولست اجد ما يمنعني من ان اختم هذه الكلمة ، مع شدة رغبتي في ان أدخل على مجموع افكاري فيها بعض التقويمات الضرورية ، بقولي : ان هذا الذي كان من اوائل كتّاب عصره كان ايضاً من اوفرهم استقلالية . ففي هذه الحرب الدائمة ضد ظروف مسلّحة عديدة ، رفض جيد ان يشهر الصراع ضد ظرفٍ لا يلائم او يشابه احد وجوهه العميقة غير المرئية . وبوسعنا ان نقرّ آخر الامر ، دون ان نبلغ حدّ التناقض ، ان جيد قد تمكّن دائماً من ان يُخضع له القدر والمصير .

باريس صلاح ستيتية

النتاج الجديد



١ — حركة الفتح الاسلامي في القرن الاول

٢ — المجتمعات الاسلاميـة في القرن الاول

الدكتور شكري فيصل

دار الكتاب العربي القاهرة ١٩٥٢

نعمت بقراءة هذا الكتاب ساعات طويلة، فهو عمل رجل اديب، اراد له عقله ان يكون مؤرخاً ، فابى له قلبه الا ان يكون اديباً . وفي غلبة القلب على العقل تحرر للمؤلف من قيود البحث العلمي ، واستهواء للقارىء ؛ خاصة عندما يقدم لك الدكتور شكري فيصل ، بقلمه السيال ، واسلوبه العذب ، كتاباً لست اشك في انه استنفد من وقته الكثير . اقول كتاباً بدل كتابين ، لان الاصل في هذين اللذين نشرا منفردين ، انهما كانا مجتمعين . فقد اراد الدكتور فيصل ان يعالج المجتمعات الاسلامية ، ورأى ان يمهد لذلك بحركة الفتح . ثم بدا له ان تقديم بحث بمثل هذه الضخامة قد يكون كثيراً ، فنزع هذه المقدمة من صلب الجسم الاصلي ، وجعلها كتاباً مستقلاً (١٩٦ صفحة) وظل له مع ذلك ما يقرب من ٥٠٠ صفحة للكتاب الثاني . واذا اردت ايها القارىء الكريم ان تضع « حركة الفتح » في موضعها الاصلي ، فاقرأها بعد ص ٥٦ من « المجتمعات الاسلامية » .

اسلست اللغة قيادها للدكتور فيصل فسار في كتابه يرسم الصورة بعد الصورة رسم فنان . وبروح الفنان ، اراد لبنائه ان يكون تام الاتساق في جميع اجزائه ، ولكن اتساع البناء، وتعدد الابهاء ، وتنوع الطُرُز ، حال دونه ودون ما رغب فيه وقصد اليه . لذلك جاء حديثه عن بعض اجزاء هذا البناء الضخم تنقصه الدقة التي تمتعت بها اجزاء اخرى . ولك ان تقارن بين فصوله عن العراق والشام من ناحية ، وبين فصوله عن المغرب من ناحية اخرى ، لترى ان اتساع الرقعة حال دون تتبع الكثير من الامور . ذلك ان الدكتور فيصل لم يراع حقيقة يعرفها الكثر ممن عالج تاريخ المغرب ، وهو ان هذه الاصقاع لم « تتعرب » ولم « تسلم » في القرن الاول للهجرة . بل لعلّها لم تكن موضع عناية خاصة من اولي الامر ، باستثناء عمر بن عبد العزيز ، الا بعد حركة الفتوح الاولى بمدة طويلة . ولم يتم التعريب او التعرّب الا بعد القرن الحادي عشر للميلاد ، ولم ينتشر الاسلام في المغرب الا بعد ان قام المرابطون والموحدون بذلك . ولعل السبب يرجع الى ما كان ثمة من نفور البربر من هؤلاء العرب الفاتحين ، حتى قامت دول افريقية اصيلة ، فصار دينها ولغتها — اي الاسلام والعربية — في حكم العمل المحلي الوطني ، فقبلها الناس ، او حملوا على قبولهما . واحسب ان الدكتور فيصل اراد ان يثبت خطل هذا الرأي ، وفساد هذه النظرية . فان صدق حدسي ، فانني ابادر الى القول بانه لم يوفق في هـذه الناحية . ولأرجع القارىء الى ص ١٧٤ ، ١٧٥ ١٨٠، ١٨٤ من كتابه ؛ والى ابن عذارى ص ٤٨، والى كتاب توماس ارنولد The Preaching of Islam ص ٣١٤ وما يليها .

ويخيل الي ان طبيعة العمل الكبير المتسع تفرض على القائم به ان ينحي الكثير من الكتب من طريقه، وبذلك يفوته بعض الشيء ، ان لم يكن للافادة ، فلا اقل من الاطلاع والمناقشة. ومن هذه الكتب التي نحاها الوقت كتاب ارنولد المذكور آنفاً ، كتاب A.Bel المسمى La Religion Musulmane en Berberie ، فضلاً عن كتب آخرى اكثرها فرنسية ، تناولت بقاع المغرب بالدرس الذي لم يخل من الغرض الا فيما ندر .

ولست ادري الى اي حد يمكن ان يوافق الباحث الدكتور فيصل في الرأي الذي خلص اليه في ص ٦٦، اذ جعل عمل العرب في ديار الفتوح وفي عمل الفتح «سياسة» مرسومة ، كأنها وضعت مسبقاً بتفاصيلها . واود ان يمر القاريء مراً هادئاً بالصفحات التالية ليرى ما فيها من مبالغـات وتعميمات كنا نود لو ان المؤلف هذب حواشيها تهذيب نقد وبحث قبل وضعها في صيغتها النهائية . اما الصفحات فهي ٣١-٣٢، ٣٥، ٤٦، ٤٨، ٩٦، ١٨٥، ٢٤٢، ٢٨١، ٣٠٥ .

وكم كنا نحب لو ان المؤلف لم يهتم كثيراً بالقرابة بين السامية والحامية (ص ٢٣٠—٢٣١) . فهذه نظرية قديمة، وليس لها ما يبرر قبولها او حتى الاهتمام بها في مثل البحث الذي بين يدي الدكتور فيصل . ومع ان حديثه عن اليونانية واللاتينية في سورية لم يكن عميقاً، فان اشارته الى هاتين اللغتين وانتشارهما حرية بان يعاد النظر فيها (ص٦٩) .

ونحن نعرف سر هذا الذي وقع فيه الدكتور فيصل، وهو امر كان يمكن ان يقع فيه اي شخص تناول مثل هذه الرقعة الواسعة المتباينة في طبيعتها ، وتاريخها وحضاراتها وثقافاتها السابقة للفتوح الاسلامية . ونحسب لو ان المؤلف تناول واحداً من هذه المجتمعات وعني بسبر غوره من جميع نواحيه ، لكان اجاد اجادة لا يمكن انكارها عليه ، فهو — كما قلنا من قبل ، وكما يعرفه القراء — فنان بارع ؛ لكن الفنان البارع قد يخطىء البناء اذا تكاثرت لديه مواد البناء ، وتنافرت انواعها واشكالها.

نقولا زيادة

واقع العالم العربي

تأليف الدكتور جورج حنا

دار العلم للملايين — بيروت — ١٥٢ ص

الدكتور جورج حنا مفكر يحسُّ الواقع احساساً عميقاً ، ويعبر عن احساسه هذا العميق باسلوب الكاتب الفنان ، وعقل العالم المدقق . وقد اخرج قلمه الخصب كتباً قيمة عديدة في مدة قصيرة من الزمن ، آخرها هذا الكتاب القيم بموضوعه واسلوبه وغايته. والكتاب متشعب النواحي، متعدد الجوانب. تقرأ فيه سياسة واقتصاداً واجتماعاً ونقداً للحياة العربية المعاصرة. وقد اقتضت طبيعة الموضوع هذا التشعب، لأن الدكتور حنا من المفكرين الذين يعتبرون الحياة ، بمظاهرها المتعددة المختلفة ، وحدة تامة لا يمكن فهم جانب منها فهماً صحيحاً ، ومعالجته معالجة ناجعة ، الا اذا فهمت جوانبها جميعاً فهماً موضوعياً عميقاً .

بدأ الدكتور حنا كتابه بتحديد مقومات «المتحد» العربي. وبيّن ان العالم العربي متحد كائن لا سبيل الى انكاره . وان العوامل التي تعمل على تفكيك عرى هذا المتحد انما هي عوامل طارئة لن تقوى على القضاء على عناصره الاساسية واهمها اللغة الواحدة ، والتاريخ الواحد ، والمصلحة الواحدة ، والمصير الواحد . و «المتحد» كلمة استعملها انطون سعادة ترجمة لما يعبر عنه بالانكليزية بـ « Community » [نشوء الامم ، ط٢ ، ص ١٤١ ، ح ١] التي تعني جماعة او مجتمعاً . والذي فهمته من قراءة هذا الفصل ان الدكتور يعني بالمتحد « امة » . واعتقد ان كلمة أمة هي ادق في التعبير عن غرضه ، واوضح في الدلالة على ما يريد . الا اذا كان يشك في وجود امة عربية واحدة ، فاختار هذا اللفظ ، الغامض ، الجديد غير المحدد تغطية لشكه . وما ارى الدكتور يقصد الى هذا . فعناصر المتحد العربي الاساسية التي ذكرها هي نفسها من اهم العناصر التي تتألف منها مقومات الامة . واذا كانت بعض هذه العناصر ما تزال ضعيفة في العالم العربي ، واذا كانت عوامل تفكيك هذه العناصر ما تزال نشيطة ، فان التطور الذي تسير في دربه الشعوب العربية كفيل بالقضاء على هذه العوامل الطارئة ، وتقوية الاجزاء الضعيفة من العناصر المكونة لمقومات الامة العربية . والعامل المهم الذي ساعد ، وما زال يساعد ، على بقاء وحدة المجتمع العربي وترابطه ، رغم عوامل التباعد والتفريق ، هو الاسلام ، وهذا ما اهمل الدكتور ذكره . فالاسلام من اعظم العوامل التي كونت هذه العقلية المشتركة في المجتمع العربي، وحافظت على وحدة كيانه سليمة، الى حد ما، رغم ما اصابه من محن داخلية وخارجية ، احدثها محنة الاستعمار الغربي بمختلف اشكاله . ان الدين ليس عاملاً من عوامل القومية . ووجود الامة لا يقوم على الدين ، ولا يعتمد عليه . ولكن الاسلام اكثرُ من علاقة الانسان بربه . اكثر من ايمان بالغيبيات . فهو دين ، وتنظيم اجتماعي واقتصادي . هو نظام حياة كامل .

لا يشترط في الافراد الذين تتكون منهم الامة ان ينحدروا من جنس واحد . فقد اختلطت الاجناس البشرية على مدى الدهور حتى ليصعب على الانسان ان يجد عنصراً بشرياً نقياً حتى في الاقوام التي تسكن في الاماكن البعيدة عن طرق الحضارة. يقول الدكتور حنا : ان الشعوب القاطنة هذا المتحد ترجع في سلالتها الى اصل واحد هو الاصل السامي (ص١٤) وهذا غير صحيح . فالعرب الذين يسكنون العالم العربي اليوم قد تكونوا ، بصورة عامة، من اختلاط شعوب واجناس عديدة بالشعب العربي السامي على مدى عصور عديدة واهمها الشعوب السامية في اقطار الهلال الخصيب ، والحاميون في مصر ، والحاميون والزنوج في السودان ، والبربر في شمال افريقية ، وشعوب اخرى اهمها الاكراد والاتراك والفرس وسواهم. ولو رجع الدكتور الى ما يحكيه الريحاني في « ملوك العرب » عن عرب تهامة اليمن لعلم الى اي مدى اختلط الدم العربي بالدم الزنجي هناك . ثم ان الناس الذين يسكنون العالم العربي ليسوا

كلهم عرباً او متعربين . فهنالك قوميات مختلفة تعيش في العالم العربي منذ القديم ، اهمها البربر في شمال افريقيــة وخاصة في مراكش حيث يكوّنون اكثر من نصف السكان ، والاكراد وخاصة في العراق حيث يكوّنون حوالي خمس السكان .

إن هذه الملاحظات الصغيرة التي ذكرتها عن هـذا الفصل ، الذي لم يتعمق الدكتور في بحثه ، لا تمسّ جوهر الكتاب . فالكتاب يعالج واقع العالم العربي ومستقبله ، معالجة دقيقة ، شاملة ، رصينة . بيّن الدكتور ، في الواقع الاقتصادي ، امكانيات العـالم العربي الاقتصادية ، وان هـذه الأمكانيات عظيمة . ولكنّ العالم العربي يبدو فقيراً ، ويوهم بانه فقير ، لان المتسلطين الاجانب واعوانهم من المستغلين في الداخــل يستحوذون عــلى هذه الثروة الطبيعية ، ويجهّلون الشعب ، ويبعدونه عن تنظيمها والاستفادة منها استفادة علمية مثمرة . ويصف التباعد الاقتصادي بين الاقطار العربية ، ويبين تأثيره على مصلحة العرب ، وعلى وحدة المجتمع العربي . ويبيّن ، في الواقع الاجتماعي ، ان المجتمع العربي مجتمع طبقات . مجتمع تستغل فيه قلة من الناس جمهور الشعب العامل . مجتمع تهدر فيه كرامة الفكر ، ويضيّق عليه ، ويسخر لمصلحة هـذه القلة واسيادها من المستعمرين ، بدل ان يكون حراً ليخدم مصلحة الشعب وينير له طريق الحياة . مجتمع تهدر فيه كرامة المرأة كانسان ، وتضيع فيه حقوق الطفل . ويستنتج الدكتور من هذا البحث نتيجة عميقة صائبة بأنّ هذا الواقع العربي هو السبب المهم في تجزئة العالم العربي وطمع الدخــلاء فيه ، وهو العائق الأهم لتقدمه ووحدته وبلوغ امانيه . وان كل جهد في سبيل الوحدة العربية السياسية،قبل التخلص من هذا الواقع الاجتماعي المؤلم ، انما هو جهد ضائع . فالوحدة السياسية اذا لم تبن عـلى مجتمع متحد العقلية ، والارادة والمصلحة ، وحدة مصطنعة ، عرضة للتفكك والانهيار في كل آن . ثم يبـين الدكتور ، في الواقع السياسي ، ان هذا الواقع هو واقع استعمار ، ورجعية ، وفقدان لكل مقومات الحكم الديمقراطي الشعبي . واقــع حكومات لا واقع شعوب . وهذا هو سبب ما بين اقطار هذا العالم العربي من تباعد،وما بين حكوماتها من مشاكسات، وخصومات ، واهمال للمصالح العربية الحيوية .

وينظر الدكتور حنا إلى مستقبل العرب نظرة المتفائل ، الواثق من قوة الشعب على تحقيق مستقبل زاهر تنعم فيه جماهير الشعب بالحكم الشعبي الصحيح ، وما يتيحه هذا الحكم من كرامة للفرد والمجموع ، ومن خير اقتصادي واجتماعي وفكري عميم . وهو يبني تفاؤله هذا على هذه اليقظة التي اخذت سبيلها الى وعي جماهير الشعب . هذه اليقظة التي تتمثل في تغير موقف الشعب من الاستعمار الاقتصادي والسياسي : من السلبية المستسلمة المخدرة الى المقاومة الايجابية الفعّالة، وفي وعي الطبقات الشعبية المتزايد لحقوقها، وفي تكاثر عدد المثقفين المستنيرين ، وفي ازدياد قوة الحركات النسائية ، وفي تعاظم حركات السلام رغم ما تعانيه من كبت ، وفي هـذه الانتفاضات الشعبية ضدّ المستعمرين والحكام المستبدين والاوضاع الرجعية . ولكنّ هنالك خطراً عظيماً على هذا المستقبل يأتي من قبـل الاستعمار الذي يسعى جاهداً إلى تمكين نفوذه في هذا الجزء من العالم ، للاستفادة من موارده الاقتصادية ، وفي مقدمتها النفط ، ومن قواه البشرية ، وموقعه الستراتيجي. وقدنشط المستعمرون في بث الذعر من الحرب لجر الشعوب العربية إلى مشاريعهم الحربية و في مقدمتها مشروع الدفاع المشترك . وقــد بين الدكتور حنا – بمنطق سليم ، وتفصيل تدعمه الحقائق – ان لا مصلحـة للشعوب العربية في الاشتراك بهذه المشاريع الحربية ، ولا مصلحة لها في قيام حرب عالمية تكون هي اول المصطلين بنارها . وهو يرى ان السبيل الوحيد لدفع هذه الاخطار الماحقة هو ان تتفهم الشعوب العربية هذه الاخطار، وتعي مصلحتها، وتوحد قواها في نضالها ضدّ اعدائها من المستعمرين الاجانب ، ومن يشد أزرهم ويثبت نفوذهم في الداخل .

محمد توفيق حسين



التربية وفلسفتها

تأليف الدكتور نوري جعفر

اذا كان لا بدّ من كلمة الحق فنحن بين يدي كتاب هو فيما خرج للسوق من كتب من اعمقها مادة ، وانظفها تفكيراً ، واسدها طريقة بحث .

أما المادة فحسبك انها فلسفة ، بل هي فلسفات ؛ والفلسفة بطبيعتها عمل فكري جاهد ، وحركة عقلية شاقة ، فاذا أضفت الى هذا ان مادة الكتاب ليست فلسفة واحدة ، وانما هي ألوان من الفلسفة تتطلب ألواناً من القدرة على الاستيعاب ، انتحين

تضيف هذا الى داك تتبين بوضوح قيمة هذا الكتاب الجيد . وما أظنك تفترض شقة واسعة بين فكر يبدع فلسفة ، وآخر يهضم فلسفة ، فليس أشبه بفضيلة الخلق في عالم الفكر من فضيلة التمثل ، بل نستطيع ان نقول : ان عملية الابداع الفلسفي تفقد كل امتيازها اذا لم تقترن بعملية التمثل هذه ، او إذا لم تكن عملية التمثل تتمة طبيعية لها . وفي المادة ، إذا لم يجد الطعام معدة تقوى على امتصاصه بطلت جميع خصائصه الغذائية . من هذا كله نخلص الى ان عمليتي الابداع وتمثل الابداع أمران متلازمان ، وانه بقدر ما تكون قيمة الابداع الحق ، تكون قيمة التمثل الحق . وما ينبغي ان تكون الاصالة هنا فارقاً يفصل فصلاً بعيداً بين المبدع والمتمثل ، فربما كان الوقوع الأول على الحقيقة الفلسفية لا يعود الى ذهن غني فحسب ، وانما يعود اليه والى شيء آخر هو الذي يمهد لفكر غني دون فكر غني آخر أن يتفلسف .

ومهما يكن من أمر فان التمثل لا يمكن ان يكون عملية فكرية ذات نفع ، او ذات أثر في التثقيف إذا لم ينته الى تبسيطات مركزة لمستويات ذهنية اقل طاقة على التفكير المجرد . وهو ينتهي الى ذلك اذا توافرت فيه عناصر ثلاثة : وضوح الفكرة في الذهن ، وسلامة الأداة التي تفصح عن هذه الفكرة ، وسداد الطريقة في البحث . فاذا التوت الفكرة في الذهن التوت كذلك في التبسيط ، واذا التوت الأداة في الافصاح التوت معها الفكرة كذلك . وليس يجدي مع الطريقة الملتوية في البحث ان تكون الفكرة واضحة ، او تكون الأداة سليمة . ومن هنا يزعم ديكارت : ان البحث هو طريقة البحث ، وانه ليس هناك بحث جيد وبحث رديء بل هناك منهج جيد ، ومنهج رديء .

وهنا ايضاً أستطيع ان أزعم ان هذه العناصر التي افترضنا وجودها في كل تمثل فلسفي ذي وزن ، تتوافر في هذا الكتاب الجيد . وإذا انت تجاوزت وضوح التفكير ، وسلامة الأداة ، الى طريقة البحث راعك فيها انها ليست هذه الطريقة التقليدية التي ألفتها في بحوث الفلسفة وانما هي طريقة جديدة ملاكها : ان تبسط لا أن تعقد ، وان تحلل لكي تركب على نحو لا غموض فيه ولا التواء . هي طريقة تنبثق من صميم التفكير الأميركي اي انها طريقة عملية واقعية . وفي عقيدتي انه ليس أجدي على مشاكل الفكر من ان تتبنى في بحثها والوصول الى حقائقها هذه الطريقة السديدة . والفلسفة ، وهي اعمق مشاكل الفكر وأدق مسائله ، اجدر بهذه الطريقة وأولى .

إننا لا نستطيع ان نقوم بوظيفتنا من التثقيف اذا اتبعنا في بحثنا لمشاكل الفكر طريقة التعميق في التعميق او هذا التفكير اللاتيني الذي يبلبل الفكر الطريء ويرهقه . فاذا اردنا ان يتصل ابناؤنا بمشاكل الفكر المعاصرة دون ان يبرموا بهذا الاتصال ويملوه ، وإذا أردنا منهم كذلك ان يكونوا على صلة دائمة بتيارات الفكر المعاصرة ، إذا أردنا منهم هذا وذاك وجب ان يكون تمثلنا نحن لهذه المشاكل والتيارات تمثلا ينتهي الى تبسيطات مركزة تعبد لهم مسالك الطريق الوعرة . ومن هنا ايضاً ينبغي ان ينظر الى هذا الكتاب القيم الذي يقدمه الدكتور نوري جعفر لأساتذة الجيل المقبل من المختصين . ثم اذا كان الكتاب ضرورة ثقافية لهؤلاء فهو ضرورة ثقافية لكل قارىء عربي ايضاً ، ذلك ان المؤلف لم يترك فضلا لمختص على غير مختص في فهم الكتاب واستيعاب مسائله .

عبدالرضا صادق

لبنان

١ – المزوّرات بين باحثين

نشر الاستاذ امين نخله في جريدة «الجريدة» التي تصدر في بيروت ، مقالاً ضافياً عن «المزورات والدكتور جبور».

وصفوة المقال ان الدكتور جبرائيل جبور الذي حقق كتاب « الكواكب السائرة باعيان المئة العاشرة» للنجم الغزي حين مرت معه في متن الكتاب كلمة « المزورات » علق عليها في الحاشية بقوله [كذا في الاصل] ، وهو يريد ان المزورات من مسخ الناسخ وانه لا يهتدي فيها الى معنى .

ويرى الاستاذ امين نخله ان كلام الدكتور جبور «يكاد لا يصدق صدوره ممن كان في طبقة الدكتور جبور جلالة رأي وأبهة علم – دع انقطاعه للبحث والتنقيب وقضاء ايام العمر بين الكتب، ودع تطوعه لتنقيب الكتاب، وما يكون قد أطال فيه النظر ، من كل جليل ودقيق من مقامات الاصل، وكون هذه اللفظة المولدة خطبها يسير ! فانها تدور في كتب المولدين والمعربين ، في السير والطبقات والبلدان والطب واللغة والادب ، كثيراً » .

ونحب ان نهمس همسة خفيفة بان الاستاذ نخله الذي لا يقل عن الدكتور جبور جلالة رأي وأبهة علم ، ولا يقل عنه انقطاعاً للبحث والتنقيب ، قد فاته ان العرب لا يقولون «يكاد لا يصدق» وانما يدخلون النفي على « كاد » فيقولون « لا يكاد يصدق » ، على نحو ما جاء في القرآن الكريم «اذا اخرج يده لم يكد يراها » .

اما معنى «المزورة» فينقله الاستاذ نخله عن مادة «زور» في محيط المحيط : «والمزورة اسم مفعول من التزوير وهو الكذب» ويطلق عند الاطباء على كل غذاء دبر للمريض بدون اللحم ، وقد يتوسع فيها فتطلق على ما فيه اللحم ايضاً ...

وقد دعم الاستاذ نخله رأيه بحشد من اعلام المؤلفين الذين ذكروا المزورة في كلامهم ، من مثل الصالحي الدمشقي وابن طباطباء والقفطي والخفاجي والقادري الدمشقي والشاعر ابي محمد المطراني والراغب الاصبهاني ...

وكان لمقال الاستاذ نخله دوي كبير في الأوساط الأدبية دل على أشياء وأشياء ...

منها انه ليس من الغريب على كل باحث ان تفوته كلمة من كلمات العربية او يغمض عليه معناها ، ولكن الغريب ان لا يكلف الدكتور جبرائيل جبور نفسه مؤونة البحث عن هذه الكلمة في اقرب معجم على منضدته ، فيكتفي بذكر [كذا في الأصل] يحل بها مشكلاً ... لم يلبث ان جر وراءه مشكلات ...

ومنها ان الاستاذ نخله ، الى جانب امتيازه اللغوي وثروته اللفظية ، لا يزال كما عهدناه موكلاً باللحن يتبعه على أقلام الكتاب ، منقباً عن اسرار العربية ، دؤوباً على البحث في غياهب كتب الفصاحة ودهاليز المعاجم .

ولكن هذا كله ، لم يمنع الاستاذ نخله من ان يظن ، كما ظن صاحب محيط المحيط أن التزوير ، هنا ، معناه الكذب ، وما صلة الكذب في تركيب دواء واعداده ؟ والواقع ان التزوير في مثل هذا الموضع معناه التأليف والاعداد ، ومنه قول عمر ابن الخطاب، يوم السقيفة «كنت زورت كلاماً اردت ان اقوم به فيهم، فلما دنوت اقول اسكتني ابو بكر، وتكلم بكل ما اردت ان اقول» . واذن فالمزورة سميت كذلك لأنها نوع من الطعام او الدواء ركب تركيباً وأعد اعداداً خاصاً ليكون سبيلاً الى الشفاء.

وختم الاستاذ نخله مقاله قائلاً : « ان خفاءها « الكلمة المزورة » على الدكتور جبور هو من اعجب العجب بل هو ... اشبه شيء بنقص القادرين على التمام » ...

العرب وجائزة نوبل

ادلى الأديب الكبير الاستاذ خليل تقي الدين، وزير لبنان المفوض في المكسيك ، بحديث الى «الآداب» رأينا ان ننقله الى القراء الكرام لأهميته ، قال :

دعيت يوم ١٢ كانون الاول الماضي ، بصفتي وزير لبنان المفوض في البلاد السكندينافية، الى الحفلة التي اقامها الكونت دو شايلا سفير فرنسا في السويد على شرف الكاتب الفرنسي الشهير فرنسوا مورياك بمناسبة منحه جائزة نوبل للآداب . وقد ضمت الحفلة عدداً من الدبلوماسيين واعضاء الأكاديمية السويدية للعلوم والآداب برئاسة مرشال القصر الاكبر «ايكيبر» وقد رأيت ان اثير موضوع العرب وجائزة نوبل فقلت لمرشال القصر الاكبر :

– انا نستغرب ان جائزة نوبل للآداب لم تمنح حتى الآن لعربي، مع ان للعرب تاريخهم وآدابهم وحضارتهم وهم يزيدون الآن على ٥٠ مليوناً.

فأجاب بقوله : ان التبعة في ذلك لا تقع علينا . فنحن قبل ان نمنح الجائزة الأدبية نستعين بآراء المجامع العلمية الادبية في مختلف البلدان والمجلات الادبية العالمية والمؤسسات والجامعات الكبرى، وكلها ترشح لنا زهاء ١٥٠ اسماً كل عام . وحينذاك نعرض مؤلفات هؤلاء الأدباء على جميع المعنيين بشؤون الثقافة والأدب في السويد، وعلى جامعة استوكهلم واساتذة الآداب فيها فيغربلون هذه الأسماء ويعطوننا نحو خمسين اسماً منها . ثم نتداول نحن اعضاء الاكاديمية مؤلفات هؤلاء الخمسين الذين نختار منهم عشرة تمنح لجنة نوبل واحداً او اثنين منهم جائزتها الكبرى.

واضاف «ايكيبر» الى ذلك قوله: ومع الأسف ، تنقصنا الوثائق عن الآداب العربية وعن النشاط الفكري هناك ، وهذا واجب من واجبات المعاهد الأدبية والمؤسسات والمجامع والمجلات والمؤلفين انفسهم .

فسألته : واذا اتفق ان آثار مؤلفينا لم تكن مترجمة ؟

فأجاب : ان عندنا في السويد مستشرقين يقرأون العربية وبوسعنا ان نستعين بهم .

قلت : علمت ان الدكتور طه حسين قد رشح منذ سنتين لنيل الجائزة.

اجاب : نعم اذكر ذلك، ولكنه لم يفز بها لأنه لم يقطع جميع المراحل التي تحدثت عنها . ولا تنسوا ان جائزة نوبل قد منحت لشرقي عظيم هو طاغور.

واضاف مرشال القصر الاكبر : ارجو ان تنشر في العالم العربي ان لجنة نوبل للآداب لا تقبل فحسب ان يقدم لها نتاج عربي يرقى الى مرتبة الادب العالمي التي تكرسها مؤسسة نوبل بل هي ترحب بكل سرور بمثل هذا النتاج .

٢. ابو شبكة يبحث عن اصحابه!

تحضرني نكتة للاستاذ احمد الصافي قالها يوم اقيم مهرجان ابي العلاء المعري في بيروت في ذكراه الألفية . قال : « لقد خرج المعري من القاعة، ساعة دخل خطباء المهرجان ».

ولم يقل احد هذا الشهر، حين احتفلت

النشاط الثقافي في العالم العربي

جمعية اهل القلم بالذكرى السادسة لوفاة الياس أبي شبكة ما قاله الاستاذ الصافي عن مهرجان ابي العلاء ، ذلك ان شاعر غلواء لم يغادر القاعة حين دخلها خطباء الذكرى ، بل ظل حاضراً ، ولكنه كان شبحاً مسكيناً لم يستطع خطباء الحفلة ان يجلوا لنا عبقريته وشاعريته وشخصيته ... الا بمقدار !

لقد تكلم الاستاذ صلاح لبكي رئيس أهل القلم ، فعرف أبا شبكة وبين موضعه من الحياة الأدبية في لبنان .

وتحدثت السيدة أميلي فارس ابراهيم عن النزعة الانسانية والوطنية في شعره.

وأفاض الاستاذ أحمد ابو سعد متحدثاً عن استفحال ازمة الادب في لبنان وانصراف الناس ، والادباء منهم ، عن الادب ، الى ان اتيح لجماعة اهل القلم ان تعيد للادب مجده وتحيي هذه الليلة في ذكرى شاعر غمس الريشة في جراح قلبه وصب الحرف من ضياء عينيه وفتنة شبابه . وبعد ان تكلم عن الشعر في عهد ابي شبكة رأى في شاعر غلواء احد افراد القافلة المتحررة ، بل زعيم الرومانطيقية في الشعر العربي .

وكانت الكلمة الاخيرة للاستاذ فؤاد حداد الذي تناول نفسية أبي شبكة بالعرض والتحليل مبيناً ما فيها من خطوط تشده الى الله مرة والى الشر مرة اخرى...

لقد دار كل من الخطباء في الافق الذي سمح له به وقت الالقاء الضئيل ووقت الإعداد القصير ، فلهم الثناء ، ولجماعة أهل القلم الشكر على هذه المناسبة التي أحيوا فيها ذكرى أديب كبير فقدناه .

غير ان ثمت كلمة لا نوجهها الى اهل القلم لأننا نعلم انهم بذلوا ما في وسعهم من أجل إقامة هذه الحفلة ؛ ولكننا نوجهها الى كل من يعرف أثر ابي شبكة في ادبنا . ان لأبي شبكة حقوقاً لا تنكر على اصحابه ، وعلى الصحافة وعلى الادب ، وعلى ابناء لبنان عامة ، وقد بحث «ابو ناصيف» عن أصحابه فلم يجد منهم في حفلة الذكرى الا القليل القليل في المستمعين ، والأقل الاقل في الخطباء ، وبحث عن مندوب يتحدث عن الصحافة التي أطفأ نور عينيه وهو يمدّها بمقالاته وترجماته فلم يجد أحداً ، وبحث عن ادباء لبنان «الكبار» فما كانوا بعد وفاته خيراً مما كانوا معه في حياته ، وبحث عن ممثل الحكومة ، وقد حملت بطاقة الدعوة اسمه بين الخطباء ، فلم يجده ايضاً !...

لقد بحث الياس ابو شبكة عن ميخائيل نعيمه ومارون عبود ويوسف غصوب وبطرس البستاني ورئيف خوري وخليل تقي الدين وبشاره الخوري وامين نخله وفؤاد حبيش ، ليسمع منهم كلمة تستعاد بها ايام ماضيات... ولكن هؤلاء جميعا قابلوه بصمت رهيب ونسيان دام ، وما أقساه من صمت ، وما أعقه من نسيان !

مسكين ابو شبكه لقد غمس قلمه في قلبه فجرى ثورة دامية وحبا عاصفا ، أفلا يستحق من لبنان بضع صفحات تدرس شاعريته وتحيي أدبه وتخلد ذكراه؟

٣. حروف غصوب

قد يعرف كثير من القراء ان الاستاذ يوسف غصوب شاعر رقيق.

وقد يعرف عدد من القراء انه كاتب بارع .

ولكن الذي لا يعرفه القراء انه مبتكر نظام جديد في حروف المطبعة العربية .

فقد استطاع ان يقدم الى المطبعة العربية مجموعة من الحروف الجديدة ، تختصر صناديق الأحرف المطبعية من ثلاثمائة وستين نوعا الى نحو من ستين فقط . ومعنى ذلك اختصار خمسة أسداس من جهد التنضيد ، وهو اختصار له قيمته ومغزاه .

وقد وصلت الآن الحروف المصبوبة ووضعت تحت تصرف الراغبين ، وبدأت بعض الصحف تنضد بعض مقالاتها منها الى ان تتعود رؤيتها وقراءتها عيون القراء .

ويبدو للوهلة الاولى انها غريبة غير ان المجربين يرون ان قليلا من الاستمرار كفيل بان يعود القارىء إياها .

لقد حلق شاعر «قارورة الطيب» بعيداً في عالم الرؤى والأحلام والطيب ، وحين مس الواقع قدم الى القارىء العربي جهازاً هندسياً جديداً للحروف العربية ، كان خير هدية عملية يشكره عليها المؤلف والناشر والقارىء جميعا .

والشعر ، بعد ، ليس بعيداً عن الهندسة !

« بهي »

أشتات ادبية

•

• وصلت هدية سمو الامير عبد الله الفيصل وزير الصحة في المملكة العربية السعودية الى الشاعر الاستاذ بشاره الخوري وهي ثلاثة آلاف جنيه استرليني .

وهذه الهدية الغالية هي جواب الامير السعودي على قصيدة الاخطل الصغير في مدح الامير .

وكان من المتوقع ان ينفق هذا المبلغ الكبير على نشر ديوان الاستاذ بشاره الخوري نشراً انيقا ، ولكن الاستاذ بشاره الخوري لا يزال يؤثر تأجيل النشر مدة اخرى من الزمن !

• واخيراً دفع الاستاذ امين نخله مجموعة شعره إلى المطبعة ، وما هي الا أيام حتى يظهر «دفتر الغزل» حاويا باقة ممتازة من شعر الاستاذ نخله.

• اقامت شركة ك.ل.م معرضا للرسامين اللبنانيين في المتحف اللبناني ، عرضت فيه مجموعة من اللوحات الفنية تمثل مختلف ألوان الفن ومدارسه في لبنان . وبعد ان دام عرض هذه اللوحات عشرة ايام اختارت الشركة عدداً من اللوحات الممتازة ، ستحملها طائراتها الى مختلف عواصم العالم لكي تعرض على المتذوقين كمثال عن اتجاهات فن الرسم في لبنان .

• اصدرت دار المعارف ببيروت مجموعة «نوابغ الفكر العربي» ، وقد ظهر منها حتى الآن كتاب عن ابن رشد بقلم الاستاذ عباس محمود العقاد ، وكتاب عن الجاحظ بقلم حنا الفاخوري ، وكتاب عن الشيخ نجيب الحداد بقلم الاستاذ عادل الغضبان .

• اصدرت دار المعارف بمصر كتاب «المرأة المستنيرة» بقلم الطبيب الالماني المشهور الدكتور «لودفيج ليفي لينز» .

• ستصدر قريبا مجموعة « فنون الادب العربي » عن دار المعارف بقلم الاستاذ فؤاد افرام البستاني والدكتور سامي الدهان والدكتور شوقي ضيف .

النشاط الثقافي في العالم العربي

لبنان والاونيسكو

منذ نشأت مؤسسة الاونيسكو والآراء بشأنها مختلفة متضاربة ، والحملات عليها من صحافة اكثر البلدان المشتركة فيها تكاد تكون دورية . ففي الصيف الماضي قام اميركيون يتهمون الاونيسكو بانها مؤسسة شيوعية بتصرفاتها ، فهي تسعى بكل ما لديها من وسائل الى توحيد العالم بتوجيهه نحو أهداف واحدة في الحياة ، مضحية في هذا السبيل بميزات الشعوب الدينية والثقافية ، وبالعادات والتقاليد المحلية ، ناهيك بالشعور القومي ، غير ملتفتة الى درجة تطور كل شعب ، مما يخشى ان يفقد المجتمع الإنساني صفة التنوع ، فيصبح الناس وكأنهم مفرغون في قالب واحد فكراً وشعوراً . ولا يبدو ان الشيوعية الماركسية تختلف عن الاونيسكو في هذا الباب .

وآخر صوت ارتفع في بريطانيا العظمى ضد الاونيسكو هو صوت جريدة «أيفننغ ستاندرد» . فقد تساءلت هذه الصحيفة في عنوان مقال نشرته أخيراً: ما فائدة هذه المؤسسة ؟ ثم أجابت عن السؤال بقولها : ان الاونيسكو تعقد اجتماعات لا معنى لها ولا حاجة اليها . وتنشر مؤلفات من المحتمل جداً ان تنشر بدونها ، أو لا تنشر ابداً لقلة جدواها . وتحاول ان تنهض بالتربية ، ولكن اذا كان المال يتوافر في بلادنا لإنفاقه على تربية الشعوب المتأخرة ، فالأجدر بحكومتنا أن تنفقه على ألوف البريطانيين الذين لا يقدر لهم الأخذ بنصيب كاف من التربية .

وختمت الجريدة اللندنية مقالها بدعوة الحكومة البريطانية الى الامتناع عن الاشتراك في اجتماع الاونيسكو الذي تقرر عقده في مونتفيديو خلال سنة ١٩٥٤ .

اما لبنان فلم نعرف لحكومته رأياً واضحاً في الاونيسكو ، ونجهل تماماً اي فائدة جناها للبنانيون من اشتراك بلادهم في منظمة الاونيسكو وتغذية صندوقها بمبلغ ضخم من المال كل سنة ، أللهم إلا تلك الفائدة المعنوية العابرة التي عرفت لبنان إلى أعضاء منظمة الاونيسكو يوم عقدت اجتماعها في بيروت خلال خريف ١٩٤٨ ؟

لا ندري ما هي قيمة اشتراكنا السنوي في الاونيسكو. قد تكون مائة الف ليرة ، كما قد تكون نصف مليون ليرة . أفليس الأفضل لنا إنفاق هذا المبلغ على تعليم ابنائنا – وما أحوجهم إلى مدارس تؤويهم ! – بدلاً من انفاقه على منظمة لا نعرف كيف تنفق أموالها ، وإذا عرفنا فلا يصيبنا منها سوى تعويض ضئيل يتناوله واحد أو اثنان من شبابنا تنازلت الاونيسكو فضمتهم إلى صفوف موظفيها ؟ ناهيك بتعويضات مندوبينا الدائمين لدى منظمة الاونيسكو ، وقد اقتصر عملهم حتى الآن ، على خطاب خيالي ألقوه أو دمعة مصطنعة ذرفوها على المثل العليا المتهاوية ، أو دعوة مترددة إلى التمسك بالقيم الروحية المنيعة ...

ألا ، انه ليحسن بمن يجوع أبناؤه أن يحتفظ لهم بخبزه أولاً ، لا أن يوزعه على هذا أو ذاك من أهل الارض !

ف.ح

سوريا

لمراسل « الآداب » الخاص

١ – جوائز الفنون الجميلة

تحدثت «الآداب» في عددها الاول عن المعرض الثالث للفنون الجميلة الذي أقيم في دمشق، وعرفت ببعض الالوان من مظاهر النشاط الفني فيه ، سواء في الرسم أو في النحت ، وأجملت تاريخ الحركة الفنية في سورية هذه الحركة التي تبلور وجهها الرسمي في إقامة هذا المعرض سنوياً وفي تخصيص طائفة من الجوائز المادية للفائزين .

وقد انتهت لجنة التحكيم من توزيع الجوائز الى ما يلي :

١ – في الرسم :

الجائزة الاولى وقدرها الف ليرة سورية للسيد فاتح المدرس عن لوحة كفرجنه
» الثانية وقدرها ستمائة ليرة سورية للسيد نصير شورى عن لوحة عين الخضراء
» الثالثة وقدرها اربعمائة ليرة سورية للسيد ناظم جعفري عن لوحة غريف

٢ – في النحت :

الجائزة الاولى وقدرها الف ليرة سورية للسيد الفريد بخاش
» الثانية وقدرها ستمائة ليرة سورية للسيد عدنان الرفاعي
» الثالثة وقدرها اربعمائة ليرة سورية للسيد يعقوب وردة

وقد اختير اعضاء اللجنة ، التي تولت أمر التحكيم ، من لبنان وقامت بهذه المهمة بدعوة من وزارة المعارف في الحكومة السورية . غير أن هذا القرار لم يخل من نقاش امتد إلى أن يكون جدلاً ، وامتد الجدل فكان اتهاماً تراشقه الفنانون ، ثم مضى الاتهام فجاوز الاوساط الفنية إلى المجلات الادبية الاسبوعية ونشرت مجلة «النقاد» الصورة الفائزة الاولى وإلى جانبها صورة من مجلة «الإليستراسيون» مشيرة إلى ما بين الصورتين من تشابه أو تماثل.

ومهما يكن من الشأن في ذلك فان من الخير لحركتنا الفنية الناشئة أن تنظر إلى أمام ، إلى المعرض القادم ، وأن لا يشغلها حاضرها في هذا الجدل الطويل عن التوثب للعام المقبل وعن إعداد العدة الطيبة له ، فليست الجوائز الحكومية هي التي تبوىء الفنان مكانته وليست هي كل شيء في هذا الموضوع. إنها ليست إلا الجانب الرسمي والجانب المادي منه ... والحياة الفنية ، بآفاقها البعيدة ، والفنان، بتطلعاته العليا، أسمى من أن يدع لهذه الاشياء أن تعوقه .

٢ – موسم المحاضرات في الجامعة السورية

من سنة الجامعة السورية الدعوة إلى طائفة من المحاضرات في مدرجها الكبير ، يلقيها أساتذة الكلية أو ضيوف الجامعة ، وقد اتخذت هذه السنة شكلاً أكثر تنظيماً من السنوات الاخيرة ، فاعتبرت هذه المحاضرات جزءاً من عمل الجامعة ، حدد لها موسم معين من العام الدراسي ورصدت لها المكافآت ووزعت بين فروع المعرفة المختلفة .

وكان من هذا التنظيم كذلك أن عمدت الجامعة إلى طبع هذه المحاضرات في آخر كل عام دراسي ، وقد طبع حتى الان محاضرات العامين السابقين . وفي أواخر كانون الاول (دسمبر) الماضي بدأت الجامعة سلسلة محاضراتها لهذا العام بمحاضرة للاستاذ وجيه السمان موضوعها «الدماغ الكهربي دهشة العقول»

والاستاذ المحاضر يشغل اليوم منصب مدير مؤسسة الكهرباء بدمشق ، وقد

النشاط الثقافي في العالم العربي

كان من قبل عميداً لكلية الهندسة في خطواتها التأسيسية ، وقضى السنوات الاولى لحياته العامية استاذاً للفيزياء في ثانويات حلب ودمشق .

أما المحاضرة فكانت مزيجاً من العلم ومن الملاحظ الدقيقة البارعة التي تدل على روح أدبية نفاذة واستطاع أن يبسط موضوعه على احتفاظه بمستواه العلمي الرفيع وأن يجتذب اليه انتباه الحاضرين في قوة آسرة وأسلوب موفق مرده أن الاستاذ المحاضر أحد الذين يضمون الى اختصاصهم العلمي روح المشاركة في جوانب الادب وتذوقه.

٢ – والمحاضرة الثانية من محاضرات الجامعة كانت موزعة بين ثلاثة محاضرين : اثنان منهما هما الدكتور مرشد خاطر وزير الصحة والدكتور شوكت الشطي امينها العام – وكلاهما من اساتذة كلية الطب – وقد أعدا قسمها الأول باللغة العربية وعنوانه (على هامش تاريخ السل عند اطباء العرب) – والثالث هو الدكتور اتيان برته Etienne Berthet خبير منظمة الصحة العالمية – وقد اعد القسم الثاني من المحاضرة باللغة الفرنسية وعنوانه (آمال المستقبل في المشروعات الحالية القائمة في سورية لمكافحة السل) والمحاضرة بهذا التقسيم والتوزيع والتنويع صورة عن جهد الجامعة في عملها في هذا النحو الثقافي .

٣ – اما المحاضرة الثالثة فكانت كذلك باللغة الفرنسية للاستاذ الدكتور جورج بوردو وموضوعها (الديمقراطية الكلاسيكية والديمقراطية الراهنة) والاستاذ المحاضر احد أساتذة كلية الحقوق في جامعة باريس وهو في دمشق استاذ زائر لكلية الحقوق في الجامعة السورية .

٤ – والقى الاستاذ جورج حداد المحاضرة الرابعة وموضوعها (السوريون المغتربون ومكانتهم في التاريخ) وكان لاختصاص الدكتور حداد في التاريخ القديم ولرحلاته في الاميركتين أثره في تلوين الموضوع والنظر اليه نظرة مزدوجة في أضواء التاريخ وفي أضواء الواقع معاً .

٥ – وقد مر بدمشق الاستاذ غلام مصطفى عميد كلية السنة الاسلامية ورئيس كلية التربية فيها فألقى بدعوة رئيس الجامعة السورية محاضرة باللغة الانكليزية بعنوان (جهدنا التربوي) وكانت المحاضرة سبيلاً الى الاتصال والتعارف بين العاملين في هذا الحقل.

٣ . المطبوعات

وليس في نتاج المطبعة السورية جديد إلا ديوان (المشرد) للشاعر الكبير الاستاذ ابو سلمى . والمشرد نفحات من الشعر الرقيق القوي الذي تصطلح عليه العواطف الذاتية والقومية ، وتتألف فيه دقة الاحساس ووثبات الخيال ، ويتوفر لصاحبه فيض من القيم النفسية والاسلوبية الرفيعة .

وتصدر مجلة الدنيا ، باشراف صاحبها الاستاذ عبد الغني العطري ، سلسلة شهرية بعنوان كتاب الشهر . وهو كتاب في حجم سلسلة «اقرأ» ولكنه يخالف عن أمثال هذه السلاسل الشهرية في انه يجاوز الموضوع الواحد الى طائفة من الموضوعات. ففي الكتاب الاول مثلا قصة «جين آير» للكاتبة الانجليزية شارلوت برونتي ، وغراميات بيتهوفن ، وقصة عالمية بعنوان «من اعماق الحضيض» ، وبحث بعنوان «المطرقة الحديدية» التي ستحكم امريكا وهو حديث عن طفولة ايزنهاور ، وبحث صحي يتساءل هل العقل السليم في الجسم السليم وبحث علمي عن الرادار . وقد صدر عن هذه السلسلة عددان حتى الآن .

٤ . حلقة الدراسات الاجتماعية

(اتجاهات جديدة في الفقه الاسلامي)

وتميزت الحياة الفكرية في خلال الشهر الماضي بانعقاد الدورة الثالثة لحلقة الدراسات الاجتماعية للدول العربية في دمشق .

وقد كانت الدورة الاولى في بيروت عام ١٩٤٩ وكان عملها اشبه ما يكون بالتمهيد لدراسة المشكلات الاجتماعية في العالم العربي ومحاولة التنبيه اليها والتمرس بها وتلمس السبل المختلفة لمعالجتها .

اما الدورة الثانية فكانت في القاهرة عام ١٩٥٠ وقد تجنبت هذه الابحاث العامة التي كانت في الدورة الاولى وتركزت جهودها في موضوع الاصلاح الريفي ، على اتساعه ، وانتهت الى طائفة من التوصيات التي تمنت على الدول العربية ان تأخذ بها حتى تحقق للريف – وهو اكبر الاجزاء فيها – حياة راضية مرضية.

اما هذه الدورة الثالثة فكانت في دمشق في عام ١٩٥٢ بدعوة من الحكومة السورية وكان موضوعها (وسائل تنظيم التكافل الاجتماعي في الدول العربية) .

وقد مهدت الجامعة العربية لهذا الموضوع بطائفة من الاسئلة وجهتها الى الدول الاعضاء ، وبطائفة من البحوث والاحصائيات عرضتها بين يدي الموضوع .

وشهد الحلقة مندوبون عن الدول الاعضاء في الجامعة ومراقبون

من المملكة الاردنية الهاشمية

★ يعكف الاستاذ زهير شقير في الوقت الحاضر على وضع كتاب في يزود به المكتبة العربية ، يتناول فيه تاريخ النهضة الفنية الحديثة واعلامها في العالم العربي . ومما يجدر ذكره هنا ان هذا الكتاب في مادته هو الاول من نوعه .

★ القى الاستاذ نقولا زياده محاضرة قيمة حول (تبسيط قواعد اللغة العربية) وذلك في قاعة المنتدى العربي بعمان .

★ تدور اتصالات بين وزارة المعارف ووكالة الغوث الدولية حول مسائل التعليم المهني لابناء اللاجئين وايجاد المدارس الصناعية الكافية لاستيعابهم .

★ تلقت الغرفة التجارية العربية بالقدس كتاباً من رئيس طلبة الجامعات الالمانية في مدينة بوبندن يقترح فيه اقامة علاقات علمية وثقافية بين الطلبة الاردنيين والألمان .

كما يقترح ايفاد ثلاثين طالباً المانياً الى القدس خلال الصيف القادم لكي يتصلوا بالطلبة الاردنيين ويقفوا على آخر التطورات الثقافية والعلمية في البلاد وسيمكثون في المدينة عدة ايام .

★ اسندت « ندوة الفن الاردنية » التي تأسست في عمان رئاستها الفخرية الى الاستاذ محمد اديب العامري وكيل وزارة المعارف . وقد انتخبت لجنة ادارية قوامها ثلاثة اعضاء من الندوة هم الآنسة فاليريا شعبان والسيدان محمد رفيق اللحام واحسان الادلبي الى جانب الاستاذ كامل عوده مدير معهد النهضة العلمي بعمان .

★ تشكلت لجنة لابتياع اجزاء التوراة الاثرية التي عثر عليها في منطقة البحر الميت وقد رصدت الحكومة الاردنية مبلغ ١٤ الف دينار اردني لشراء هذه الاجزاء التي ستحفظ في دار المتحف بالقدس .

عمان محمد رفيق اللحام

النشاط الثقافي في العالم العربي

ومستعمون عن بقية البلاد العربية .

ولعل اهم ما عالجته اللجان في الحلقة من موضوعات هو تحويل مشاريع التكافل والنظر في احكام الزكاة وفي احكام نفقة الاقارب على انها من افضل السبل وأغناها في هذا التحويل .

وليس في وسعنا ان نعرض هنا لكل ما قيل في ذلك أو نلخصه ، ولكن حسبنا ان نشير الى ان البحث في هذين الموضوعين قاد الى سلسلة من التوصيات من المؤكد انها فتحت باب الاجتهاد في الفقه الاسلامي واستثمرت المذاهب الاسلامية كلها في سبيل غايتها .

وكان هنالك في هذا تياران : تيار يريد ان يقتصر على المذاهب الاربعة وتيار يريد ان يأخذ من كل المذاهب الاسلامية الاخرى ما يرى ضرورة الأخذ به ... ومن وراء ذلك تيار ثالث يريد ان يجاوز هذا كله الى مايرى ان المصلحة الحاضرة تحتمه او تقتضيه .

واستمعت دمشق الى سلسلة من المحاضرات العامة التي دعت اليها الحلقة في موضوع التكافل وكان من ابرزها محاضرة الاستاذ سيد قطب والدكتور قسطنطين زريق والدكتور احمد السمان كل في ناحية من الموضوع : في التربية الروحية والتربية الاجتماعية والحياة الاقتصادية .

٥. الخالدون – المجمع العلمي العربي

اعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق قسمان : اعضاء عاملون وهم الاعضاء الذين يقيمون بدمشق وعددهم عشرون – واعضاء مراسلون وهم الاعضاء الذين ينتشرون في البلاد العربية والاجنبية الاخرى .

والاعضاء العاملون اليوم في المجمع – بعد وفاة الاساتذة المرحومين محسن الأمين ومعروف الأرناؤوط والدكتور جميل الخاني – سبعة عشر عضواً ، ولذلك اعلن المجمع عن الترشيح لعضويته .

والمرشحون للعضوية الآن بعد انتهاء الموعد هم ، تبعاً لورود طلباتهم ، الاساتذة : ميخائيل الله ويردي، خير الدين الأسدي ، صلاح الدين الكواكبي الياس بولس الخوري ، علي الطنطاوي ، طه المدور ، سامي الدهان ، عبد الغني الدقر ، مصطفى احمد الزرقا ، انور العطار ، عدنان الخطيب ، سعيد الافغاني ، مظهر العظمة ، حكمت هاشم .

وأمام المجمع هذه المهمة الشاقة : ان يتمكن من الوقوع على العناصر الطيبة والفاضلة ، العالمة والخيرة ، الواسعة الافق والعميقة النتاج ، ليضمها الى هذا الصرح العتيد الذي ظل في حياة سورية العلمية والادبية وجهها الذي تعرف به، والذي كان دائماً كالمنار اللامع ، ووراء خفقاته العميقة الدائبة يبدو عالم كبير ... تبدو المدينة الفاضلة التي تدأب على العمل ولكنها لا تدل على عملها بالاصوات المرتفعة والاضواء الملونة والاشكال المغرية ، وانما يدرك عملها ويحس اثرها أؤلئك الذين يجدون في انوارها الهداية وفي حماها أمن العلم والمعرفة .

وشرط العضوية ،كما ينص على ذلك نظام المجمع ، ان يتوفر في المرشح احدى اربع :

أ – اطلاع واسع وعميق في علوم اللغة العربية والاشتهار بالبحث والتدريس او التأليف فيها .

ب – التضلع بآداب اللغة العربية والاجادة في احدى صناعتي النظم او النثر .

ج – اختصاص باحد العلوم العصرية واتقان لغة او اكثر من اللغات الاجنبية القديمة او الحديثة واطلاع حسن على قواعد اللغة العربية وعلى مفرداتها المتعلقة في ذلك العلم .

د – اختصاص او تأليف ، إما في تاريخ العرب والمسلمين وإما في آثارهم واما في تراثهم العلمي والادبي مع تمكن من علوم اللغة العربية .

٦. المعارض

١ – في جناح المعارض في متحف دمشق عرضت اليونسكو ، بالاتفاق مع وزارة المعارف، الرسوم والدراسات الفنية للفنان الايطالي الكبير ليوناردو دافنشي. وكانت المعروضات صوراً عن لوحات الفنان أو عن دراساته لأوضاع الاشخاص أو الاشياء التي كان يعدها للوحاته الكبيرة . وحين نذكر مكانة دافنشي كفنان، وكعالم استطاع أن يسخر علمه لفنه ، نستطيع ان ندرك أثر هذا المعرض في المثقفين عامة وعند المعنيين بالتصوير بوجه خاص.

٢ – ووراء معرض دافنشي كان معرض جديد لفنان آخر من الشرق هو الاستاذ علي اشراقي .

واشراقي فنان عميق النظرة، دقيق الصنعة ، شديد التأثر بكل ما حوله: ما حوله في البيئة الماثلة من حاضره، والبيئة المتخلفة من ماضيه، والبيئة المتطلعة من مستقبله... ومعرضه آية رائعة على هذا الازدواج العجيب الذي يمر به الفنانون المرهفون حين لا يملكون الا الاستجابة لكل ما حولهم من آثار واشياء .

واللوحات المعروضة موزعة الى قسمين رئيسيين : قسم يضم لوحاته التي يستمدها من بيئته، وقسم آخر يضم لوحاته المينياتورية وهي لوحات يستوحيها من رباعيات عمر الخيام فيقيم اللوحة على فكرة رباعية من هذه الرباعيات التي تدور على اهتبال الحياة والعب من الملذات .

واستغرقت اللوحات جناحين من المعرض، وتنقلك في الجناح الاول بين مشاهد الحياة الريفية والحياة العائلية في ايران... بين الباعة في المدن والنساء والفلاحين في القرى ، والمشاهد في الاكواخ والحقول ، ومجالس الشراب والطرب في الامسيات... وبين مشاهد الحياة المدنية الحديثة في ايران، في ابنيتها ودارتها، في مدارسها ومعاملها، في قبعاتها وأزيائها... ولشد ما يتقاذفك هذا التباين البعيد، وتتهاداك هذه الفواصل المغرقة قبل ان تستقبل اللوحات الاخرى التي اصطلحت عليها رباعيات عمر ومينياتور اشراقي .

مصر

احتجاب «الثقافة» و «الرسالة»

رحبت «الآداب» في عددها السابق بالعهد الجديد الذي استقبلته الصحافة الأدبية في مصر، وبتجدد الزميلتين الكبيرتين «الثقافة» و «الرسالة» . ولكن لم يمض على هذا الترحيب اسبوع او اسبوعان حتى احتجبت «الثقافة» بعد ان أصدرت خمسة اعداد حافلة بالأدب النابض بالحياة والابداع... وقد قرأنا، و«الآداب» على الطابع، ما كتبه الزميل الكبير احمد حسن الزيات في «الاهرام» و«الرسالة» معلناً احتجاب «الرسالة» بسبب المحنة المادية التي تعانيها منذ سنوات والتي لا تستطيع ان تتحملها بعد . وقد رد صاحب «الرسالة» سبب خذلان مجلته ومجلة «الثقافة» الى الحكومة المصرية والى وزارة المعارف بوجه خاص، لعدم تشجيعها المجلتين. ويؤلم «الآداب» ان يخلو الميدان الادبي من هاتين المجلتين الكبيرتين اللتين ما فتئتا تغذيان الأدب منذ عشرين عاماً تقريباً بغذاء طيب، ونأمل ان يتنبه المسؤولون في مصر الى ان في هذه الظاهرة نذير شؤم على الأدب اطلاقاً في وادي النيل، وكلنا رجاء في ان يتداركوا هاتين المجلتين لتتما الرسالة التي حملتاها.

قرأتُ العددَ الماضيَ من «الآداب»

بقلم

نازك الملائكة

لن تكون كلمتي هذه مقالاً في نقد الشعر في عدد شباط بمقدار ما ستكون محاولة للتذوق والتقييم وايضاح الملامح العامة. وانما أسميها محاولة لأن بعض هذه القصائد تستأهل عناية اكبر، بما تقدمه للناقد من فرص مكتنزة لتحديد جانب من الاتجاهات العامة لشعرنا المعاصر، وللتحذير من بعض الزوايا الخطرة والمزالق الخفية فيه. والنقد ان لم يهدف الى هذه الغاية الواسعة كان تفاصيل عابرة لا قيمة كبيرة لها.

رغبت «الآداب» الى الأديبة العراقية المعروفة الآنسة «نازك الملائكة» ان تتولى نقد العدد الماضي من «الآداب». فتلقت مع المقال النقدي رسالة تقول فيها الكاتبة الفاضلة:

« عندما قرأت مقال الاستاذ رئيف خوري في نقد العدد الاول من «الآداب» ووجدته اكتفى بنقد النثر دون اشارة واحدة الى الشعر، انتابتني «العصبية الشعرية» فآليت ان أملأ ثلاث صفحات كاملة بنقد القصائد دون اشارة واحدة الى المقالات... وقد فعلت ولا أظن في ذلك إجحافاً، فيوم علينا ويوم لنا...»

الطبيب المستبد: صلاح لبكي

قصيدة نجوى، كلاسيكية في روحها وألفاظها وبنائها، وان كان الشاعر حاول استغلال القوى الكامنة في بعض الألفاظ على اسلوب يقرب من الرمزية. وخير دليل على كلاسيكيتها الألفاظ (صدّ) و (وصل) و (فدتك روحي) والطباق بين (أخفى وأبدى) واستعمال المصدر المؤكد – على تجوّز – في (توعد منك وعدا) و (العاقدات عليك عقدا). ويمكن ايضاً ان نلمح الكلاسيكية في استعمال القافية المنصوبة * فنحن اليوم نجنح في شعرنا الى القوافي الساكنة والمجرورة إجمالاً، ولعل القافية الموحدة نفسها مظهر ملازم للكلاسيكية المعاصرة الى حد ما.

والحقيقة ان الشعر اللبناني رغم التجديد الكبير الذي غذّى به الشعر الحديث، يحافظ في جوهره على الأصول القديمة بقوافيه الموحدة واتجاهه الذهني الذي يقتصد في الانفعال، ويفصل اللفظ على قدر المعنى حتى تجيء القصائد مركزة قصيرة جهورية في الغالب وكل هذا ملموس في قصيدة الأستاذ صلاح لبكي.

وإحدى الملامح البارزة للكلاسيكية الجديدة في هذه القصيدة، ان بناءها (مسطّح) ذو بعدين، فهي لا تشتمل على عقدة تنمو حتى تبلغ ذروة شعورية ثم تتلاشى، وانما تتوزع فيها القوى توزعاً مستوياً، حتى يمكن ان نقدم بيتاً على بيت دون ان نشوّه القصيدة، وهذا مظهر في شعر المدرسة اللبنانية نجد اصوله في الشعر العربي القديم كله. وعنوان القصيدة لو فحصناه يؤيد هذا الحكم، فهو لا يتعلق بموضوع القصيدة وانما التقط من البيت الثاني:

فلأنت طيبٌ في دمي يجري ويعبق مستبدا

وهو بهذا يصبح مجرد (اسم) لا عنواناً لأنّ وظيفة العنوان ان يحدّد الموضوع ويلخصه ويدل عليه، لا أن يكون كلفظ (الكامل) الذي سمّى به المبرّد العزيز كتابه. ونزعة اطلاق (الاسماء) لا (العناوين) على الكتب والقصائد تسيطر على آدابنا القديمة كلها

وفي القصيدة معايب طفيفة فالبيت:

وطمعت بالأدنى اليك فننتهي طيباً وورداً

غير مفهوم، وعطف المضارع على الماضي ليس حسن الوقع. وفي البيت الأخير وددت لو استبدلت (ولو) بـ (وإن).

فتور: سليم حيدر

تقوم هذه القصيدة على ما يسمّى بالانكليزية (Pathetic fallacy) فالشاعر قد اضفى فتوره وضجره على الطبيعة فاذا الغيوم حاقدة والحرّ عطشان والطيور كسلى. وهي تحمل جواً مكتملاً يذكرّنا ببعض أجواء بول فرلين، وهذا لون نادر في شعرنا القديم وهو من الملامح الحديثة. وقد لفّ القصيدة ضباب مبهم جميل وددت لو لم يبدّده الشاعر بأبياته الثلاثة الأخيرة.

فكلمة (حبيبي) قد فكّت السحر، وبعثرت قوس قزح، وجعلت القارىء يفيق ويصطدم فاذا الحالة الغامضة كلها نداء حبّ، وقد كانت بابهامها الأول تحمل امكانيات أعمق.

وأما لغة القصيدة ففيها نماذج للألفاظ الميّتة التي فقدت بكثرة الاستعمال ايحاءها وخصوبتها، واصبحت مثقلة باقترانات غير مستحسنة، واظنها في القصيدة خمس كلمات. (عروس)

و (الاوام) و (تبرج) و (خدرها) و (السقام) . وليس في قوانين اللغة ما يبيح لنا رفض هذه الالفاظ ، وانما نرتكز الى قانون حياة اللغة والعناصر الاجتماعية فيها .

حواء الجديدة : توفيق عواد

أول ما يلاحظه القارىء في هذه القصيدة ملامح صوفية واضحة تشيع فيها منذ المطلع . والابهام ملازم للصوفيّة ، ولكثير من العمق والجمال (ولكن ليس كل مبهم جميلاً فالوقوع في هذا الخطأ يوشك ان يقضي على بعض شعرائنا) . يتحدث الاستاذ توفيق عواد عن (بعض سرّ) و (طعم الحلو) و(معنى السكر) وعن حالة هي (أدنى ما تكون المنى بعداً) وعن شوق لا يرتوي الا ليتجدد وكأنه ينفذ بالحسيّة الى ما وراءها .

وتقوم فكرة المقطع الثالث على تلك النظرية الغريبة الجمال التي تفترض ان الزمن يسير في دائرة ويتكرر ، وهي فكرة قديمة ، وقد استند اليها ج . ب . بريستلي في مسرحيته (I Have Been Here Before) . يقول الشاعر :

في أي دنيا قبل هذي التقت أعيننا ؟ في أي وادي سحيق
فأنت وجه لجّ بي طيفه من أزل ورجعُ صوت شقيق

اما وصف (صوت) بانه (شقيق) — بمعنى أخ لا بمعنى مشقوق — فهي من قبيل قول الاستاذ نزار قباني (يدٌ غدير فضة) و (أصبعين جدولي مياه) و « صدراً غلام » و « شوقة نبيّ » وفي شعر الاستاذ صلاح الاسير «غدٌ مخمل» . وهذه حالات تلفت النظر فالاسماء فيها توصف باسماء مماثلة تتبعها في الاعراب . وربما لم يكن في هذا بأس ، على انه خروج جريء على قواعد النحو .

لغة القصيدة تشبه لغة المدرسة اللبنانية وفيها ايضاً سمات قديمة تبدو في « وربَّ عمرٍ لي » و « الكاسي » بمعنى المكسوّ على سبيل المجاز . وحبذا لو تجنب شعراؤنا هذه الاساليب البلاغية التي تدخل على قواعد القياس الصرفيّ شواذّ غير مأمونة ، فلعلّ من مصلحة اللغة ان يجري فيها القياس دون شذوذ كثير . فالشعر مثلاً يستند الى الحياة التي تكتسبها الالفاظ بالاستعمال اليوميّ والاقتران النفسيّ . والاسلوب البلاغيّ الذي لم يعد مستعملاً يشبه الكلمات القاموسية الميّتة في انه لا يمتلك هذه الذخيرة من الحياة .

وقد وردت ياء المتكلم مشدّدة على غير وجه في هذا البيت :

أهيم والدنيا ازدحام المنى فينثني بيَّ إليها الطريق

فالتشديد حتى اذا كان وارداً في لهجة دارسة ، يخضع في الشعر لقانون الاستعمال ويسيء الى القصيدة .

الكون المسحور : فدوى طوقان

يدرك قارىء هذه القصيدة حالاً انها تنتمي في ملامحها العامّة الى مدرسة اخرى غير اللبنانية ، فالعاطفيّة العراقيّة تجبهه ، وهو لا يجد أثراً للمعاني الذهنية ، ولا لمبدأ الاقتصاد في الطاقة والالفاظ الذي لمسناه في الكلاسيكية الجديدة — ان صحت تسميتي هذه — وهناك عناية ملموسة بالصور وان تكن الشاعرة لم تنجح كثيراً في قصيدتها هذه ، ولعلها ليست من خير شعرها .

لفت نظري قبل كل شيء ان مطلع القصيدة مكسور الوزن :

عيناي مغمّضتان ترفّ باعماقهما روحي وترى

ففي هذا البيت زيادة تفعيلية لا سبيل الى مداواتها الا باستبدال كلمة « باعماقها » باخرى اقصر منها مثل « وراءهما » . على ان الظاهرة الكبرى في هذه القصيدة هي ان الآنسة فدوى تنقلت فيها من وزن الى وزن ، ومن اسلوب الى اسلوب ، ومن موضوع الى موضوع حتى بات التنقل اكثر دلالة من القصيدة .

ففي حقل الوزن يفاجأ القارىء بانتقالة فجائية لا يقتضيها داعٍ فنيّ من وزن « المتدارك » الى وزن « الرَمَل » وهما بحران . بينهما برزخ لا يبغيان . فاين « فعلن » من « فاعلاتن » ؟ كل ما أرجوه ألاّ نكون في صدد دعوة الى تنويع الاوزان في داخل القصيدة الواحدة ، فالوزن جزء هام من وحدة القصيدة . ثم ان « المتدارك » و « الرمل » لا يمكن ان يجتمعا دون ان يخدشا السمع . على ان افتراضنا ان يكون الانتقال من وزن الى وزن دعوة قصدتها الشاعرة لا يعفينا من نقد القصيدة في حدود هذا الفرض . فهي لم تحاول تركيب الوزنين في مقطوعات على اسلوب يجعلهما يتناوبان لتتماسك القصيدة ، وانما تركتهما منفصلين فكان القسم الاول كله من « المتدارك » والقسم الاخير كله من « الرمل » وهذا شيء لا مثيل له جعل القصيدة قصيدتين منفصلتين .

وفي حقل الاسلوب نجد الشاعرة تبدأ القصيدة بالسرد تحكي به عن نفسها ، وما تفتأ حتى تدير حواراً مفاجئاً يحزر القارىء انه لا بد ان يكون بينها وبين رفيقها . وفي ختام القصيدة تعود الى السرد لتخبر القارىء ان زورقها غرق في « عينيه » . وهذا التنقل من السرد الى الحوار الى السرد يبدو بلا غاية . فأين التجربة العميقة التي تبيح استعمال الحوار هنا ؟ وما العقدة في هذه القصيدة ؟ لا بل علام الضجة كلها ؟

وقد سمّت قصيدتها (الكون المسحور) فاوحت الينا باننا في صدد قصيدة موضوعية تتغنى فيها بجمال الطبيعة وهـذا ما اكده القسم الاول . الا اننا سرعان ما نكتشف ان القصيدة ذاتية تتحدث عن الآنسة فدوى وعواطفها لا عن الكون المسحور . ويجري القسم الاول في جو تصوريّ حالم اساءت اليه أضواء القمر التي جعلتها الشاعرة (تتغامز) . وينهـار الكون المسحور وتنساه الشاعرة عندما يلتوي طريق القصيدة فيعرج بالقارىء الى مشهد حب في زورق . وقد وصفت فيه الشاعرة جمالاً خشناً لا علاقة له بالجمال العقلي Intellectual Beauty الذي نجده في بعض قصائدها الأخرى التي نحبها . ويلاحظ ان عنصر المجهول في القصيدة كان رمزاً للخطايا لا للفتنة والعمق كما هو في قصيدة الشهرزوري التي سنصل الى الحديث عنها .

ومما اودّ التنبيه اليه ان التكرار قد جاء في القصيدة بلا غرض واما جمع دنيا على « دنياوات » فهو مخالفة للقياس ، واما « وترى » فلعلها تقصد بها « موتورة » . واما الجمع بين « يدي » و « وحدي » في القافية فلا بد ان يكون سهواً من الشاعرة . ومعذرة للأخت على اننا تشددنا في نقدها فليس ذنبنا إلا انهـا عوّدتنا شعراً خيراً من هذا وادلّ على شخصيتها .

شيزرانا واولكاد : خالد الشوّاف

قصيدة غنائية صور الشاعر فيها قصة غرام آشورية وقعت في عهد الملك «سنحاريب» بين اميرة وراع فتيّ . ونلمس مظاهر الغنائية في ما يمكن ان نسميه سكر الشاعر بلفظة « شيزرانا » التي رددها كثيراً . وفي القافية النونية الممدودة الى اقصاها وهي تضفي نغماً مستمراً ، ثم ان بحر الرمل بطبعه متدفق ، وهناك بعد ذلك العواطف الحارّة المنغومة التي عرضها الشاعر مجردة من الصورة ، فالقصيدة عارية باستثناء لمحة في هذا البيت :

نادت الشرفة ... ألكاد وذي دوحة القصر تنادي ... شيزرانا

وقد اختار الشاعر لعرض القصة اسلوب النجوى ، فهو لا يسرد الحوادث سرداً ، وانما يصوغها في مفاجأة يوجهها حيناً الى شيزرانا وحيناً الى اولكاد وحيناً الى الليل . وربما كان في آشورية القصة مبرر لغلبة العنصر الغنائي على سردهـا فالشاعر يقصد اضفاء غلالة من الخيـال والموسيقى على قصة وقعت في عصور منطمسة في شمال العراق . ثم انه فيما يلوح يعوضّ عن فقدانه للذاتية الشائعة في الشعر المعاصر بالاغراق في الغنائيـة « ولنلاحظ ان هذه القصيدة هي الوحيدة في العدد التي لم تدر حول عواطف صاحبها)

ولم تخلُ القصيدة من التعابير « الجاهزة » مثـل « الحرب العوان » و « خاض المعمعان » و« جلّ شانا » وهي تعابير فقدت لونها وتأثيرها حتى لم تعد مفيدة . على ان ورودها في القافية يدل على ان الشاعر لجأ اليها مضطراً .

نار ليلى : الشهرزوري

اعتدنا ان نقصر النقد على الشعر المعاصر ونعفي منـه الشعر القديم . ولعل هذا يخفي ظناً ضمنياً منا بان النقـد في جوهره يفترض سموّ الناقد على المنقود ، ومن ثم فهو يتعارض مـع التقديس الذي نكنّه لآدابنا القديمة . غـير أن التقديس لو فحصناه يسيء الى شعرنا القديم إساءة كبيرة ، فنحن حين نجبر أذواقنا على ألا ترى عيوبه ، نجبرها ايضاً على ألا ترى جمـاله .

على ان من حسن الحظ ان قصيدة الشهرزوري تستطيع ان تصمد حتى لأحكام الملحدين بالأدب القديم ، فهي مكتملة البناء ، زاخرة بالمعاني والصور والرموز والانفعالات حتى تكاد لا تشبه الشعر العربي القديم . وحسبنا ان نقول انهـا كانت الوحيدة بين القصائد المنشورة في عـدد شباط ، التي قدمت هيكلا شعرياً نامياً يبلغ الذروة ثم يتلاشى شيئاً فشيئاً ، وهو أمر يجعل من المتعذر ان نسلّ منها ابياتاً لنوصفها حيث شئنا . فالقصائد الخمس المعاصرة كانت كلها « مسطحة » ولا يصح ان نستثني منها « شيزرانا وأولكاد » ، لأنّ هذه قدّمت للشاعر إمكانيات غنية لخلق هيكل جيّد ، فلم يستغلها وانما لاذ بالغنائية وبالقياس الى خصوبة الموضوع تبقى القصيدة من وجهة هيكلها دون قصيدة الشهرزوري .

نحن في هذه القصيدة الصوفية البديعة إزاء مكان غريب مطلسم تملأه آثار كلما دنا منها الرائي احتجبت ، وطلولٌ تحول دونها الزفرات ، وديار يسكنها جرحى وقتلى وأسرى ، ومنازل ينزلها الضيف فلا يرحل عنها الى الابد . وهنالك تلك الخمرة التي تصرع قبل ان تذاق ، والوجوه الممحوة ، والانفاس الميتة الحية ، والرياض التي لا يصل اليها الساري . وخلال هذا يتردد في المكان المسحور حوار هامس لذيذ . وما الخاتمة ؟ أمواج وسيول تعرق كل شيء ، فيظلم المشهد ، ويسود السكوت وتنتهي القصيدة في لغز صامت كما بدأت .

بغداد نازك الملائكة





بقلم الدكتور عبد السلام العجيلي

« قال الخضر لصاحبه : هذا ملك الموت قادم الينا . فاستولى على صاحبه الفزع وقال له : يا نبي الله اني خائف . أدع ربك ان ينقلني الساعة الى الهند .
فدعا الخضر ربه ،فأرسل الله ملكاً حمل صاحب الخضر الى الهند في ساعته .
وتقدم ملك الموت وعلى ملامحه الدهشة الى الخضر ؛ فقال له الخضر: ماذا يدهشك؟
قال ملك الموت : يدهشني اني رأيت صاحبك هنا ؛ وفي لوح الأزل مكتوب اني اقبض روحه اليوم في الهند » .
« قصص الانبياء »

عثر عارف على المفكرة العتيقة في اسفل صندوق مملوء خليطاً من اوراق الصحف البالية والكتب المدرسية التي لم تعد تدرّس في المناهج ووصولات الضرائب التي دفعها المرحوم ابوه عن ممتلكاته في المدينة والقرية . ولعل هذه ليست اول مرة تعثر فيها يد عارف بالمفكرة العتيقة وهو يبحث في ذلك الصندوق . الا انه في هذه المرة لم يلقها في قعره في لا مبالاة كما هي عادته بل سوّلت له نفسه التطلع فيها ، فوضعها جانباً ثم عاد اليها بعد ما فرغ من البحث عن طلبته بين اكداس الورق. وخيّل الى عارف وهو يأخذ المفكرة بيده ويتطلع الى غلافها الفضي ويقرأ اسمها المحفور عليها والذي تلمع عليه نثرات من غبار ذهبي كان مكتوباً به ذلك الاسم ، خيّل اليه انه يرجع مع هذه المفكرة ثمانية عشر عاماً مضت قبل اليوم ، الى عام ١٩٢٧ ، وهو العام المرقوم على غلافها الحائل اللون . اين كان في عام ١٩٢٧ ، وكيف كان ؟! وانطلقت من صدره دون ان يريدها ، زفرة خافتة لم يلبث ان ابتسم لها حين فطن الى نفسه . ثم اخذ في هدوء حالم يتصفح المفكرة ويقرأ ما خطت يده في اوراقها . قرأ برنامج الدروس الاسبوعية لعامه الدراسي ذاك . وقرأ الحاجات التي كان يكتبها في يومها ، كلّ مرة يقصد فيها بلدته . أو قرية اهله في عطلة او عيد . وقرأ اسماء الافلام التي كان يحضرها في دور السينما مثبتة باسماء ممثليها وتعليقاته عليها في القصة والاخراج والتمثيل . كل ما كان يملأ دنياه الصغيرة حينذاك كان مذكوراً في صفحات تلك المفكرة . ولما وصل في تقليبه الى يوم الخميس الخامس من ايار ، وجد انه قد كتب في صفحة ذلك اليوم جملة واحدة :

سأموت في عام ١٩٤٥ ، إن شاء الله !

وجمدت نظرة عارف على هذه الجملة الغريبة كأن لم يجل في خاطره انه كتبها بخطه في يوم من الايام . ثم انطلقت من فمه ضحكة وهو يذكر عالم الأخيلة والرؤى الغامضة الذي كان يعيش فيه ، بأفكاره منذ ثمانية عشر عاماً ، ايام كان فتى مراهقاً يتلقى دروسه الثانوية . ولم يلبث ان أحس من نفسه انه سئم تقليب صفحات تلك المفكرة القديمة، فأطبقها ثم القاها في الصندوق العتيق فوق اكداس الورق البالي والكتب المدرسية ووصولات الضرائب .

وكانت الساعة الحادية عشرة مساء حين انثنى عارف الى فراشه يتهيأ للنوم بعد ان اغلق الصندوق العتيق وأعاده الى مكانه من زاوية الغرفة. ولما تقدم ليطفىء النور بفمه ، وهو نور مصباح بترولي ، وقعت عينه على الروزنامة المعلقة على الحائط فقرأ فيها تاريخ اليوم الذي هو فيه والذي يكاد ينقضي : ٣٠ كانون

الاول ١٩٤٥ . وجمد امام المصباح فلم يطفئه . وخيل اليه ان الرقم ١٩٤٥ اصبح في هذه اللحظة ذا معنى يختلف عنه في كل اللحظات من كل الايام السالفة حين كان يراه في كل صباح ومساء مكتوباً على صفحات هذه الروزنامة : « ١٩٤٥ » !... ومن غير ان يدير رأسه الى حيث كان الصندوق العتيق ، احس انه يرى المفكرة البالية في ذلك الصندوق ، وانه يقرأ ما خطته يده منذ ثمانية عشر عاماً في صفحة الخامس من ايار :

سأموت في عام ١٩٤٥ ، إن شاء الله !

— ١٩٤٥ ... ١٩٤٥ ... — هذا العام هو ١٩٤٥ !

هكذا قال عارف لنفسه ، غير انه هز رأسه بعنف كأنه أخجله من ذاته ان تتعلق افكاره بهذه الكلمة التي تخلفت من ترهات صباه . ونفخ على المصباح بفمه فساد الظلام الغرفة ، واندس في فراشه .

اندس عارف في فراشه ولكنه لم ينم . ولم يكن من عادته ان ينام سريعاً اذا ما اندس في فراشه بل لا بد له في كل ليلة من جولة واسعة تجولها افكاره قبل ان تتعب، مثلما تعب جسمه من جولات النهار ، فتسلمه إلى النوم . ولم يكن عارف يضيق بهذه الجولة المحتومة عليه ، بل لعله كان يهفو اليها ويعدّها من اطيب ما يمر عليه. ففيها كان يجتر لذائذ يومه الفائت ويتهيأ لأعمال غده المقبل ، ويمسح بالاعذار على الجروح التي خلّفتها المنغصات في نفسه ويُتم بالأحلام ما عجز الواقع عن اتمامه من رغباته. وكان يحس بشوق ، كشوق مدمن الخمرة اليها ، الى الخدر اللذيذ الذي يتملكه كلما عبرت نفسه البرزخ الذي يصل اليقظة بالنوم . ففي هذا المجاز الضيق كان عارف يشعر بأن احلامه اضحت حقائق وان الحقائق صارت في نفسه احلاماً . فكان يأخذ لنفسه من هذه الحقائق ، او من هذه الاحلام ، ما يريد، ويدع منها ما لا يريد . وقلّ ان عمرت في حياته فكرة منغصة الى ابعد من هذا البرزخ . عنده كان يتلاشى كل لون قاتم في الضباب البنفسجي لأحلام ما قبل النوم ؛ وبعده كانت تنطلق روحه حرة من كل قيد،صافية من كل شائبة في ملكوت الرقاد العريض .

وفي هذه الليلة، في الساعة الحادية عشرة من هذه الليلة، كان عارف وهو يندس في فراشه يتهيأ لجولة افكاره المعهودة .فتمطى في ضجعته اولاً ثم أحكم وضع الغطاء على جسمه وقلّب رأسه على الوسادة ذات اليمين وذات الشمال . ولما اغمض عينيه ليرى من اين تبدأ افكاره جولتها احسّ بأن رقماً مؤلفاً من اعداد اربعة يشب امام عينيه المغمضتين : ١٩٤٥ ! انه الرقم الذي رآه على الروزنامة قبل ان يطفىء النور ، وهو الرقم نفسه الذي كتبه في المفكرة قبل ثمانية عشر عاماً !... وأحسّ بأن هذا الرقم البغيض يريد ان يفسد عليه ليلته . اي جنون اعتراه في ذلك اليوم من ايام ايار ١٩٢٧ لكي يسجل هذه السخافة في مفكرته ؟ اهي سخافة ام نبوءة ؟ وأحس عارف بأن يداً باردة تمتد من الماضي البعيد الى قلبه فتعصره . وأحس كذلك ان افكاره لم تعد تطاوعه في التطواف بالعوالم البهيجة التي كانت تطوف بها كل ليلة ، بل انها اخذت تلازم هذا الرقم المشؤوم ، ١٩٤٥ ، وهذه الجملة الكئيبة في تلك الصفحة من صفحات مفكرته العتيقة .

انه كان منذ ثمانية عشر عاماً فتى نحيلاً، خاوي الجسم،قليل الثقة بنفسه، يخفي رأسه في الصف وراء رفاقه حذراً من ان تقع عين المعلم عليه فيفطن الى وجوده . كان فاشلاً في العلوم فكان يهرب منها الى القصص ، وإلى ما غمض وامتلأ بالرموز من القصص . كم خلبت لبه حكايات الجن واستأثرت بأوقاته كتب السحر وشعوذات الدراويش . لم يكن من الغريب في تلك الايام ان تجري يده على الورق بجملة مثل هذه الجملة يوهم نفسه فيها انه ينفذ الى ما وراء حجب الغيب او يتكلم باسم القدر ، ما أتفهها من فكرة وما كان اسخفه صبياً في ذلك الحين !. ولكنه كان في انطوائه على ذاته كثير الدراسة لبدواتها كثير الولوع بالتعمق في معرفتها . كان صارماً في معاملته لنفسه ، يروضها على تحمل المشاق ويحملها على التقشف ، يريد ان يطهرها من ادران لم تلحقها بعد . كان لدن العود ولكنه كان ماضي العزيمة. أتراه ينسى كيف كان يتحدث الناس بطيب غرسه وبالأمل المعقود عليه ، بل وبالنور المتلألىء في وجهه ؟ ام تراه ينسى كيف كان هو نفسه يحس بصفاء روحه حتى ليخيل اليه ان له نظرة ترى مالا يُرى ؟ لعل يده لم تجر على ورقة المفكرة بهذه الجملة يومذاك بل هي يد القدر التي خطتها باصابعه ! ان نفسه اليوم أمست مظلمة وروحه أثقلتها اطماع الدنيا الزائلة وادران الشهوات ؛ فلا عجب ان سخرت من بدوات ذلك الصبي النقي القلب وعدت نبوءاته ترهات.

سأموت عام ١٩٤٥ ، ان شاء الله !

وانتفض عارف اذ احس بان فراشه قد غار به فجأة. ولكنه

فتح عينيه فألفى الظلام يسود الغرفة بينما كانت افكاره لا تهدأ في رأسه دائرة حول هذه الجملة التي قرأها في المفكرة . شعر بأن يداً لزجة للرعب تتسلل بين ضلوعه وتتلمس فؤاده . فأغمض عينيه وهو يطمئن نفسه بان النبوءة ، اذا كانت نبوءة كاذبة ، فان عام ١٩٤٥ يلفظ انفاسه الاخيرة بينما هو ، عارف ، يتمتع بالشباب الفياض والصحة الوافرة والحياة المترعة نجاحاً . الا ان نسمة من افكاره هبت عليه حاملة ورقة الروزنامة التي رآها عندما أطفأ النور قبل دقائق ! وكان مكتوباً عليها ٣٠ كانون الاول ١٩٤٥ . لا يزال إذن من عمر هذا العام يوم وليلة يتسعان لكل حادث . فشعر حينئذ بان اليد اللزجة تعلق فؤاده بين اناملها . وداخله في هذه اللحظة الرعب، الرعب الصحيح.

خيل اليه انه لم يقرأ في المفكرة العتيقة انابيش صبي في احدى مراحل دراسته ولا نبوءة فتى ملأت عقله التهاويل الصوفية، بل حكماً مبرماً النجاة من قضائه برق خلب او امل يكاد يكون سراباً . وبعد ان كان يحاور نفسه في قيمة هذا الحكم من الوجود اخذ يبحث عن سبيل التفلت منه. أترى القدر قد أحكم الحلقة حوله ام ترك له منها مجالاً للهرب ؟

وما كاد عارف يدري، وقد بلغت به افكاره هذا المبلغ، أهو في يقظة ام في حلم ؟ لقد حمد ربه ان فاجأته الايام الاخيرة من عام ١٩٤٥ وهو في هذه البلدة الصغيرة . لو كان في المدينة لما أمن ان يتوسل القدر الى حياته بسيارة هادرة او تيار صاعق او ضربة طائشة . اما في هذه البلدة حيث الناس هادئون والحياة تسيل في مساربها برفق فمن اين يتسلل الموت الى عمره ؟ أتراه إذا لزم بيته هذا اليوم وتلك الليلة قادراً على النجاة من ربقة النبوءة ؟ ام تراها ستلحقه متوسلة اليه بتهديد ابي سليمان، خصمه في الارض التي تجاور ارضه ، له ؛ او بغيرة آل سعدى حين يبلغهم امره معها ؛ او بنوبة مفاجئة من نوبات الزائدة التي طالما حذره منها طبيب البلدة الصغيرة الدكتور شمس الدين ؟ إن هذه هي نقاط الضعف الثلاث التي بقيت للقدر في حياة عارف . . . ماذا لو سعى منذ الغد لأن يقطع الطريق على القدر فيها ؟

وانحدر عارف بهذا العزم الى وهدة النوم انحداراً .

قصة ابي سليمان

ان الخلاف الذي كان بيني وبين عارف، رحمه الله، لم يكن أهلاً لأن أحمل له ضغينة في قلبي او ان يملأ صدره غيظاً مني، ولكن قاتل الله الدنيا يا بني. تريد الصحيح ؟ علم الله اني لم اكن واثقاً اي منا كان الحق الى جانبه في ذلك الخلاف. كانت القضية بيننا قضية حد بين ارضين ؛ وكان خلافاً يمكن ان نحله بتحكيم احد جيراننا. ولكنني ركبت رأسي وركب عارف رأسه. واستطاع وهو ابن سالم آغا، ان يجيش ضدي المحامين ويؤلب علي الدرك ويقنع القضاة ففاز بالأرض المختلف عليها وهي لا تعدو في حقيقتها بضع خطوات من ارض استنفد خصبها واضحت لا تزرع الا عاماً في كل ثلاثة اعوام. لقد اطار حكم المحكمة صوابي ونسيت ما بيني وبين المرحوم سالم آغا من سالف الود وحقوق الصحبة والجيرة، فانطلق لساني على باب المحكمة بما لست اتذكره أو بما لا اريد ان اتذكره من قارص الكلم . هل تصدق اني توعدت عارفاً المسكين بالقتل ؟ عارفاً الذي كنت اعده ابناً لي مثل سليمان او اخوته الصغار ؟ ولكن لعنة الله على الشيطان ! انه نفخ الغرور في نفسي وزين لي اني ، ما دمت أباً لخمسة فتيان اشداء، قادر على ان اتوعد بالشر فتى وحيداً وان افعل ذلك الشر . كم عدت على نفسي ، بيني وبين نفسي ، باللائمة كلما ذكرت اقوالي تلك على باب المحكمة؟ اما بين الناس فقد كانت الكبرياء تؤجج حقدي وتحول بيني وبين ان أوطن النفس على التنازل عن تلك الخطوات من الارض وأعد امرها مقضياً. الا ان لله رجالاً يا بني ، وما اشك ان عارفاً من اولئك الرجال ، رجال الله . والا فكيف تفسر ان يجيئني عارف قبل يومين من



حلول أجله ليقول لي ببساطة وتواضع: أخطأت في حقك يا عم، وانا اريدك ان تصفح عني، وهذه وثيقة التنازل لك عن الارض!

انك لم تر عارفاً الا وهو في عمره هذا وحين سكن المدينة لا يجيء بلدتنا الصغيرة ولا أرضه هذه بجوارها الا مرة او مرتين في العام. ولكني اذكره صبياً حين كنا نعده ولياً من اولياء الله. دعك من كلام الناس عنه في هذه الايام، فلم ينج الأنبياء من ألسنة الناس حينما كانت الدنيا دنيا. كان حمامة الجامع حين كان صبياً. وما اظن الله ينسى عبداً سجد له ما سجد عارف في صباه وأول فتوته. نعم لقد عرف الدنيا وسافر الى بلاد الاجانب، ولكن القلوب صناديق مقفلة يا بني. وإن انس لا انس حينما جاء إلي جيئته الاخيرة والريح تصفر والثلج يغطي الارض. لقد نبحته كلاب الدار طويلاً قبل ان يفتح له ابني سعيد الباب. ولا بد ان دهشة سعيد كانت عظيمة حين رآه واقفاً عند سياج الدار لابساً عباءته وفروته فوق ثيابه المدنية وبيده مقود حصانه الاشهب وهو يسأل عني. في الحق لم يملك ولدي سعيد الا ان يفتح لعازف الباب على مصراعيه ويدعوه للدخول متجاهلاً، في وقته الحاضر، ان النقمة على سعيد كانت حديث المائدة في بيتنا ستة شهور كاملة. اما انا فقد وجدتني ملجم اللسان. ما الذي استطيعه حيال رجل يطأ ارض داري ولو كان ألد اعدائي؟ رحبت به وسألته عن حاله وأظهرت له عجبي من مجيئه الينا فارساً، ألم يصطحب معه في هذه المرة سيارته من المدينة؟ فابتسم. ولا بد لي من القول ان ابتسامته كانت غريبة فيها اشياء من الحياء او من الخوف او من الحزن، لا ادري. ابتسم وهو يقول ان الفرس في مثل هذه الطرق السيئة التعبيد وفي هذا الثلج الذي يستر المعالم اسلم من السيارة. ولم اجرؤ على سؤاله ما الذي ساقه الى داري وبيننا الذي بيننا. كما انني لم اجد حديثاً اطارحه اياه دون ان اخشى ان يعرج بنا على خلافنا حول الحدود. وبماذا يتحدث فلاح مثلي الى ملاك مثله في غير الارض والتربة والزرع؟ فلفنا ونحن حول النار المشتعلة في المدفئة سكوت طويل لم يلبث ان مزقه هو فجأة حين اخرج من جيبه ورقة ناولنيها وهو يقول: هذه وثيقة التنازل، تنازلي عن الارض يا عم!

لك أن تتصور دهشتي حين قدم إلي عارف تلك الورقة، وأن تتصور كذلك الحرج الذي وقعت فيه. إن الأرض كما قلت لم تكن ذات قيمة كبيرة ولكن النزاع وعواطف الشر التي حركها في قلوبنا هي التي جعلت لتلك الخطوات من الأرض المجدبة قيمتها. وهذا عارف خصمي، عارف ابن جاري وأخي سالم آغا، يلقي بكرم أخلاقه الماء على نار ذلك الشنر. لقد حلفت ألف يمين إني لا أقبلها منه، وإني قد سامحته بها وإني منذ الساعة قد نسيت كل خلاف بيننا ولكنه كان من الاصرار بحيث لم أستطع غير القبول بما عرضه علي وهو يقنعني بأني بذلك القبول سدي اليه يداً لا يخطر ببالي كم هي ثمينة. ورأيتني أتضاءل امام هذا الشاب الذي هو في عمر ابنائي والذي فضلني مرتين بتنازله لي عن الأرض وبزيارته لي في بيتي. ولما شرب القهوة وهم بالخروج عجزت عن احتجازه حتى المساء ليتناول العشاء. قلت له إن البرد قارس والليل مقبل، فقال إن هذا هو الذي يدعوه إلى الاسراع فان أمامه رحلة قصيرة الى بيته القروي الذي يقوم في العدوة الثانية من الوادي، يهمه أن يرجع بعدها إلى داره في البلدة في أول الليل. ولما قلت له إن باستطاعته زيارة بيته غداً قال لي وهو يمتطي حصانه ويلف كوفيته على رأسه:

– ان الليلة آخر السنة يا أبا سليمان ويهمني أن اصفي حساباتي قبل حلول الأجل.

وابتعد عني على حصانه. وكان أفق ذلك الأصيل أغبر والغيوم الرمادية التي تحجب السماء توحي بأن الثلج سيتساقط في هذه الليلة اكثر من تساقطه في الليلة الماضية. وبينما كان البخار المندفع من خيشومي حصان عارف في ذلك الجو البارد يتلاشى في عيني شيئاً فشيئاً كانت جملته الاخيرة لاتزال ترن في أذني. لقد كان يهمه أن يصفي حساباته قبل حلول الأجل! وما درى ذلك المسكين، أو لعله كان دارياً، أن الأجل لم يكن أجل العام بل كان أجله هو، بذاته...

قصة سُعدى

لا أدرى كيف حدث هذا. ولكن «هذا» حدث حقاً. كنت أظنه جاء بعد قطيعة ثلاثة أشهر يسخر مني فاذا بي أدري بعد ساعات قليلة أن الدنيا كانت تسخر منه ومني على السواء.

هل كان كل ما بيننا من خطأ عارف؟ لو ظل حياً للعنته في كل صباح بعد أن أكون حلمت بذراعيه القويتين تلفانني كل المساء. آه يا زهرة! لقد كانت لعارف داره في البلدة الصغيرة يسكنها في الشتاء، أما في شهور الدفء فان هذا الكوخ الصغير الذي ترينه بجوار دارنا هو مأواه. منه كان يشرف على

أملاكه هنا وفي العدوة الثانية من الوادي . وفيه كنا نلتقي في عشيات الربيع حينما تضحك النجوم في قبة السماء، وفي ظهائر الصيف عندما تقفر الحقول وينصرف الناس الى القيلولة في ظلال البيادر . إنه ابن سالم آغا ، وليس أبوه خيراً من ابي ولكنه تعلّم في المدينة الكبيرة بينما وقفت في تعليمي عند مدرسة بلدتنا هذه ، ولما ماتت أمي أبى والدي إلا سكنى دارنا هذه وسط الحقول . أقول لك الحق ؟ لقد كنت في كل صباح أتشاغل بألف شاغل حتى تقع عين عارف عليّ عندما يخرج من كوخه . لقد كنت أحلم بأن يقع في حبي فوقعت أنا في هواه . الحب يا زهرة هو كل حياتنا ، أما الرجال فان نار الحب لا تقوى إلا على أن تلوّح قاوبهم تلويحاً بينما تذوب قلوبنا فيها ذوباناً .

وقعت في هواه يا زهرة وتسللت إلى لقائه تحت شجرة التوت في صحن داره في الليالي التي لا قمر فيها في الربيع والصيف . لم يكن ذلك صعباً ، ولكنه كان مخيفاً . ففي كل ساعة كان ممكنا أن يعود أخي وحيد ، وهو دوماً متنكب بندقيته ، إلى الدار فلا يجدني فيها . ولكن صدقيني أن ليس أحلى من لقاء الحبيب على خوف ووجل . تذوب عندها الروح في القبلة ويعود العناق لا مجرد لذة ، بل الحياة كلها مسكوبة في نشوة لحظة من الزمن . وهذا الذي كان يعقل لساني ويمسح من فكري كل ما كنت أريد قوله لعارف . حين كنت أخلو لنفسي كنت أحدثها بأني تماديت مع عارف إلى أقصى ما يمكنني أن أتمادى فيه وأني في هذا المساء سأسأله متى يكون زواجنا . ولكن شجرة التوت كان لها عليّ فعل السحر فما كان لساني ليستطيع تحتها ، حينما يلفني وعارفاً ظلها ، أن يدور بما كنت أريد قوله . كان قلبي وحده الذي يتكلم طارقاً ضلوعي في نشوة

مسابقة « الآداب » للقصة

تقيم مجلة « الآداب » مسابقة للقصة يحق لجميع ادباء البلاد العربية ان يشتركوا فيها بالشروط التالية :

١) ان تكون القصة موضوعة غير مترجمة ولا مقتبسة ولا منشورة .

٢) ان تعالج موضوعاً يهمّ الجماعات العربية او الفرد العربي .

٣) ان تكتب كلّها باللغة العربية الفصحى .

٤) الاّ تتجاوز ثماني صفحات من «الآداب».

اما الجوائز فثلاث :

الاولى : ٣٠٠ ليرة لبنانية او ما يعادلها

الثانية : ١٥٠ « « « «

الثالثة : ٥٠ « « « «

تقبل القصص حتى اول شهر آب (اغسطس) من العام الحالي ١٩٥٣ .

وستتألف لجنة محكمة تعلن اسماء اعضائها فيما بعد . اما القصص الثلاث الفائزة فتنشر ابتداء من عدد تشرين الاول (اكتوبر) من «الآداب .»

ويد حبيبي تمر على شعري وشفتاه الملتهبتان تتمرغان على خدّي . أشعر الآن كأني أقترف خطيئة حين أتذكر لذائذ تلك الليالي وأتذكر كم ترددت في الاحجام عن التورط فيها . ولكني لن استطيع اقناع نفسي بأني نادمة على كل ذلك . بل انا نادمة حقاً على ما اقدمت عليه في ذات مرة حين سألت عارفاً وكان يطوق منكبي بذراعه ويجيل اصابعه الطويلة حول نحري ، الى اين ستنتهي علاقتنا ... لقد أطلقت بذلك السؤال العاصفة على كوخ حبنا الشاعري فلم تبق منه الا الحطام. كانت كلمة منه وكلمة مني ، وقول منه بأني انا التي دعوته الى حبي وقول مني بأنه هو الذي اغراني ، وكانت منازعة تمزق لها ظل شجرة التوت وبكت منها اغصانها الكثة الاوراق، وانثنيت منها محمرة العينين وانا اصيح به ان اخي سيعلم ، وان اخي لم تنله مفاسد المدن فتغريه بأعراض جاراته ، وانه اقوى اهل السهل قلباً واحدّهم عصباً واسدّهم بالبندقية مرمىً !

وأقبل الخريف بعد ذلك ، خريف العام وخريف قلبي . وظلت الكبرياء ترفع رأسي اياماً كثيرة ولكن الهوى كان اقوى فأحنيت رأسي وانما بعد ان حل الشتاء وغادر عارف كوخه. لكم بكيت وانحدرت في الليل البارد اتحسس سياج الكوخ باناملي وأتطلع الى بقايا الاوراق على اغصان شجرة التوت. ولكم ذكرت نزاعي مع عارف وتهديدي له بأخي فعضضت كفي من الندم . ما الذي جنيته من هذا ؟ أتراه يعود بعد ان جرحت ذات نفسه بذلك التهديد ؟ ما أظنه بعد ذلك يعود .

ولكنه عاد في ذات مساء . كان الثلج يكسو الارض في هذا الشتاء الذي ما مرّ علينا مثل برده قط. ففتحت الباب وانا اظن الذي وقف يخبط الارض بقدميه نافضاً عنها وعن ثيابه هباء

الثلج هو اخي، فاذا به هو. كان عارفاً بعينه قد ربط حصانه الاشهب في مربط خيولنا ووقف بباب المضافة باحثاً عن ابي وهو يضيح بصوت أبح : اين انت يا أبا وحيد !

تصوري ماذا مر بي حين رأيته على قيد ذراع مني وانا التي حلمت به خمسين ليلة متتالية منذ يوم فراقه . لم يكن أبي ولا اخي في البيت بل كنت وحدي فلم املك نفسي ان تعلقت بعنقه في غبش المساء وانا ادفن وجهي في طيات فروته التي ارتداها فوق ثيابه المدنية . وشعرت انه كان يحاول دفعي عنه ولكنني تشبثت به وانا لا اصدق انه حقاً قريب مني وانا وحدنا في منزل قفر إلا منا في هذا المساء الساكن وفي هذه الطبيعة الصامتة . وأخذت بيده ليتبعني فلم يمانع حتى دخلت به الى غرفتي .

قال لي : سعدى ، اتدرين ما الذي جاء بي ؟

قلتُ : لعلك رأيتني في الحلم اناديك .

قال : اتيت لأسأل اباكِ ان يقبلني صهراً له . أتظنين ان الوقت لم يفت ؟

فشعرت بالفرحة تأخذ عليّ جوارحي فلا استطيع الكلام. ونفرت الدموع من عيني وانا أضع رأسي على قلب عارف. اما هو فقد سمعته يقول :

– اسمع صوتاً يا سعدى !

فأصخت السمع فخيل إليّ اني اسمع وقع اقدام اخي في غرفة الضيافة . حينئذ تسلل اليّ شعور مفاجيء بالخوف لم يدر لي بخلد قبل تلك اللحظة ، وهمست :

– اسرع بالله عليك لئلا يجدك اخي هنا.

وعلى ضوء ذبالة المصباح الخافتة رأيت تعبيراً من الاسى

ومن الاستسلام ، وما اظنه من الخوف ،يرتسم على وجه حبيبي وهو يقول :

— هذا الذي قدرته يا سعدى . كيف اتيتُ الى غرفتك ؟

قلت له : تسلل بهدوء فان داخل الدار مظلم ولن يفكر وحيد بالمجيء الى هنا .

ووضعتُ يدي على قلبي وانا أراه يتسلل من باب المضافة الى حيث كان حصانه مربوطاً . ولم يفطن اخي الى ان في الدار غريباً الا بعد ان تناهى الى سمعه وقع حوافر حصان عارف وهو يعدو على الدرب الذي غطى الثلج على معالمه. حينئذ أطل برأسه وصاح بصوته العريض :

— سعدى !

فأقبلت على ندائه وقلبي يركض بين ضلوعي . وحمدت ربي على الظلمة التي كانت تحجب عن نظره المشاعر التي كانت ملامحي تنم عنها . وكأنما رابه سكوتي فصاح بي وانا اكاد أرى عينيه تقدحان بالشرر :

— من هذا الذي خرج من هنا يعدو على ظهر فرسه ؟

ولست ادري الآن كيف أجبته حينذاك وانا اتصنع البراءة وأضفي على كلماتي لهجة الغضب الحي :

— انت هنا ؟ لم اكن اظن انك عدت . انه جارنا المغرور عارف بن سالم آغا .

— المغرور ؟ ماذا كان يفعل هنا ؟

— جاء يبحث عن ابي . لم يستح ان يواجهني بما يريده ... قال انه جاء يخطبني اليكم فسببته وطردته . وأحسبه لن يرينا وجهه بعد الآن .

فسكت اخي برهة كأنما لم يكن يخطر له ما قصصته عليه ببال . ثم انطلق يقهقه بصوت عال وقال :

— لهذا سميته المغرور اذن ؟ مسكين عارف لا بدّ انه خاض في بحر من شتائمك . سآتي به اليك حالاً .

وزفرت ارتياحاً حين تقبل اخي روايتي دون ارتياب . ولم يخطر ببالي انه سيلحق بعارف تواً . ولكني رأيته يهرع الى المربط فيمتطي جواده ويهمزه مسرعاً وراء عارف . وهنا ملأت الغصة حلقي ؛ ترى أيكون عارف من الذكاء بحيث لا يثير ريبة اخي في لقائنا هذا المساء ؟! وظلت تلك الليلة اغلي على نار من القلق مترقبة ان اعرف ماذا دار بين اخي وحبيبي . ظلت تلك الليلة اترقب لأن اخي لم يعد حتى الصباح . حينئذ علمت بأن ما ترقبته كان أسوأ من كل ما توقعته ، وان عارفاً حبيبي الذي جاء يخطبني ، قد أضحى جثة هامدة ...

قصة الدكتور شمس الدين

سأفضي اليك بسر لو علمت نقابة الاطباء اني افشيته لأصدرت قراراً بحرماني من ممارسة المهنة ثلاثة أعوام متتالية . ليس الطب علماً وانما هو فن من الشعوذة وضرب من الخداع النفسي . ونحن الاطباء ادرى الناس بضآلة ما نعلمه من خوافي الحياة واسرار الموت . فاذا قيل لك ان هذا طبيب كثير العلم فذلك يعني انه كثير العلم بجهله . ولكن ما العمل ؟ ان واحدنا لا يقف على هذه الحقيقة الا بعد ان يكون افنى عمره في المدارس والجامعات وتلقى من الحياة اقسى لطماتها ، والنكوص على العقبين في هذه الحال امر مستحيل ، فلا يبقى له الا ان يستمر في تمثيل المهزلة الى خاتمتها . فاذا كنت تحسب اني حين اصف للمريض دواء ، واثق باني اسيطر على سير المرض في جسمه فأنت واهم . إن كل ما افعله اني ألهي المريض او ألهي أهله بشيء ما ، وانتظر مثلهم تفاعل الجسم الآدمي امام عوامل الداء . وقد يكون مريضي مصاباً بزكام بسيط ، ولكني لا اغفل ابداً حين أتولى فحصه ان اضع بين حاجبيّ عقدة ترتسم في اذهان اهله الذين تركزت عيونهم عليّ في تلك اللحظة . فان مات بعدئذ فاني لا اعدم من بينهم شاهداً يقول : « لقد كانت وقعته ، رحمه الله ، خطرة من يومها الاول ، عرفت ذلك من العقدة التي ارتسمت بين حاجبي الطبيب وهو يفحصه ، يا له من طبيب قدير ... » في الواقع اني قدير ، ليس في الطب وانما في دراسة نفوس الناس وفي تدبير معاشي بعد ذلك !

تقول كتب الطب ويظن الناس تبعاً لها ان المرض هو الذي يسبب الموت . لا تُصدق هذا ابداً ، بل ثق معي ان العكس هو الصحيح : الموت هو علة المرض . هذا رجل من اصحابك يجب ان تنتهي حياته ، انك لو استطعت ان ترى ما لا يرى من عوامل الوجود التي تتفاعل حول هذا الرجل لأبصرت الشباك تلقى عليه من كل جانب لتجذبه الى هوة المنية . فاذا أُصيب بعارض بسيط واستشرت الطبيب في امره فان الطبيب يفرك كفيه امامك بلطف ويقول لك انها إصابة خفيفة لا تلبث ان تزول . إلا ان صاحبك يموت سريعاً امام عينيك فيهز الطبيب حينذاك كتفيه لك ولا يملك الان يقول بان ميتة صاحبك كانت غير قانونية لأن كتب الطب لا تجيزها . ولكن صاحبك مات

مع ذلك ، لا لأن المرض قد قضى عليه بل لانه لا بد من موته. كل الناس يموتون هكذا ، وهكذا مات صديقنا عارف الذي نفضنا منذ ايام قليلة أيدينا من تراب قبره .

مسكين عارف ! قتله مرض لم يصب به . كانت زائدته الدودية على غير ما يرام فكنت أحذره دوماً منها ، اما هو فكان يضحك من تحذيري ويقول : ما دامت « زائدة » فلست أخشاها . لا شيء يقتل غير النقص يا دكتور ! الا ان تهكمه لم ينجه من تلك الزائدة . تريد الصحيح ؟ اني لا اعرف اين اضع هذه الزائدة من حكاية موته . فاذا كان عارف قد مات لأنه لم يصب بالزائدة افلا نستطيع القول بان الزائدة هي التي قتلته ؟ اني اشعر حين أفكر في امره بما يشعربه الثور الدائر بالغراف مغمض العينين ، اذا كان ذلك الثور يشعر بشيء ما .

لقد مرّ عليّ عارف في صباح ذلك اليوم وهو كعهدي به صحيح الجسم قوي البنية، وكان يبتسم في هدوء كعادته، الا اني توهمت ببعض القلق الحزين في نظراته . ومن دون ان يتكلم دخل الى غرفة عملي ونضا عنه ثيابه ثم قال لي وابتسامته الهادئة على شفتيه :

– طمني عن الزائدة يا دكتور ..

فلم املك الا ان اضحك ، وظننته قد احسّ باعراض ثورتها في الليلة الفائتة . ولكن حرارته كانت طبيعية وكان نبضه هادئاً وكان لسانه نظيفاً . اما الألم الذي كنت اثيره فيه كل مرة اضغط فيها نقطة الزائدة من البطن فقد بدا لي انه لا يزيد على مضض خفيف لا يكاد هو يحس به ، فربتّ على صدره بكفي وانا اقول له :

– حسن منك ان تترك المكابرة وتهتم بزائدتك هذا الاهتمام، على اني اراها الآن على احسن حال . ما الذي جعلك تنتبه اليها اليوم ؟

فلم يجب على سؤالي مباشرة بل قال في جد :

– هل تظنها تكفيني شرها حتى حلول العام الجديد ؟

فضحكت وقلت :

– غداً يبدأ العام الجديد . اذن هذا هو الذي أتى بك إلي؟ يجدر بك ان تشكر زائدتك أن عاشت معك العام الفائت بسلام . وما دمت في بلدتنا الصغيرة هذه حيث لا سهر ولا عربدة ، وما دمت لا تنوي التزحلق على الثلج او التزلج على الجليد فأنا اضمن لك انها ستدخل معك العام الجديد في وفاق .

فضحك ضحكة مغتصبة وخرج وهو يشد على يدي ويواعدني الى الغد .

ولكني رأيته في اليوم ذاته ، في الساعات الاخيرة من ذلك اليوم . كانت زيارته لي في آخر يوم من السنة الفائتة . وفي مساء ذلك اليوم كنت اقضي سهرتي لدى صديقنا سامي الذي كان يحتفل بعيد رأس السنة وعيد ميلاد طفله ابراهيم في آن واحد ، حين جاءني من يدعوني الى منزل عارف . وبلدتنا كما ترى ليست واسعة الارجاء ، فهرولت وبودي ان اعود كي لا تفوتني طيّبات السهرة التي كنت فيها . وكان عارف مسجّى على فراشه حين دخلت عليه ، تضطرم وجنتاه من الحمى وتلوح على جبينه قطرات كبيرة من العرق . ولما فتحت الباب تطلع إلي بعينين واسعتين وصاح :

– الزائدة يا دكتور شمس الدين ، الزائدة !

وخطر لي انها ثارت عليه حقاً ، كما خطرت لي زيارته اياي في هذا الصباح . لم يكن به اي عرض من اعراض التهاب الزائدة الدودية فما الذي جعله يفكر بها صباح ثورتها عليه ؟ وكان لا بد لي ان اطمئنه ، فقلت له وانا أجس نبضه :

– وماذا يخيفك من الزائدة يا عارف ؟ اذا كانت هي فان الجليد يشفيها والجليد كما ترى كثير . واذا لم يكن الجليد فان جراحتها أهون من شق خراج .

فحوّل وجهه عني وقال بصوت المستسلم في معركة خاسرة :

– لا تعللني بالاماني يا دكتور ، اشعر ان النهاية قريبة .

فربتُّ على كتفه وقلت له :

– ما كنت اظنك كثير الخوف ، ما الذي يؤلمك الآن ؟

قال : كل بطني ، واشعر بلهيب الحمى يشوي ضلوعي .

وارتفع من ورائي صوت يقول :

–ليس غير البرد يا دكتور، ركض حصانه في هذا الزمهرير من قريتنا الى هنا دون توقف ، اكثر من ساعة وانا اطارده فلم ألحق به الا عتبة الباب .

وتطلعت ورائي فاذا بالمتكلم وحيد ، هذا الشاب الطويل العريض الذي اكره فيه قحته واعتداده بنفسه ، فسألته :

– وهل كنتما تتطاردان في هذا البرد ، والثلج يرصف الدرب بالمهالك ؟ فقال عارف :

– قل لي هي النهاية يا دكتور . لقد حذرتني من التزحلق على الثلج ففعلت أسوأ منه ..

فعجبت من تخوفه ، وانصرفت الى فحصه ، ولم البث ان قلت له :

– هدىء روعك . أرى زائدتك اعقل مما تظن وما بك غير البرد .

فتطلع إليّ غير مصدق وهو يقول :

– هل تريد ان تموّه عليّ ؟ هذا شيء لا بد من حدوثه . وعبثاً كنت احاول منه الهرب .

قلت له :

– لا أفهم ما تقول يا عارف . ولكن صدقني ان الزائدة الدودية ليست مسؤولة عمّا بك .

فقطع عليّ كلامي وقال :

– كم الساعة الآن ؟

فتطلعت الى ساعتي وقلت :

– سأحقنك الآن ما يخفف عنك هذه الحمى التي تشعر بها وآمل ان اراك في الصباح معافى . لا يزال من عمر هذا العام ساعتان وسبع دقائق على الضبط يا عارف .

قال :

– افعل ما تشاء يا دكتور . ساعتان وسبع دقائق ؟ إنه عمر يا ربي ! أتظن أن هناك مرضاً يقتل في ساعتين وسبع دقائق غير الزائدة ؟

فضحكت وانا اقول له :

– لا أظن مرضاً غير الزائدة المنفجرة في البطن يمكنه ان يفعل ذلك يا عارف ، وأنت غير مصاب بها . كن واثقاً من ذلك ونم بأمان .

فخيّل إليّ انه قال لي في همس :

– إذاً هي الزائدة !

وكاد الغيظ يتملكني في النهاية من هذه الفكرة الثابتة في رأسه . ولكن حرارته المرتفعة كانت تشفع له وتدعوني إلى التفكير بأنه كان يهذي . فحقنته بالدواء ثم ودعته وخرجت. وعند الباب التفت الى وحيد، ذلك الفتى الذي لا أحبه ، وكان قد خرج معي وسألته :

– وعلام كنتما تتسابقان في هذه الليلة المظلمة ؟

قال :

– على لا شيء . بل على شيء مضحك لا أستطيع ان ارويه لك. كنت أريد ان الحق به لأعينه في شأن جاء يسعى به إليّ . ولكنه اطلق العنان لفرسه لا يريد ان ادركه كأنما في إدراكي له قتله . كم خفت أن يعثر به الحصان فتدق عنقه . ولما لحقته امام باب منزله رأيته لا يتمالك نفسه فأعنته حتى ادخلته في فراشه. هل ترى في حالته شيئاً من الخطر يا دكتور ؟

فوضعت العقدة بين حاجبيّ ، كعادتي ، وقلت :

– سنمر عليه غداً .

ومررنا عليه غداً ، ولكنه كان قد أسلم الروح قبل ان نمرّ عليه !

بِمَ مات عارف ؟ الأصح أن نسأل لِمَ مات عارف ، لو ان لهذا السؤال جواباً . إنه لم يكن مصاباً بالزائدة ، فلعله مات بالخوف منها . ولذلك قلت لك ان عارفاً قد قتله مرض لم يصبه . قد ترى انت في الامر لغزاً ، او على الاقل خطأ في التشخيص . ولكني انا الذي ارى حوادث الحياة والموت في كل يوم قد شببت عن الطوق فلم اعد ألقي على نفسي امثال هذا السؤال . كل ما أعرفه وأنا واثق به ان صباح اليوم الاول لعام ١٩٤٦ قد طلع ولم يكن عارف حياً حين طلع ...

الرقة – سوريا **عبد السلام العجيلي**

النشاط الثقافي في الغرب

فرنسا

لمراسلنا الخاص بباريس

١ . كنوز الفن التركي

هل كان السلطان سليمان القانوني يحلم ، وهو يقذف بجحافله على اوروبا ، بان سرادقه سيضرب ذات يوم في قلب باريس ؟ وهل كان السلطان محمد الثاني -فاتح القسطنطينية- يظن ان بردته وحسامه سيكونان موضع الانظار في العاصمة الفرنسية؟

لقد تحققت الاحلام والظنون بعد مئات السنين، دون ان تهرق قطرة من الدم، وتوافد الفرنسيون الى « متحف الفنون التزيينية » لمشاهدة ما أوفدته تركيا الحديثة من روائع فنها القديم، وأجمع النقاد على ان هذا المعرض لكنوز الفن التركي من اجمل ما شاهدوا ، وخصصت الصحف الصفحات له ، كما خصص له الراديو التعليقات الطويلة .

والحق يقال ان كل قطعة من المعروضات قد انتقيت حسب نزعتين :

اولاً : نزعة الفن الخالص الذي يروع الناظر دون ان يكون على أهبة سابقة له .

ثانياً : نزعة الاستغراب « Exotisme » الذي يثير الفضول ويبعث الاهتمام لدى المتفرجين الاجانب، الذين لا يفرق اكثرهم بين الخط الثلث والخط الكوفي مثلاً، فيعجبون بلوحات الآيات القرآنية لا لأنها فنية -وهي كذلك- بل لأنها بعيدة عما يعهدون ويفهمون .

ولقد نجح منظمو هذا المعرض في ان يمزجوا بين هاتين النزعتين مزجاً حصيفاً، ويعطوا صورة حية، متسلسلة عن تطور الفن التركي منذ كان الاتراك في بوادي وسهول آسيا الوسطى، حتى بناء السلاطين من آل عثمان لقصورهم الأنيقة على القرن الذهبي .

ويتتبع الناظر تدرج الفن التركي من اشغال المعادن المزوقة التي تكون زينة لجامات الخيل ولمهاميز الفرسان ممن كانوا يعيشون قبائل في القرن العاشر، ولا يعرفون من الحياة سوى الغارات والحروب، الى الفن السلجوقي الذي يبدو أروع ما يكون في هندسة الجوامع والمدارس والترب والمزارات ونحت احجارها كأنها تخاريم من صنع أمهر النساء . فقد زرع السلجوقيون بين القرن الحادي عشر والقرن الرابع عشر روائع البناء في « بورصة » و « ادرنه» وغيرهما من البلاد ، حتى جاء العثمانيون، فقضوا على ملك آل سلجوق واحتلوا القسطنطينية، وامتزج الاتراك باليونان ، واحتكوا باوربا . وفي القرن الخامس عشر والسادس عشر والسابع عشر وهي ألمع فترة في المدنية التركية ، بلغت عظمة سليمان وبلاطه الذي كان يفد اليه السفراء من كل قطر اوجها ، وفي احد اركان المعرض صورة بالألوان المائية لمركيز فرنسي جاء الاستانة ، فصوره احد الفنانين الاتراك الى جانب انكشاري ضخم العمامة والشاربين، فجاءت المفارقة طريفة، ناطقة باختلاف العالمين على تمازجهما .

وأبلغ ظاهرة في المعروضات، تغلغل الزهور وتمثلها في كل منتجات الفن التركي . فالورد والقرنفل والسوسن تزدهي ألوانها في السجاد وعلى أثواب السلاطين والامراء ، وعلى قيشاني الجوامع وعلى الصحون ، وحتى في كتب السير والتواريخ .

ويعجب الزائرون اذ يكتشفون، الى جانب سيوف الانكشارية التي طالما اهتزت اوربا رعباً منها، هذه الزهور اللطيفة وتلك التزاويق الدقيقة، ويتساءلون كيف استطاعت اليد التي قبضت على السيف ان تعود فترسم هذا الورد وهذا القرنفل ؟...

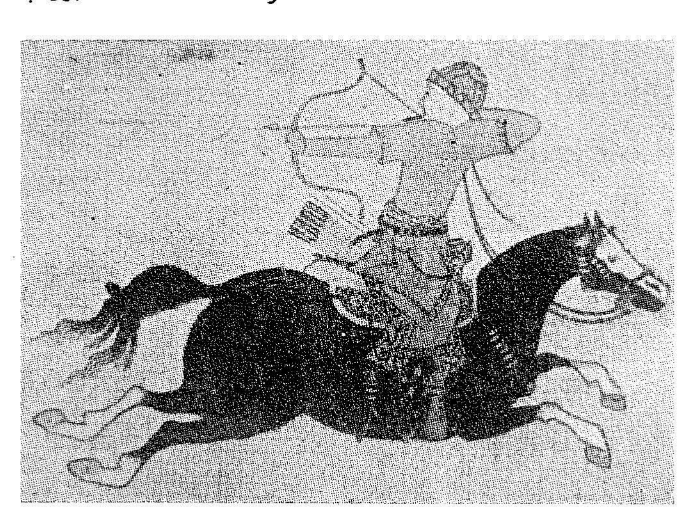
ولقد نجح منظمو هذا المعرض الى حد كبير في اقناع الفرنسيين بان تركيا صاحبة مدنية عريقة وفن قائم بذاته، ونالوا من المجد لتركيا اكثر مما يستطيعه الف كتاب وعشرات من المعاهدات .

حرب المجلات

ولد العام الجديد فولدت معه مجلات كثيرة، وليس الأمر وقفاً على بيروت حيث صدرت «الآداب» . فالظاهرة عامة على ما يظهر ، وقد اثارت في باريس ما اتفق الصحفيون على تسميته «بحرب المجلات» .

وقد فتحت هذا الباب مجلة « La Parisienne » ، التي يديرها ويمولها جاك لوران ، الذي كسب مبالغ طائلة من روايته Caroline Chérie ، فخصص ما كسبه لاخراج مجلة حسب مزاجه . وقد صدر اول عدد منها بمقال يحدد فيه برنامجه الأدبي وهو : لا التزام الا للادب .

وقد عادت كذلك الى الظهور مجلة La Nouvelle Revue Française وهي المجلة التي انشأها عام ١٩٠٨-١٩٠٩ اندريه جيد، بصحبة عدد من الكتاب الشباب الذين اصبحوا من اعمدة الأدب الفرنسي الحديث. وهذه المجلة تعاونت مع الألمان اثناء الحرب فمنعت من الصدور تحت اسمها القديم ، ولما كان ذلك الاسم اشهر من ان يضحى به أخرجها اصحابها تحت اسم: La Nouvelle Nouvelle Revue Française وذلك بزيادة « الجديدة » على العنوان القديم. ولم تكن الحيلة لتنطلي على احد ، فالغلاف هو هو ، ودار النشر لم تتغير، والكتاب هم كما كانوا منذ ٤٠ عاماً .



فارس يطلق سهام قوسه . منياتور من القرن الخامس عشر

النشاط الثقافي في الغرب

وثمة مجلة اخرى سوف تصدر قريباً تحت اشراف Maurice Nadeau وقد قلق مديرو المجلات الاخرى لهذا الزحف الادبي، وخافوا على قرائهم ان تستميلهم المجلات الجديدة . ووصف فرنسوا مورياك في مجلته La Table Ronde الأمر بانه «ظاهرة خطرة» .

والواقع ان المجلات الجديدة تحـاول ان تفتح المجال للكتاب الشباب ، وتشنها حرباً على شيوخ الأدب . وليس في ذلك الا ما يسر القاريء العادي ويعينه على تذوق الأدب على ايدي الادباء من جميع الاعمار .

٣ . كوليت تبلغ الثانين

بلغت في هذا الشهر الكاتبة «كوليت Colette» عامها الثانين ، وقـد احتفل به معها كل قرائها ومحبيها وهم يعدون بالآلاف، اذ ان كوليت رئيسة اكاديمية غونكور، هي اكبر كاتبة فرنسية حية، وكتبها لا تـكاد تعد .

وقد بدأت كوليت حياتهـا كراقصة في «الموزيك هول» ، ثم تزوجت الـكاتب «ويلي» فكتبت معه بعض القصص، ثم افترقا، ومنذ ذلك اليوم تابعت انتاجها الذي جعلها من كبار القصاصين المعاصرين .

وقد استخرجت من قصصها تمثيليات نالت نجاحاً كبيراً، مثل مسرحية Gigi التي استقبلها جمهور نيويورك في العام الفائت بحفاوة عظيمة .

٤ . هنري ميلر واميركا

هنري ميلر Henry Miller من الكتاب الذين يملأون كتبهم بالمتفجرات ويسمون الأشياء بأسمائها . فهو يبحث في المسائل الجنسية بلغة بعيدة عن لغة الصالونات ، ويعالج مشـكلة الانسان المعاصر الذي تتجاذبه قوانين المجتمع ونوازع الغريزة .

وقد زار ميلر باريس مؤخراً، آتياً من اميركا حيث يعيش منعزلاً على قمة تل في كاليفورنيا، وصرح – فيما صرح – بما يلي :

– اني شديد الإعجاب بالهنود الحمر، وسيأتي يوم يعود فيه الهنود أسياداً لأميركا... ولست اهتم بشيء في اميركا إلا بالحمر والسود... أما البيض...

٥ . شهر الاكاديمية الفرنسية

عاشت الأكاديمية الفرنسية شهراً حافلاً بالاحداث .

فقد دخلها السيد «فرنسوا بونسه» رسمياً ، اذ القى خطاب الشكر التقليدي و «بونسه» سفير فرنسا في المانيا، وقد عمل مع بيتان بعض الوقت ، وخلفه في مقعده الاكاديمي. وكان اعضاء الاكاديمية يخشون مغبة خطاب السفير الذي يفرض فيه ان يمدح سلفه. وقد نجح العضو الجديد في تحبير خطاب «دبلوماسي» لم يزعج به احداً، ومدح به كل الناس .

وقد انتخب ثلاثة اعضاء جدد هم : الدوق ليفي ميرابو ، ورينيه غروسيه ، وفرنان غريغ ، وهذا الأخير يتقدم الى الأكاديمية منذ ثلاثين عاماً .

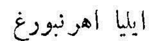
هذا، وقد خلا مقعد جديد بوفاة جيروم تارو وهو شقيق جان تارو ، وقد ألفا معاً كتباً كثيرة عن افريقية الشمالية والشرق .

وذكرت الصحف ان معدل السن في الاكاديمية قد اصبح ٧٦ عاماً و ٦ شهور فقط، وذلك بعد انتخاب رينه غروسيه، وهو «غلام» لا يبلغ من العمر غير ٥٧ عاماً !

روسيا

١ . جائزة ستالين للسلم

في اواخر شهر كانون الأول (ديسمبر) من السنة الماضية اجتمعت لجنة ستالين للسلم وقررت منح الجوائز لعام ١٩٥٢ الى سبعة من العاملين في حقل السلام في مختلف البلدان . وهم إيف فارج Yves Farge رئيس مؤتمر السلم الفرنسي، وسيف الدين كيتشلو Kitchlew رئيس مؤتمر السلم لعموم الهند ، واليزا برانكو Elisa Branco عضو اتحـاد النساء البرازيليات ، وبول روبسون Paul Robeson المغني الزنجي الاميركي المشهور ، وجوهان بيتشر Johannes Becher الشاعر الألماني الداعي الى توحيد المانية ، وجيمس انديكوت «James Endicott» القس الكندي المناضل من أجـل التفاهم الدولي، وايليـا اهرنبورغ Elya Ehrenburg ، الكاتب السوفياتي الذائع الصيت .



ايليا اهرنبورغ

٢ . قصص بأقلام الكتاب السوفيات

من أبرز الكتب التي تحتل في هذه الايام رفوف المكتبات العامة والخاصة في الاتحاد السوفياتي ثلاثة مجلدات تحمل عنوان «قصص باقلام الكتاب السوفيات» .

افتتح المجلد الأول بقصة لمؤسس الأدب السوفياتي مكسيم غوركي، ومن ثم قدمت الى القاريء مجموعة من القصص المكتوبة باقـلام سبقت قلم غوركي الى الظهور، من مثل أ. سيرافيموفتش A. Serafimovich ، والكسي تولستوي و ف. فيشنفسكي V. Vichnevsky ، و م. بريشفـن M. Brishvin ، والكسندر فيديف Fadeyev ، وميخائيـل شولوخوف Sholokhov ، وف. كافارين V. Kaverin ، وب. لافرنيوف B. Lavrenyov وغيرهم.

والواقع ان القصص التي انطوت عليهـا هذه المختارات الرائعـة تختلف موضوعاً واسلوباً، ولكنها تجتمع كلها عند الجودة والروعة. ففيما انت تقرأ مثلاً لكتاب الشباب أمثـال بوريس بوليفوي Boris Polevoi ، وقسطنطين سيمونوف Constantin Simonov وم. بوبينوف M. Bubenov و س انطونوف S. Antonov وج. نيقولايفا J. Nikolayeva ، اذا بك تنتقل الى مجموعة من الاسماء التي أمست لوامع في السنوات الاخيرة مثل ف. فومنكو V. Fomenko ، و ي. فوروبيوف Y. Vorobyov ، ون. يمليانوفـا N. Yemelyanva . ليس هذا فحسب بل ان القاريء ليقع في هذه المجموعة على قصص البطولة، والصور الغنائية، والحـكايات الضاحكة متداخلة متجاورة. ومن هنا جاءت هذه المجلدات الثلاثة ممثلة احسن تمثيل تلك الاصالة الحية التي عرف بها الادب السوفياتي .

النشاط الثقافي في الغرب

انكلترا

لمراسل « الآداب » الخاص

١ – المحصول الثقافي العام لسنة ١٩٥٢

لمع في سماء الانتاج الأدبي خلال السنة الماضية قاص جديد هو آنغوس ولسن Angus Wilson في روايته الرائعة «Hemlock and After» ، ولكن كتاب السيرة كانوا سادة الموقف في ذلك الموسم . فقرأنا ترجمة موفقة للملك جورج الخامس «King George V» بقلم هارولد نيكولسون، واخرى لهنري فيلدنج « Henry Fielding » بقلم ف. هومز دادن F. Homes Dudden . كذلك نعمت المكتبة الانكليزية بطبعة جديدة في ثلاثة مجلدات لرسائل صموئيل جونسون « Letters » هي ثمرة تحقيق علمي قام به الاستاذ تشابمان R. W. Chapman طوال ثلاثين عاماً .

ومن كتب السير الناجحة التي اخرجت للناس في العام الماضي كتاب «توماس كارلايل » لجوليان سايمونس Julian Symons و « روبرت براونتغ » Robert Browning لبيتي ميلر Betty Miller و « آرنولد بينيت » Arnold Benett لريجينلد باوند Reginald Pound و « تشيكوف المسرحي » لداود ماغارشاك Makarshack . يضاف الى هذه جميعاً الجزء الأول من سيرة « اميل زولا » وانه لجزء بارع حقاً ، بقلم آنغوس ولسن.

وحظيت سنة ١٩٥٢ بعدد صالح من الكتب التي تراوح بين الأدب الذاتي وبين أدب الرحلة والسياسة. ولعل امتعها كتاب «سهم في الزرقة» Arrow in the Blue لكويستلر Kosstler ، و«مؤامرة الصمت» Conspiracy of Silence لألكس فايسبرج Alex Weissberg . أما في باب الرحلة الخالصة فهناك كتاب « الارض الذهبية » Jolden Earth لنورمان لويس Norman Lewis ، وفيه يلتقي الكاتب المبدع بالرحالة البصير . وكتاب «مغامرة صوب الداخل» Venture to the Interior للورنس فان در بوست Laurens van der Post .

ولعل ابرز ما زفه العام الفائت الى المكتبة الانكليزية في باب الفن القصصي الروايات التالية :

١ – (من يذهب الى الوطن) Who Goes Home لموريس أدلمان Edelman .

٢ – (نضالات ألبرت وودس) The Struggles of Albert Woods لوليم كوبر cooper .

٣ – (اسمع واصفح) Hear and Forgive لأمير هامفريز Emyr Humphreys .

هذا وقد بلغ انتاج الكتب في بريطانية خلال عام ١٩٥٢ عدداً لم يبلغه في أيما عام سابق ، اذ اطلعت المطابع في ذلك العام ١٨٧٤١ كتاباً منها ٥٤٢٨ اعيد طبعها او اخرجت في طبعات جديدة .

٢ – بين السينما والمدرسة والراديو وبين الكتب الكلاسيكية

عقدت صحيفة [لندن تايمس] بحثاً طريفاً تحدثت فيه عن الآثار الكلاسيكية التي لا تزال رائجة عند الجمهور الانكليزي حتى اليوم . وقد جاء في هذا البحث ان الاجماع منعقد على ان كتب (والتر سكوت) لم تعد تقرأ اليوم في بريطانية، الا في النادر، وذلك لسبب بسيط وهو ان السينما والمدرسة والراديو أمست هي صاحبة النفوذ الأول في ابقاء الاثر الكلاسيكي حياً يرزق. ويظهر ان ثمة وداً مفقوداً بين (سكوت) وبين أركان السينما والمدرسة والراديو...

٣ – تشرشل وتاريخ العمليات البحرية من عام ١٩٣٩ الى ١٩٤٥

ينتظر ان تصدر المجلدات الثلاثة الاولى من التاريخ الرسمي للعمليات البحرية التي قام بها الاسطول البريطاني من عام ١٩٣٩ الى عام ١٩٤٥ في وقت قريب . ومما يذكر ان احد نواب حزب العمال اقترح ان يمنح المستر تشرشل اجازة طويلة الأمد لينصرف الى كتابة المجلدين الباقيين بنفسه... وقد علق رئيس الوزراء على ذلك بقوله: «لا اعتقد ان هذا الاقتراح ينطوي على رأي حسن في شخصي ...!»

حول اللغة العامية في الحوار

صندوق البريد

حين اخـذت في قراءة (الكسيح) للاستاذ شاكر خصباك لم التفت الى الاطار الذي كتبتم فيه دعوتكم الى نبذ اللغة العامية في الحوار ، ظناً مني انه – كما جرت العادة – نوع من تقديم الكاتب والتعريف به –واني أعرفه–، ولكني اضطررت لقراءة ما فيه حين اعياني فهم عبارة عراقية ، علني اجد لها تفسيراً او شرحاً ، وطبعاً لم اجد .

ولقد حاولت ان أسأل نفسي ، لماذا يحرص الكاتب على ايراد الحوار باللغة العامية (اي كما يجري في الحياة على لسان ابطال قصته) ولم لم ينقلها الى العربية الفصحى ما دامت القصة فصيحة ؟!

ألأن الفصحى التي اتسعت لأفكار وعبقريات عظيمة، تعجز عن ان تعبر عن عقلية عبد الحسين البستاني وتؤدي افكاره الساذجة البسيطة . أم لأن بهاء العامية ورونقها ، وهذه الألفاظ الكثيرة التي لا نعرف لها معنى دقيقاً مضبوطاً ، قد حرمت منه العربيـة الفصحى ؟

فاذا كان الاستاذ شاكر متأثراً بتلك الدعوة القديمة – الدعوة الى العاميـة – فاني ادعوه لأن يتأثر من جديد باحدث الدعوات واقدمها، الدعوة الى استعمال العربية الفصحى في كل مكان وزمان فلقد انهارت اسس تلك الدعوات الباطلة ، بانهيار اسبابها، وفناء الداعين اليها – او تواريهم – وكان البقاء للاصلح والاقوى، ولست بحاجة لبيان مكان القوة والضعف في كل من العربية والعامية فهـذا ليس بخاف على فطنة احد من الناس.

ومما يلفت النظر في هذا المجال ان اللغة العربية في أحلك عصورها، وفي أعصب اوقاتها لم تدع مجالاً للغة العامية ان تحل محلها ، وان تتخذ لغة الديوان او لغـة الأدب ، بل ظلت – مع ضعف الادباء وركاكة اسلوبهم – هي النموذج الذي يحتـذى والهدف الذي يطمح اليه .

وطبيعي ان تكون بجانب هذه اللغة [النموذجية] لغة اخرى عامية، يتخاطب الناس بها (ويتحاورون) بها في شؤونهم العادية ، والآثار الأدبية التي لدينا، تكاد تخلو من نصوص تدلنا على ان العامية كان لها مكان في نفوس الادباء، اللهم الا من زجل أو مواليا نقله مؤرخ من العصور المتأخرة .

حقاً ان للغة العامية –أحياناً– تعابير اكتسبت ظلالاً وألواناً، من طبيعة الشعب وروحه ، يتعذر على العربية ان تصل اليها وتؤديها. ولكن هذه التعابير ليست من السعة والكثرة بحيث تشمـل حواراً كاملاً، بين اشخاص مسرحية او تمثيلية، بل انها تكاد تنحصر في كلمة ذهبت مذهب المثل ، او ان لها صورة في مخيلة الشعب لا يمكن نقلها اليهم بغيرها، والا لرأينا المسرحيات التمثيلية والقصص التي تقرأها الأقطار العربية، بعضها عربي فصيح وبعضها عامي (قبيح) ولأصبحنا في فهم كل مسرحية او قصة بحاجة الى قاموس عام، يشمل لهجات البلدان العربية المختلفة، ويبين مدى تأثر كل لهجة من هذه اللهجات باللغات القديمة والحديثة، ولاحتجنا الى تعلم اللغات الكلدانية والفارسية والتركية والسريانية والقبطية والبربرية، وما استجد من لغات اوربية استعمرت هذه البلاد ردحاً من الزمن.

والتساهل في اداء الحوار بالعاميـة يجرنا الى التساهل فيما بقي للغة من وجوه الاستعمال ، ويسم اللغة العربية بميسم العجز والضعف، ويجعلها – على مدى الأيام – قاصرة عن مجاراة الشعب في احساساته وشعوره، والقيام بما تتطلبه هذه الحياة المضطربة.

وهل اللغة الا احساسات ومشاعر ، وليست مجرد الفاظ ميتة لا حياة فيها ولا روح. ولأمر ما يدعو المشفقون على اللغة، الحكومات العربية ، لتصنيع اللغة وجعلها لغة الكليات العلمية كالطب والهندسة، حتى تكتسب الاصطلاحات – بالاستعمال – القوة التي لها في اللغة الأصلية .

وهناك حقيقة خالدة تميزت بها العربية عن غيرها من اللغات الانسانية، بل واستطيع القول : انها خالفت الناموس الذي تخضع له بقية اللغات الاخرى من تطور وتغير، وتفرع الى لهجات ثم الى لغات، ثم الى لهجات ولغات وهكذا دواليك، لأن العربية ولدت – او هكذا ورثناها عن العرب الاقدمين – وفيها عناصر حياتها وسر بقائها، ولدت صالحة لحمل رسالة الشعر والدين على اوسع نطاق عرفه تاريخ هاتين الرسالتين، وها قد مرت عليها قرون طويلة واللغة هي اللغة، والشعر العربي هو شعر امرىء القيس والمهلهل، اللهم الا ان امرأ القيس ومهلهلاً عاشا في البادية ، وشعراءنا المحدثين يعيشون في القاهرة وبيروت ودمشق واميركا .

ونظرة الى أية لغة اجنبية – شرقية كانت ام غربية – تريك ان شعر شكسبير، مثلاً، له لغة خاصة بعصره، وشعر الفردوسي، له لغة خاصـة بعصره ، مع فارق هام بين الانكليزية والفارسية، هو ان الاخيرة تأثرت بالعربية، وعاشت في ركابها، فلم تختلف لغة الفرس المحدثين عن لغة الفردوسي اختلافاً كبيراً .

ومن حسن الحظ ان لدي الآن برهاناً قوياً قاطعاً على هذه الحقيقة الخالدة : هو لهجاتنا الحاضرة فالناظر في اللهجة الحديثة – عراقية كانت ام شامية – يرى الفرق بين لغة جيلين: جيل الآباء وجيل الابناء فلغة الاولين تحاول ان تعود بالفاظها ومعانيها الى عصور الظلامة والانحطاط اللغوي ، ولغة الابناء تجاهد للتخلص من تلك الالفاظ والتبرؤ منها .

ولقد التقيت في القاهرة بزميل لي ، لم استطع معرفة بلده من لهجته ، ذلك لانه كان يعمل على

رسالة من ميخائيل نعيمه

عزيزي الدكتور سهيل

سلام عليك . وبعد فقد تسلمت (الآداب) فراقني منظرها ، مثلما راقني اكثر المواد التي انطوت عليها . فاليك والى زميليك الاستاذين بهيج عثمان ومنير البعلبكي اخلص تهانئي . واني لأرجو من صميم قلبي ان تصمد (الآداب) في الميدان وان تصبح ذلك المغناطيس الذي سيجتذب اليه خيرة الاقلام في هـذا البلد وغيره من البلدان العربية . فالأمر الذي لا شك فيه ان مجلة من هذا النوع – اذا هي فتحت صدرها للصالح من قديم الاقلام وحديثها – تستطيع ان تكشف لنا مواهب جمة ما تزال مغمورة . وبذلك تغدو نقطة انطلاق لنهضة ادبية جبارة .

رب مجلة كانت للادب مهداً، واخرى كانت لحداً. واني لكبير الأمل ان اسمع من حين الى حـين في صفحات (الآداب) صرير اقلام فتية تشق طريقها بثقة وقوة وايمان شق المحراث للتراب .

فالى الأمام .

المخلص

ميخائيل نعيمة


ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com